

خلفيات كتاب مأساة الزهراء ÷

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف  
الطبعة الخامسة  
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

المركز الإسلامي للدراسات

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

## خلفيات كتاب مأساة الزهراء ÷

### الجزء الثالث

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقصد الرابع

مع الأئمة.. والأولياء ٨



---

## القسم الأول

في رحاب دعاء كميل..





٥٥٠ - علي «عليه السلام» يبين حاله.

٥٥١ - علي «عليه السلام» يطلب من الله أن يغفر ذنوبه وخطاياهم.

٥٥٢ - يدا علي «عليه السلام» تفتقران الذنوب.

٥٥٣ - قلب علي «عليه السلام» يكسب الآثام.

٥٥٤ - الذنوب تقصم ظهر علي «عليه السلام».

٥٥٥ - الأجواء توقظ غرائز علي «عليه السلام».

٥٥٦ - غرائز علي «عليه السلام» تغلب عقله.

٥٥٧ - علي «عليه السلام» يقع في المعصية.

٥٥٨ - علي «عليه السلام» يعد الله بأنه سيتراجع عن خطئه وإساءته ومعصيته.

٥٥٩ - علي «عليه السلام» يطلب من الله أن لا يفضح ما اطلع عليه من سرّه.

وفيما يرتبط بلغة الحديث مع علي «عليه السلام» نجد: أن البعض حين يشرح دعاء كميل، ليقراه كل راغب حتى غير المسلم الذي يريد أن يتعرف من خلاله على نظرة المسلمين إلى إمامهم

باعتبارهم أعرف الناس به وبشؤونه وحالاته.

فإذا رجع أحدٌ ما إلى كتاب هذا البعض فسيجده يقول عنه:

«فلأن الله سبحانه وتعالى هو خير مرجو واکرم مدعو فإن الإمام علي «عليه السلام» يقسم عليه بعزته أن لا يحجب عنه دعاءه بسبب مما اقترفته يده من الذنوب، أو بما كسب قلبه من الأثام. وكأن لسان حال الإمام «عليه السلام» في كل ذلك:

يا رب أنت العزيز الذي لا يذل، وأنا الذليل أمامك، وأنت الرب الرحيم، أنا أدعوك وأتضرع إليك، أريد منك شيئاً واحداً، وهو أن لا يحجب عنك دعائي وهو في طريقه إليك، ولا تجعل ذنوبي تمنع عنك دعائي، فالمهم عندي بمكان أن يخرج دعائي من قلبي ويصل إليك. إجعل قلبي ودعائي مفتوحاً عليك، لأن دعائي إذا وصل إليك فإنك تتقبل الدعاء، لأنك «خير مرجو، [و] أكرم مدعو».

ويتابع الإمام «عليه السلام» ببيان حاله قائلاً: «ولا تفضحني بخفي ما اطلعت عليه من سري»

يا رب هنالك الكثير من الأشياء التي أقوم بها من دون أن يراني أحد، أو أتكلم بشيء ولا يسمعي أحد، وأنت الساتر الرحيم. فيا رب، لا تفضحني في الدنيا وفي الآخرة، وأعدك بأنني سأراجع عن خطئي وإساءتي ومعصيتي» .

(١) في رحاب دعاء كميل ص ١٥٩.

وقال:

«فلسان حال علي يقول أنت يا ربي أهل التقوى والمغفرة أي بيدك أن تغفر وتتوب، وتسامح، لا بيد أحد سواك، وحدك المؤهل لأن تتجاوز عن السيئات، والأخطاء والمعاصي، فذلك أنت الرب الرحيم، الحنان، المنان، المفضل المعطي، الجواد الكريم، الشفيق العطوف.. بينما أنا يا رب أنا أهل للعذاب، استأهل العذاب، لأنني في مقام العاصي، والمذنب، والمقصر بحقك وواجباتك.

ولذلك يا رب أسألك بحق محمد وآل محمد أن تحاسبني بما أنت أهل له، لأن في ذلك نجاتي، ولا تؤاخذني بما أنا أهل له، لأن في ذلك خسروني وعذابي» (١).

«ماذا نشعر ونحن نرى علياً «عليه السلام» يسأل المغفرة تلو المغفرة، ثم لا يكتفي بذلك بل يتجاوزه إلى سؤال شفاعته الله سبحانه وتعالى له.

ألا تشعر: أن علياً «عليه السلام» لا يزال خائفاً، ولا سيما أن الذنوب والخطايا التي طلب من الله سبحانه وتعالى أن يغفرها له، هي (٢) من الذنوب الكبيرة التي يكفي ذنب واحد لينقصم الظهر منها» .

وقال أيضاً:

(١) المصدر السابق ص ٢٧٥ و ٢٧٦.

(٢) المصدر السابق ص ٩٤.

«فالإمام «عليه السلام» يقول: يا رب، لقد خلقت لي هذه الغرائز، ومن حولي أجواء تثير هذه الغرائز، تستيقظ غرائزي عندما تحف بها الروائح والأجواء الطيبة التي تثيرها.

أعطيتني عقلاً<sup>(١)</sup> ولكن غرائزي في بعض الحالات تغلب عقلي فأقع في المعصية» .

وقد ذكرتني الكلمة الأخيرة بما يذكر ذلك البعض عن يوسف وامرأة العزيز، من أنه يندفع إليها كما يندفع الجائع إلى الطعام بصورة لا إرادية (أو إرادية) حسب تصرّحه في مجلس آخر. وفي نص آخر قال: إنه «عليه السلام» عزم على أن ينال منها ما كانت تريد نبيله منه...

- ٥٦٠ - لو أخذ الله علياً بما يناسب وضعه لما استحق إلا العذاب.
- ٥٦١ - لسان حال علي: أنا يا رب أهل للعذاب.
- ٥٦٢ - لسان حال علي: أنا في مقام العاصي، والمذنب.
- ٥٦٣ - علي يسأل الله أن يغفر له الذنوب التي تميت القلب.
- ٥٦٤ - علي يسأل الله أن يغفر له الذنوب التي تضع القلب في التيه، والضلالة.

٥٦٥ - علي يتوسل ليسأل الله مغفرة كل ذنب، وكل خطيئة.

٥٦٦ - علي يطلب السماح عن خطاياها، وذنوبه.

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٩.

٥٦٧ - علي يطلب مغفرة الذنوب التي تمس كيانه وشخصيته.  
 ٥٦٨ - علي يطلب مغفرة الذنوب التي تجعل شخصيته متهالكة،  
 وضعيفة.

٥٦٩ - يطلب مغفرة الذنوب التي تفقد شخصيته دورها الإيماني  
 الفاعل.

٥٧٠ - يطلب مغفرة الذنوب التي تحوله الى ركام هامشي لا دور  
 له، ولا موقع.

٥٧١ - يطلب مغفرة الذنوب التي تجعله فارغاً مضطرباً سقيماً.

٥٧٢ - يطلب مغفرة الذنوب التي تجعله فاشلاً وساقطاً.

٥٧٣ - علي لا يثق بعمله.

٥٧٤ - قد يكون في عمل علي غش كثير.

وفي سياق لغة الحديث مع علي - «عليه السلام» - نذكر  
 النصوص الإضافية التالية:

### يقول البعض:

«ويختم الإمام دعاءه: بأن يسأل الله تعالى أن يتخذ بحقه ما  
 يناسب ساحة قدسه تعالى من الرحمة، والعفو والمغفرة، لأنه تعالى  
 «أهل التقوى والمغفرة»، لا أن يأخذه بما يناسب وضعه، لأنه لو أخذه  
 بما يناسب وضعه لما استحق سوى العذاب.

فلسان حال علي «عليه السلام» يقول:

أنت، يا رب، «أهل التقوى والمغفرة» أي بيدك أن تغفر، وتتوب، وتسامح لا بيد أحد سواك، وحدك المؤهل لأن تتجاوز عن السيئات والأخطاء والمعاصي، فلأنك أنت الرب الرحيم، الرحمن، الحنان، المنان، المفضل المعطي، الجواد، الكريم، الشفيق، العطوف.. بينما أنا يا رب أهل للعذاب، أستأهل العذاب، لأنني في مقام العاصي، والمذنب، والمقصر بحقك وواجباتك. ولذا، يا رب، أسألك بحق محمد وآل محمد، أن تحاسبني بما أنت أهل له، لأن في ذلك نجاتي، ولا تأخذني بما أنا أهل لأن في ذلك خسراني وعذابي<sup>(١)</sup>، وصل على محمد والأئمة الميامين من آله وسلم تسليماً كثيراً» .

### ويقول:

«هذا الشعور تتمثله في كلمات الإمام «عليه السلام»: «اللهم إني أسألك سؤال خاضع متذلل خاشع أن تسامحني وترحمني»، عندما يطلب الرحمة من الله، والسماح من الله، حول ما أسلف من خطايا وما قام به من ذنوب، إنه يقول لله: أنا أطلب منك يارب الرحمة والسماح بروح الإنسان الذي يشعر أن له عليك حقاً، ليس لأحد في الكون حق عليك، حقك على الناس كلهم» .

### ويقول:

(١) في رحاب دعاء كميل ص ٢٧٥ و ٢٧٦.

(٢) في رحاب دعاء كميل ص ١٠٨.

«فكيف يمكن لمن ابتعد ونأى بنفسه عن الله تعالى أن تصيبه رحمته برذاذها، أو يلامسه لطفه تعالى بأنامل الحب والحنان؟! كيف يمكن لمن تحجر قلبه حتى بات صلداً أن ينفجر منه الماء، ماء الأمل والحياة؟!»

ولذا يسأل علي «عليه السلام» الله سبحانه وتعالى: أن يغفر له الذنوب التي تميت القلب، والتي تضع القلب في التيه، والضلالة، حتى يبقى على صلة الأمل بالله تعالى» .

### ويقول:

«ويبدو، من سياق سؤاله - «عليه السلام» - أن المراد بالخطيئة هنا: هو المعنى الثاني لا المعنى الأول، أي المراد مطلق الخطأ.

فنحن نجد في سؤاله هذا - «عليه السلام» - توسعاً في الطلب، فبعد أن سأل - «عليه السلام» - الله أن يغفر بعض الذنوب كتلك التي «تهتك العصم» و «تغير النعم» و «تنزل النقم» و «تقطع الرجاء»..

توسع في سؤال المغفرة ليشمل كل ذنب، وكل خطيئة، وفي ذلك استبطان عميق، واستشعار مرهف لرحمة الله تعالى، وجوده، وكرمه، ولطفه، وإحسانه، فهو - «عليه السلام» - يدفع بأمله الى أقصى الحدود، هذا الأمل الذي ما كان ليتوقد ويسطع لولا التعلق برحمة الله تعالى، وعدم الوقوع في فخ القنوط واليأس من روحه

تعالى، ولولا استحضار ما هو عليه الله سبحانه وتعالى من الجود، والكرم، والتجاوز، والمغفرة<sup>(١)</sup> فهو الرحمن الرحيم، وهو الجواد الكريم، وهو التواب الغفور» .

### ويقول:

«يقول الإمام - «عليه السلام» -: يا رب، أنا ليس لي ثقة بعلمي، لأنه قد يكون فيه غش كثير، فالدعاء ضمانه بيدي، كما أن كل شيء بيدك، يا الله، فافعل بي ما أنت أهله، ولا تفعل بي ما أنا أهله» .

### ويقول:

«إن علياً - «عليه السلام» - يشرع في هذا المقطع من دعائه في تبيان ما من أجله كان يتوسل مقسماً بأسماء الله تعالى، وصفاته. وهو يبدأ بسؤال المغفرة للذنوب التي من شأنها أن تمس كيانه وشخصيته، فتحيلها إلى شخصية متهاكة، ضعيفة، لا حول لها، ولا قوة، فاقدة لأي اعتبار أو موقع، أو دور فاعل وإيماني في الحياة. وفي قوله - «عليه السلام» - إشعار بأن هناك من الذنوب، ما من شأنه أن يفتك بكينونة الإنسان، ويحوطه الى مجرد ركام ليس له من الحياة إلا صورتها، فهو يعيش على الهامش من دون أي حضور أو موقع أو دور، فهو إنسان تفتك به الأمراض المعنوية من كل حذب

(١) المصدر السابق ص ٨٦.

(٢) في رحاب دعاء كميل ص ٢٧٠.



وصوب، فإذا به إنسان فارغ مضطرب، سقيم فاشل وساقط لا يكاد يلوي على شيء.

إن أخطر الأمراض وأفدحها هي تلك التي تصيب شخصية الإنسان، أي تصيب روح الإنسان لأنها تفتك بالبعد الرئيسي من أبعاد وجوده وتميزه، وتصيب محل كماله، ومستودع آفاقه وآماله، ومرتكز مصيره.

ولذا فإنه - «عليه السلام» - يسأل الله سبحانه وتعالى، أن يغفر له الذنوب التي لها أمثال هذه النتائج، لكي يصلح سره وعلايته معاً، فيستعيد مكانته وموقعه في الحياة» .

### وقفة قصيرة:

إن هذا البعض حين تصدى لشرح بعض الأدعية - كدعاء كميل وغيره - قد أوقع نفسه في ورطة كبيرة، حين ظهر أنه يتعامل في تعابيره - على الأقل - مع الأنبياء والأوصياء «صلوات الله عليهم أجمعين»، من حيث التوقير والإحترام المطلوب بما هو أقل مما يتعامل به مع الخدم والحشم ومع المرافقين فضلاً عن الأولاد والأحفاد، أو سائر الناس العاديين.

وقد ذكرنا هنا وفي مواضع متعددة من هذا الكتاب شطراً من كلماته التي تظهر هذا الأمر..

---

(١) في رحاب دعاء كميل ص ٧٢ ورؤى ومواقف ج ١ ص ١٤٨ و ١٤٩.

وكنا نتمنى له: أن يوفق لإصلاح ظواهر كلماته.. خصوصاً..  
وأن ما سجله في حق الأئمة «عليهم السلام» إذا رجع إليه من لا  
يعرف الإسلام، ولا الأنبياء، ولا الأوصياء.

نعم.. إذا رجع إليه وقرأ ذلك بهدف استخلاص ملامح الصورة  
عن هذا الإمام، وعن ذلك النبي «صلى الله عليه وآله» باعتبار أنه  
يرجع الى أحد أتباع تلك الشخصية والعارفين بأحوالها. فسيخرج  
بتصور مغاير تماماً للصورة الحقيقية لهم «عليهم السلام»، وذلك  
حين يجده يصورهم على أنهم يرتكبون من الكبائر ما ينقصم الظهر  
لكل واحدة منها.. وسيجد أن غرائزهم وأهواءهم تقودهم الى ارتكاب  
الجرائم الخطيرة.. وما الى ذلك..

ولكن - للأسف - فإن هذا البعض ليس فقط لم يبادر الى إصلاح  
ظواهر تعابيره - بل ذهب ليتلمس التأويلات البعيدة، وغير المقبولة..  
والغائمة.. فكان أن زاد الطين بلة والخرق اتساعاً..

ولا نريد أن نقول هنا أكثر من هذا، ولبحث وبيان فساد تلك  
التأويلات والتوجيهات موضع آخر إن شاء الله.

واللافت: أن هذا البعض ليس فقط لا يتعامل مع الأنبياء  
والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بما يليق بشأنهم من  
التوقير والاحترام.

وإنما هو يظهر إلى جانب ذلك من الإكرام والإحترام والمجاملة  
لأهل الضلال، ومن بشاشة ولطف وانعطاف تجاه الفساق والمنحرفين

والمنحطين إلى الدرك الأسفل، ممن عملهم دائب في سبيل محق دين محمد «صلى الله عليه وآله». ما يثير العجب. إن ذلك لا يقاس بما يظهر من ذلك البعض تجاه أهل الإيمان، حيث إنه حين تصل النوبة إليهم، فإن الأمر يتخذ منحى خطيراً في نقده اللاذع والمغرق في القسوة والبالغ في الشدة والحدة، بل إن هذه الشدة والحدة والقسوة البالغة منه لم يسلم منها حتى الأنبياء.

ومهما يكن من أمر، فإننا قد ذكرنا شطراً من كلماته التي تضمنت طائفة من تعابيره فيما يتعلق بأمر المؤمنين «عليه السلام» في هذا الكتاب عسى أن تكون كافية في إيضاح المقصود.

### كيف نفسر أدعية الأئمة والأنبياء ؟!:

وقد حاول هذا البعض أن يفسر أدعيتهم «عليهم السلام» بما ينسجم مع الأفكار التي يحملها عنهم.. الأمر الذي دعانا إلى إعطاء مفردات موجزة تسهل على القارئ معرفة الوجه والمنحى الصحيح لتلك التعابير من حيث انسجامها مع واقع العصمة لهم صلوات الله وسلامه عليهم.

ويمكن بيان حقيقة الأمر فيما يرتبط بالدعاء الصادر عن المعصومين مما يتضمن توبتهم واستغفارهم من الذنوب التي تهتك العصم، وتنزل النقم، وتقطع الرجاء و.. الخ، مع أن شيئاً من ذلك لم يصدر منهم! في ضمن النقاط التالية:

أولاً: إن الله سبحانه حين شرّع أحكامه، قد شرعها على البشر

كلهم، على النبي والوصي المعصوم، وعلى الإنسان العادي غير المعصوم، وعلى العالم والجاهل، وعلى الكبير الطاعن في السن والشاب في مقتبل العمر، وعلى المرأة والرجل، وعلى العربي والأعجمي، وعلى العادل والفاسق.

فيجب على الجميع الصلاة والزكاة والحج، والصدق والأمانة، و.. الخ.. وقد رتبت على كثير من التشريعات مثوبات، وعلى مخالفتها عقوبات.. ينالها الجميع، وتنال الجميع بدون استثناء أيضاً. حتى لو لم يفهموا معاني ألفاظها، ولم يدركوا عمق مراميها، كما لو كانوا لا يعرفون لغة العرب، أو كانوا أميين لم يستضيئوا بنور العلم. فالثواب المرسوم لمن سبّح تسبيحة الزهراء «عليها السلام» هو كذا حسنة.. لكل من قام بهذا العمل استحق هذه الحسنات.

كما أن لهذه العبادات آثاراً خاصة تترتب على مجرد قراءتها، حتى لو لم يفهم قارئوها معاني كلماتها، فمن قرأ آخر سورة الكهف مثلاً، وأضمر الإستيقاظ لصلاة الصبح في الساعة الفلانية، فإن الإستيقاظ سيتحقق، كما أن من كتب نصاً بعينه يشفي من الحالة الكذائية، فإن الشفاء يتحقق.

كما أن المعراجية للمؤمن المترتبة على الصلاة في قوله «عليه السلام»: الصلاة معراج المؤمن. أو القربانية في قوله «عليه السلام»: الصلاة قربان كل تقي. سوف تتحقق بالصلاة حتى لو لم يفهم المصلي معاني كلماتها، ومرامي حركاتها فإن نفس هذا الاتصال

بالله سبحانه بطريقة معينة ومحدودة على شكل صلاة أو زيارة، أو تسبيح وغير ذلك مما شرعه الله سبحانه، يحقق هذه الآثار، ويقود إليها، إذا كان مع نية القربة وظهور الانقياد والتعبد لله سبحانه وفق تلك الكيفيات المرسومة من قبله تعالى، وذلك يحقق غرضاً تربوياً، وإيحائياً تلقينياً يريد الله سبحانه له أن يتحقق.

**ولأجل ذلك نجد:** أن النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ويقول في الأذان والإقامة: **أشهد أن محمداً رسول الله..** ويقول ذلك غيره.. ولا يصح منه الأذان ولا الإقامة، ولا يحصل على ثوابهما، ولا على ثواب الصلاة ولا على آثارها بدون الإتيان بكل ما هو مرسوم فيها.

والرجل والمرأة يقرآن في دعاء واحد: ومن الحور العين برحمتك فزوّجنا.. ولا يعني ذلك: أن تقصد المرأة مضمون هذه الفقرة بالذات وبصورة تفصيلية بل هي تقصد الإتيان بالمرسوم والمقرر.

**وإذا سألت:** هل يعقل أن تكون صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» والولي «عليه السلام» كصلاة أي إنسان عادي آخر من حيث ثوابها، وتأثيراتها؟

**فإن الجواب هو:** إن التفاوت إنما يكون فيما ينضم لذلك المرسوم من حالات الإخلاص أو ما يصاحبه من تعب وجهد، فالثواب إنما هو بإزاء خصوصية إضافية (كالخشية) التي أنتجتها عوامل أخرى كمعرفة الله سبحانه، وكمال العقل، والسيطرة على الشهوات

والميول.. أو أي جهد آخر إضافي قد بذل ووعد الله عليه بالمشيئة المناسبة له على اعتبار: أن أفضل الأعمال أحمرها..

**فاتضح مما تقدم:** أن إتيان المعصوم بالعبادات المرسومة، ومنها الأدعية لا يستلزم أن يكون قد أصبح موضعاً لكل ما فيها من دلالات، فلا يكون استغفاره دليلاً على وقوع الذنب منه.

**ثانياً:** يقول بعض المهتمين بقضايا العلم: إن أجهزة جسم الإنسان تقوم بوظائف لو أردنا نحن أن نوجدها بوسائلنا البشرية لاحتجنا ربما إلى رصف الكرة الأرضية بأسرها بالأجهزة: هذا على الرغم من أنه إنما يتحدث عن وظائف الجسد وخلاياه التي اكتشفت، مع أنه لم يتم اكتشاف الكثير منها حتى الآن فضلاً عن سائر جهات وجود هذا الإنسان.

فالله سبحانه يفيض الوجود والطاقة والحيوية على كل أجهزة هذا الجسد وخلاياه لحظة فليحة وهذه الفيوضات وطبيعة المهام التي تنتج عنها، وكل هذا التنوع وهذه التفاصيل المحيرة تشير إلى عظمة مبدعها في علمه وفي إحاطته، وفي حكمته، وفي تدبيره، وفي غناه، وفي قدرته ووو..

فإذا كان النبي والولي المعصومان يدركان هذه النعم التي لولا الله سبحانه لاحتجنا لإنجازها إلى أجهزة تغلف الأرض بكثرتها.

**ويعرف أيضاً:** بعمق أنه المحل الأعظم لتلك النعم ويعرف عظمتها وتنوعها في مختلف جهات وجوده ويجد ويحس بآثارها في

جسده، وفي روحه ونفسه، وكيف أن كل ذرة في الكون مسخرة لأجله، ولأجل البشر كلهم حسبما صرّح به القرآن الكريم، ويعرف الكثير من أسرار ملكوت الله سبحانه..

**وخلاصته:** أن النبي والولي يحس أكثر من كل أحد بقيمة وعظمة واتساع النعم التي يفيضها الله عليه.

فلا غرو إذن إذا كان يرى نفسه - مهما فعل - مذنباً، ومقصراً لعدم قيامه بواجب الشكر لذلك المنعم العظيم.. بل هو يبكي.. ويبكي من أجل ذلك، ولا يكف عن بذل الجهد.. وحين يقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟! نجده يقول: أفلا أكون عبداً شكوراً.

### ونوضح ذلك بالمثال، فنقول:

إن من يريد تقديم هدية لسلطان أو ملك، فإنه قد لا يجد فيما يقدمه ما يناسب جلال السلطان وأبهة الملك، فيرى نفسه مقصراً فيما قدّمه إليه.. بل ومذنباً في حقه.. تماماً كما كان لسان القبرة التي أهّدت لسليمان جرادة كانت في فيها، وذلك لأن الهدايا على مقدار مهديها.

**وواضح أن حال المعصوم مع الله تختلف عن حالنا، فهو يعرف الله حق معرفته، ولأجل ذلك فإن عبادته له ليست خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، بل لأنه يراه أهلاً للعبادة، فهو يعبد عباد العارفين، والعالمين.. كما أنه يعرف أيضاً أن موقعه يجب أن يكون موقع العبودية التامة، والخالصة، لأنه واقف على حقيقة ذاته في ضعفه،**

وفي واقع قدراته، وحقيقة قصوره وحاجته إليه في كل آن، كما هو واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.. ويرى نفسه مذنباً في هذا التقصير.. وقد يجر عليه ذلك فقدان لطف الله به، وهتك العصم التي يكون بها قوته وثباته، ثم قطع الرجاء، وحبس الدعاء.. الخ.

**ثالثاً:** وبتقريب آخر نقول: إن نسيج الأدعية والأذكار حين يراد له أن يكون دعاءً أو ذكراً مرسوماً للبشر كلهم بجميع فئاتهم، ومختلف طبقاتهم ويلاتهم جميع حالاتهم، وتوجهاتهم، فإنه يكون - بما له من المعنى - بحيث يتسع لتطبيقات عامة ومتنوعة، ويجمعها نظام المعنى العام.

ويساعد على اتساع نطاق تلك التطبيقات، ويزيد في تنوعها مدى المعرفة بمقام الألوهية، ومعرفة أياديه ونعمه وأسرار خلقه وخليقته تبارك وتعالى وما إلى ذلك.. من جهة.. ثم معرفة الإنسان بنفسه، وبموقعه، وحالاته.. و.. من جهة أخرى. فبملاحظة هذا وذاك يجد المعصوم نفسه - نبياً كان أو إماماً - في موقع التقصير، ويستشعر من ثم المزيد من الذل والخشية، والخشوع له تعالى.

فالقاتل والسارق والكذاب حين يستغفر الله ويتوب إليه، فإنما يستغفر ويتوب من هذه الذنوب التي يشعر بلزوم التخلص من تبعاتها، ويرى أنها هي التي تحبس الدعاء وتنزل عليه البلاء، وتهتك العصم التي تعصمه، ويعتصم بها، وتوجب حلول النقم به.

أما من ارتكب بعض الذنوب الصغائر، كالنظر إلى الأجنبية، أو



انه سلب نملة جلب شعيرة، أو لم يهتم بمؤمن بحسب ما يليق بشأنه..  
وما إلى ذلك..

فإنه يستغفر ويتوب من مثل هذه الذنوب أيضاً، ويرى أنها هي  
التي تحبس دعاءه، وتهتك العصم التي تعصمه ويعتصم بها، وتحل  
النقم به من أجلها.

وهناك نوع آخر من الناس لم يقترب ذنباً صغيراً ولا كبيراً، فإنه  
حين يقصّر في الخشوع والتذلل أمام الله سبحانه، ولا يجد في نفسه  
التوجه الكافي إلى الله في دعائه وابتهاله، بل يذهب ذهنه يميناً  
وشمالاً.. فإنه يجد نفسه في موقع المذنب مع ربه، والعاق لسيدته،  
والمستهتر بمولاه. وهذه ذنوب كبيرة بنظره، لا بد له من التوبة  
والاستغفار منها.. وهي قد توجب عنده هتك العصم التي اعتصم بها،  
وحلول النقم، وحبس الدعاء، وقطع الرجاء، وما إلى ذلك.

أما حين يبلغ في معرفته بالله سبحانه مقامات سامية، كما هو  
الحال بالنسبة لأmir المؤمنين «عليه السلام»، أو بالنسبة لرسول رب  
العالمين، فإنه لا يجد في شيء مما يقوم به من عبادة ودعاء وابتهال:  
أنه يليق بمقام العزة الإلهية.

بل هو يعد الالتفات إلى أصل المأكّل والمشرب والاقتصار على  
مثل هذه الطاعات تقصيراً خطيراً يحتاج إلى الخروج عنه إلى ما هو  
أسمى وأسنّى، وأوفق بجلال وعظمة الله سبحانه، وبنعمه وبفضله  
وإحسانه وكرمه..

وهذا التقصير - بنظره - لا بد أن ينتهي إلى الحرمان من النعم الجلى، التي يترصدها، حينما لا يصل إلى درجات تؤهله لتقبلها، وكذلك الحال بالنسبة إلى نفوذ دعائه وحجبه عن أن يستنزل العطايا الإلهية الكبرى، أو يرتفع به إلى مقامات سامية يطمع بها، ويطمح إليها.. كما أن النبي والوصي قد يجد نفسه غير متمكن من العصم التي يريد لها أن تكون منطلقاً قوياً يدفع به إلى ما هو أعلى وأسمى، وأجل.

**وبعبارة أخرى:** إنهم يرون: أن عملهم هو من القلة والقصور بحيث يوجب حجب الدعاء، ووقوعهم بالبلاء، ومن حيث أنه غير قادر على النهوض بهم بصورة أسرع وأتم ليفتح لهم تلك الآفاق التي يطمحون لارتيادها، ما دام أن شوقهم إلى لقاء الله يدعوهم إلى الطموح إلى طي تلك المنازل بأسرع مما يمكن تصوره.

فما يستغفر منه الأنبياء والأوصياء، وما يعتبرونه ذنباً وجراً.. إنما هو في دائرة مراتب القرب والرضا وتجليات الألفاف الإلهية.. وكل مرتبة تالية تكون كمالاً بالنسبة لما سبقها، وفي هذه الدائرة بالذات يكون تغيير النعم، ونزول النقم، وهتك العصم الخ.. بحسب ما يتناسب مع الغايات التي هي محط نظرهم «عليهم السلام».

**والخلاصة:** إن كل فئة من هؤلاء إنما تقصد الاستغفار والتوبة تطبيقاً للمعنى الذي يناسب حالها، وموقعها وفهمها ووعيتها، وطموحاتها وخصوصيات شخصيتها، وحياتها وفكرها وواقعها الذي تعيشه، أي أنهم يقرؤون الأدعية ويفهمونها، ويقصدون من تطبيقات

معانيها ما يناسب حال كل منهم، وينسجم مع معارفهم، وطموحاتهم.. ولكنها على كل حال أدعية مرسومة على البشر كلهم، وللبشر كلهم.

### لفت نظر:

وأخيراً.. فإننا نلفت القارئ الكريم إلى الأمور التالية:

أولاً: إن إنكار البعض أن يكون دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» أو الإمام «عليه السلام» تعليمياً، ليس في محله، إذ لا ريب في أن ثمة أدعية قد جاءت على سبيل التعليم للناس، وبالأخص بعض الأدعية التي تعالج حالات معينة كالأدعية التي لبعض الأمراض أو لدفع الوسوسة أو لبعض الحاجات، وما إلى ذلك.. أو تريد بيان التشريع الإلهي للدعاء في مورد معين وقد لا يكون النبي «صلى الله عليه وآله» أو الإمام «عليه السلام» مورداً لذلك التشريع لسبب أو لآخر..

ثانياً: قوله إن الإمام إنما يدعو الله من حيث هو إنسان، لا يحل المشكلة، فإنه إذا كان هذا الإنسان لم يرتكب ذنباً، ولا اقترف جريمة، فلماذا يطلب المغفرة الإلهية؟ ولماذا يبكي ويخشع؟! فإن الإنسانية من حيث هي لا تلازم كونه عاصياً.

وإن كان قد أذنب وأجرم بالفعل، فأين هي العصمة؟ وأين هو الجبر الإلهي - المزعوم من قبل هذا البعض - في عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟!.

ثالثاً: إن من الواضح أن الذنوب المشار إليها في الأدعية لم

يرتكبها الداعي جميعاً، فكيف إذا كان هذا الداعي هو المعصوم كما اعترف به هذا البعض.. وذلك يشير إلى صحة ما ذكرناه في الوجوه التي أشرنا إليها آنفاً وخصوصاً الأخيرة منها.

**رابعاً:** إن المراد بالمغفرة في بعض نصوص الأدعية خصوصاً بالنسبة إلى المعصوم، هو مرحلة دفع المعصية عنه، لا رفع آثارها بعد وقوعها..

كما أن الطلب والدعاء في موارد كثيرة قد يكون وارداً على طريقة الفرض والتقدير، بمعنى أنه يعلن أن لطف الله سبحانه هو الحافظ، والعاصم.. ولكن المعصوم يفرض ذلك واقعاً منه لا محالة لو لم يكن الله يكفي بلطف منه، فهو على حد قول أمير المؤمنين «عليه السلام»..

«لست بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني» .

وقد شرحنا هذه الكلمة في بحث مستقل، بعنوان: «لست بفوق أن أخطئ»، فليراجعه من أراد..

---

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٩٣ وبحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٥٣ وج ٤١ ص ١٥٤ وج ٧٤ ص ٣٥٨ و ٣٥٩ ونهج البلاغة ص ٢٤٥ ط دار التعارف بيروت.

---

## القسم الثاني

سيدة النساء فاطمة ÷

---

### يقول البعض عن كتاب الزهراء القدوة:

«قد قام فضيلة العلامة الشيخ حسين الخشن - حفظه الله - بجمع وتنسيق الكلمات وإعداد تلك الأحاديث بأسلوب شيق، وتدقيق وتحقيق، وتوزيع الموضوعات بالمستوى الرفيع، بحيث أصبح هذا الكتاب «الزهراء القدوة» يمثل كل فكري في سيدة نساء العالمين راجياً له من الله الأجر وللكتاب. المزيد من النفع للقراء الذين سوف يجدون في هذه الكلمات إنساناً يتجلى في فكره عظمة الزهراء وقداستها وعظمتها بدلا مما يثيره الذين لا تقوى لهم أمام الغوغاء بما هو العكس في ذلك، سائلا الله لهم الهداية إلى الصراط المستقيم، والله ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل»<sup>(١)</sup>.

### ونقول:

١ - إننا سنجد في هذا الكتاب: الشيء الكثير من مقولات هذا البعض التي تتمثل فيها الجرأة غير المقبولة حيناً، وغير المعقولة حيناً آخر.. وأنه رغم محاولات الابتعاد به عن مواقع الصراحة التامة والتوسل بالأساليب البيانية التي تمكن الكاتب من التمرير، ثم

(١) الزهراء القدوة ص ٦.



التبرير.. فإنه بقي قادراً على أن ينم عن أفكار صاحبه، ويدل على نواياه.. وسيظهر هذا القسم من الكتاب بعضاً من ذلك.. إن شاء الله تعالى. وسيظهر لكل أحد.. أن الكتاب المشار إليه يمثل وثيقة إدانة لهذا البعض لن يكون بإمكانه التملص والتخلص منها إلا بالتراجع عن تلك المقولات، وإلا بالتصحيح، وبالإعلان لذلك بشكل واضح وصريح.

٢ - إن هذا الكتاب لا يمثل كل فكر هذا الرجل، فهناك أشياء كثيرة وخطيرة قد سجلها في مؤلفاته الأخرى وغيرها.. قد تجاهلها هذا الكتاب ولم يكد يقترب منها، ولا اجتراً على الالماح إليها.. ولعله يترصد الفرصة المناسبة لذلك، ربما حين يشعر في نفسه بعضاً من القوة، أو بعضاً من الحصانة والامتناع فيما يتخذه لنفسه من أبراج يتصور أنها عاجية أو غيرها.

## تقديم:

### بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين،  
واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، الى قيام يوم الدين.

### وبعد..

١ - فإننا آثرنا أن نتحدث في هذا القسم الخاص بالزهراء، بدرجة من الصراحة، وأن نسمي الأمور بأسمائها، ما دام أن مراعاتنا الشديدة السابقة، ونأينا بأنفسنا عن التصريح الى التلميح لم يمنع من توجيه أنواع التهم إلينا، كما أنه لم ينفع في تعديل هذا البعض لأفكاره، ولا في تراجع عن أي من مقولاته.. فلماذا إذن نراعي.. ولماذا نتحفظ، ولماذا نلمح، ولا نصرح، والمقولات لم تزل على حالها، والإهانات للأنبياء والأوصياء والعلماء والمراجع.. لم تتغير ولم تتبدل.

### وللإجابة على ذلك نقول:

إننا لا ننظر إلى الأمر من ناحية علاقته بنا كأشخاص وإنما أحببنا أن لا يتخذ الآخرون من ذلك ذريعة ووسيلة للطعن على المذهب، وعلى أهله.. ثم من أجل أن لا نخرج الكثير من محبيه، ولا

نشير حفيظتهم، وليتمكنوا من تقبل هذا الأمر بروح طيبة ونفس رضية بعيدة عن مشاعر التعصب للأشخاص.

٢ - سنخصص هذا القسم للإمام بطائفة من مقولات هذا البعض حول السيدة الزهراء «عليها السلام» وسيرى القارئ الكريم أننا لم نقتصر على ما ذكره هذا البعض عن السيدة الزهراء «عليها السلام» في كتبه، بل ذكرنا أيضاً - وإن كان يسيراً جداً - بعضاً مما قاله عنها في خطبه المسجلة على أشرطة الفيديو والكاسيت.. والمتداولة بين الناس، وتباع في الأسواق في مراكز التسجيلات الصوتية التابعة لمؤسساته.

والسبب في ذلك: أنك تجد أكثر مقولاته في سائر المجالات قد أثبتتها في الكتب والمؤلفات، وعلى صفحات الجرائد والمجلات وأنها تنتشر بصورة متكررة في كتب تختلف أسماؤها، وتتفق في كثير من مضامينها عادة.. لكن مقولاته عن الزهراء أبقاها - في أكثرها - في دائرة المسموع، لا المكتوب، ولم يسمح لها بأن تطبع في كتاب، أو أن تحتويها جريدة، أو مجلة، إلا بعد رقابة صارمة، يمارس فيها الكثير من التقليم، والتطعيم، بهدف التعتيم على هذا الفريق، أو ذاك.. وإذ لزم الأمر فإن التحريف والتشويه هو الحل، ما دام أن آخر الدواء الكي.

٣ - قد صدر مؤخراً كتاب باسم «الزهراء القدوة» اعتبره هذا البعض يمثل كل فكره عن الزهراء، وبمقارنة بسيطة بين ما ذكره هذا البعض في محاضراته سواء ما كان منها عبر الإذاعة التابعة له أو

غيرها، وبين ما اختير بعناية فائقة ليودع في هذا الكتاب، فإنك ستجد البون شاسعاً، والفارق كبيراً جداً، يوحي لك بحجم التدليس الذي يمارسونه في خصوص موضوع الزهراء «عليها السلام»..

ومهما يكن من أمر فهناك عشرات من أشرطة الكاسيت والفيديو، بصوت وصورة هذا البعض قد تضمنت مقولات خطيرة له حول قضايا الزهراء «عليها السلام»..

ولم يعتذر هذا البعض عن أي واحدة من تلك المقولات إلى هذا التاريخ.. بل هو يحتفظ بها، ويدافع عنها.. بين الحين والآخر..

أما هذا الكتاب الأخير - الذي يقول إنه يمثل كل فكره، فإنه لن يفيد شيئاً، إذ إنه هو نفسه قد قرر للناس عبر إذاعته: أن تراجع الظاهري الذي أعلنه في سنة ١٩٩٣م في رسالة منه إلى قم.. إنما كان بهدف درء ما أطلق عليه هو اسم الفتنة، واستجابة لنصائح بعض أصدقائه!!

٤ - وهذا معناه: أن الأجيال المقبلة سوف تعتبر هذا الكتاب أيضاً من مفردات الانحناء أمام العاصفة، ويراد به التخلص من الضغوط التي يواجهها، فهو إذن لا يمثل حقيقة رأيه، لا سيما وأنه لم يعلن عن خطأ أي من آرائه السابقة.. بل قد أعلن أنه لم يحدث فيها أي تغيير، وأنه ملتزم بها ومسؤول عنها كلها، ومنذ عشرات السنين إلى الآن..

٥ - على أن هذا الكتاب، وإن كان يلهج باستمرار بالمديح والثناء على السيدة الزهراء «عليها السلام»، لكنه يخفي في طياته أمراً، أو

فقل أموراً تجعل هذا المديح بلا فائدة ولا عائدة. بل هي تجعل منه غطاءاً لتمرير مقولات كثيرة، ربما يراد بهذا الكتاب التأسيس للاحتفاظ بها من جهة.. وإعطاء الفرصة لإسكات المعترضين، وتغيير المفهوم المعروف عنها..

أولاً: يصور أن العلاقة بين الرسول «صلى الله عليه وآله» وبين الزهراء «عليها السلام» هي علاقة إنسان هو في القمة في خصاله وميزاته الشخصية، وخلقه الرفيع بابنته التي تحمل أيضاً مواصفات شخصية مميزة، وليس ثمة أكثر من ذلك.. فليست المسألة مسألة اصطفاء إلهي، وتربية ورعاية ربانية، لمن هم صفوة الوجود، وخيرة الله، ووجه الله، وجنب الله، وباب الله.. ولأجل ذلك، فإن ما يمدح شخصها به، لا يختلف كثيراً عما يمدح به أية امرأة صالحة من سائر الناس.

ثانياً: هناك مقولات كثيرة ناقشنا في هذا القسم طائفة منها، وقد سعى هذا البعض في كتابه هذا إلى التأكيد على عدد منها.. كما أنه قد سعى إلى خلق مناخات تسمح له في المستقبل بإعادة التأكيد على مقولات جريئة أخرى عرفت عنه. لم ير الوقت مناسباً الآن لإثارتها بصراحة وقوة..

أضف إلى ذلك أنه استطاع أن يخفف من حدة وصراحة مقولات كثيرة له إلى درجة تجعل الإنسان العادي يكاد يتوهم أنه قد أصلح أو تراجع عن بعض ما كان قد أعلن عنه منها..

٦ - إننا في هذا القسم لن نقتصر على خصوص الموارد التي أشرنا إليها واجبنا عنها في كتاب مأساة الزهراء، بل سنورد هنا بعضاً من كلامه في موارد أخرى أيضاً.. ونسجل إجابات سريعة عن طائفة منها، وسنغض الطرف عن طائفة أخرى لوضوح فسادها لكل أحد..

وسيجد القارئ الكريم أننا لم نحاول استقصاء أقاويله حول هذا الموضوع، على أساس أن خير الكلام ما قل ودل.

وس يظهر بما لا مجال معه للشك عدم صحة ما يحاولون التسويق له، من أن القضية هي مجرد قضية كسر الضلع - وحسب - وهي لا تستحق هذا المستوى من التصدي والمواجهة.. فإن المسألة ليست من أصول الدين على حد تعبير أحدهم، نعم سوف يتضح أن القضية أكبر من ذلك بكثير، فإن هذا البعض ينكر كل شيء جرى على الزهراء بعد وفاة أبيها، سوى غصب فذك بحسب الظاهر، بل قد شكك حتى في صحة أقوال الزهراء في فذك حسبما ذكرناه في محله من هذا الكتاب، فهو ينكر ضربها، وإحراق بابها، ودخول بيتها، وإسقاط جنينها، وكسر ضلعها..

بل هو يدعي:

«أن احترامهم وحبهم لها، ومكانتها «عليها السلام» لديهم يمنعه من ذلك كله، ومن توجيه أية إساءة حقيقية لها..».

ونحن نستهل هذا القسم بالإشارة إلى بعض تناقضاته فيما يتعلق

بالسيدة الزهراء «عليها السلام»، ثم نتبع ذلك بطائفة من أقاويله حولها، ونتمنى أن يجد القارئ فيها ما يكفي لإعطاء فكرة واضحة عن حقيقة ما يعتقد هذا البعض في قضايا السيدة الزهراء «عليها السلام»، وفيما جرى عليها..

**ومن الله نستمد العون، وهو ولي التوفيق..**

## المطلب الأول

مقولات جريئة حول الزهراء ÷



---

## الفصل الأول

مقولات متناقضة

حول الزهراء ÷

---

## بداية:

إن الملفت هنا هو: أن هذا البعض قد نقض كلامه، واختلفت أقاويله حول الزهراء «عليها السلام» في أكثر من مورد.. ولا يمكن عد ذلك تراجعاً عن أقاويله السابقة، ما دام أنه لم يعلن أن ما سبق كان خطأ، وأنه قد امتنع عن الالتزام به، بل إن ذلك أيضاً لا ينفع إذا لم يتم إعلام الناس بأن الطبعات التي تتناقض فيها المطالب والآراء، ليس كل ما فيها صحيحاً.. خصوصاً فيما يرتبط بكتابه المسمى بـ «من وحي القرآن» لجهة أنه كان قد أعلن في سفره للحج في سنة سابقة: «أن كل ما فيه بكلا طبعتيه (طبعة دار الزهراء، وطبعة دار الملاك) صحيح...».

غير أنه لما ظهرت الطبعة الثانية، ظهرت التناقضات فيما بينها وبين سابقتها.. ولا يزال هو المطالب بالإجابة على سؤال: هل يمكن الالتزام بالرأيين المتناقضين في آن واحد.. وهل يمكن القول بأن جميع ما ورد في الطبعتين صحيح؟

ومهما يكن من أمر فإننا نذكر من تناقضاته الكثيرة هنا ما يلي:

٥٧٥ - تارة يقول: إن آيات إرث سليمان لداود ويحيى لزكريا

ناظرة لإرث الموقع.

٥٧٦ - وأخرى يقول: إنها تتحدث عن إرث المال.

فأي هذين هو الصحيح.

قال في كتاب من وحي القرآن عن آيات ارث سليمان لداود،  
وعن قول زكريا: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ  
يَعْقُوبَ) .

«إن المقصود بهما هو ارث الموقع لا المال».

«فلا دلالة لهما على إرث الزهراء «عليها السلام» لفدك».  
(٢) ثم قال عن هذه الآيات بالذات في كتاب الزهراء القدوة .

«إنها تتحدث عن إرث المال».

٥٧٧ - تارة يقول: عرف قبر الزهراء «عليها السلام».

٥٧٨ - وأخرى يقول: لم يعرف.

وكذلك الحال بالنسبة لمعرفة قبر الزهراء «عليها السلام» فإنه  
كان قد ادعى أنه قد عرف وذلك في شريط معروف ومسجل بصوته.  
وهذا الشريط هو الذي كان السبب في تنبه العلماء لحقيقة ما  
يجري وأثار نقدهم لمقولاته وألفت نظرهم لمخالفاته.  
ولكنه عاد فقال:

---

(١) الآيتان ٥ و ٦ من سورة مريم.

(٢) الزهراء القدوة ص ٢٩٦ و ٢٩٩.

(١)

«إن قبرها لا يزال غير معروف» .

٥٧٩ - العصمة إجبارية..

٥٨٠ - العصمة لا تسلب الاختيار.

وإذا قارنا بين أقواله حول العصمة فنجدها متضاربة ومتناقضة،  
فإنه تارة يطلق كلامه ويقول:

«إنها على نحو الإجبار، سواء في عصمة الأنبياء، أو الأئمة، أو  
الزهراء «عليهم السلام»...».

**وأخرى يقول:**

بل هي إجبارية في ناحية المعاصي فقط، وقد تحدثنا عن هذا  
الأمر أكثر من مرة..

وثالثة: يتراجع عن ذلك حيث يتحدث أخيراً عن عصمة السيدة  
الزهراء «عليها السلام» ويقول:

«إن الله قد أودع فيهم عناصر القداسة والروحانية والعلم، لكن  
(٢)  
هذا لا يستلزم سلبهم الاختيار» .

٥٨١ - الزهراء رضيت عن الشيخين.

٥٨٢ - الزهراء لم ترض عنهما.

**وكان قد قال:**

---

(١) الزهراء القدوة ص ١١٤

(٢) هذا الرأي الأخير ذكره في كتاب: الزهراء القدوة ص ١٦٤.

«إن الشيخين قد جاءا إلى الزهراء فاسترضياها فرضيت..»  
ولكنه عاد أخيراً ليعلن في كتاب جديد يقول عنه:  
«إنه يمثل كل فكري في سيِّدة نساء العالمين»، «إنها لم ترض  
عنهما حينما جاءا لاسترضائها» .

فأي ذلك هو الصحيح؟!  
٥٨٣ - تناقضه في تفسير كلمة: وإن.  
وكان قد قال:

«قيل للثاني لما جمع الحطب، وأراد إحراق بيت الزهراء «عليها  
السلام»: إن في الدار فاطمة!!  
فقال: وإن..

إن معنى هذه الكلمة: أنه وإن كانت فيها فاطمة، فنحن لا شغل لنا  
بها، نحن جننا لا اعتقال علي فقط..»  
لكنه عاد أخيراً، فسجل في كتاب يقول:

«إنه يمثل كل فكره عن الزهراء «عليها السلام».. إن معنى هذه  
الكلمة: أنه لا مقدسات في هذا البيت، فلا مانع من أن يحرق على  
(٢)  
أهله» .

---

(١) الزهراء القدوة ص ١١٢ و ١١٣.

(٢) الزهراء القدوة ص ١٠٩.

ومن تناقضاته التي نحب إلقاء المزيد من الأضواء حولها..  
الموارد التالية:

٥٨٤ - المباهلة أسلوب تأثير نفسي للإيحاء بالثقة.

٥٨٥ - المباهلة لا تدل على فضل الزهراء «عليها السلام»، بل تدل على أن أباهما كان يحبها.

٥٨٦ - المباهلة تدل على عظيم فضل الزهراء.

ورغم أن هذا البعض كان قد قرر: أن المباهلة بالزهراء وبعلي والحسين، إنما تدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جاء بأحب الناس إليه. وأنه على استعداد للتضحية حتى بابنته وولديها، وبابن عمه في سبيل هذا الدين، فلا دلالة فيها على عظيم ما لهم من فضل.

لكنه بعد أن واجه الاعتراضات عاد وقال في كتابه الذي حاول تلطيفه قدر الإمكان:

«من هنا كانت الآية الشريفة دليلاً بيناً على عظمة أهل البيت - بمن فيهم سيدتنا فاطمة «عليها السلام»، ومنزلتهم الرفيعة عند الله وعند رسوله «صلى الله عليه وآله»...».

فإذا كانت آراؤه لم تتغير منذ ثلاثين سنة، فهل هذا الرأي أيضاً منها؟! وإن كان ملتزماً بآرائه كلها كما يقول، فهل يلتزم هنا بكلا الرأيين المتناقضين؟! وإذا كان أحدهما خطأ فلماذا لم يشر إليه، ويدلنا عليه؟! عليه؟!!



ويلاحظ هنا: أن هذا البعض إن صح أنه قد تراجع عن عدد يسير جدا من آرائه، ربما لا يصل إلى عدد أصابع اليد أو اليدين.. فإن ذلك إنما جاء في الموارد غير الأساسية، وغير الحساسة، وهي تلك التي لا يحدث تراجع عنها أي ضرر في التصور العام، وفي الهيكلية العامة التي رسمها للإسلام الذي يريد أن يحمل الناس عليه، بطريقة أو بأخرى..

وقد قلنا: إننا نشك في أن تكون هذه الموارد اليسيرة داخلية في دائرة التراجع والتصحيح، إذ إننا نحتمل:

١ - أن تكون قد جاءت لتهدئة الجو العام والسيطرة عليه مع يقينه بأن الناس سوف يعرفون حقيقة رأيه بعد هدوء العاصفة، حيث إنه قد احتفظ به مكتوبا أو مسجلا في المواقع الأخرى، ولم يرض بتحريك أي حرف منه من موقعه.. بل لقد سجل أنه ملتزم بكل فكرة قالها منذ عشرات السنين.

الأمر الذي يفسره المفسرون، على أن كلامه الأخير، إنما هو انحناء أمام العاصفة، لا أكثر..

٢ - إن بعضاً من تناقضاته قد نشأت عن كونه لم يدقق في ما يلقيه على الناس من كلام.. فيكون داخلا في نطاق إلقاء الكلام على عواهنه، وبصورة عفوية وارتجالية، فيقول هنا شيئا ثم ينساه ليقول هناك ما يناقضه ويخالفه..

وعلى كل حال.. فإن ما ذكره هذا البعض في كتابه من وحي

القرآن في الطبعة الأولى.. من أن النبي قد أشرك أهل بيته في المباهلة كأسلوب من أساليب التأثير النفسي ليوحى لهم بثقته بما يدعيه، لا يمكن قبوله رغم تصريحه بصحة كل ما جاء في تلك الطبعة.. نعم انه مرفوض لأنه يعني: أن قضية المباهلة لا ترقى إلى مستوى الجدية الحقيقية.

كما أن إichاءه بأن القضية لا تزيد عن كونها مبادرة شخصية من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليست قراراً إلهياً، وتدبيراً ربانياً، يعطي الدلالة القاطعة على ما لأهل البيت من مقام وفضل وكرامة عند الله تعالى.

إن كلامه هذا - لا يمكن قبوله منه بأي وجه، وقد صرحت الآية الكريمة بأن الله سبحانه هو الذي أمره بإخراج هؤلاء بالذات للمباهلة، فهي تقول: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ..).

٥٨٧ - تارة ينكر وجود خصوصيات غير عادية في الزهراء.

٥٨٨ - وأخرى يثبت.

٥٨٩ - تارة يقول: لا يوجد عناصر غيبية في شخصيتها.

٥٩٠ - وأخرى يقول: هناك عالم من الغيب في شخصيتها.

قد ذكر البعض في كتابه تأملات إسلامية حول المرأة: كلاماً حول الزهراء، وزينب وخديجة، ومريم، وآسية بنت مزاحم عليهن

السلام.

ونفى أن تكون هناك أية خصوصية غير عادية في شخصياتهن إلا الظروف الطبيعية التي كفلت لهن النمو الروحي، والعقلي، والالتزام العملي..

وحين ثارت الاعتراضات على هذا الكلام، أصر ولا يزال مصراً على إبقائه على ما هو عليه، ولم يغير فيه حتى الآن أية كلمة.. وبدأ يشيع بين الناس: أن مراده صحيح وسليم، ولكن الآخرين إما لم يفهموا مراده، أو أنهم قد فهموه ولكنهم تعمدوا صرفه عن ظاهره.. بل صار يمارس ضغوطاً غير عادية، ويهاجم الآخرين بشراسة وقسوة، من أجل إلزامهم بصحة أقواله في كتابه تأملات إسلامية، وصار يوجه لهم الاتهامات، ويعلن بالتجريح ثم التظلم (!!)، وما إلى ذلك..

ولعل أخف عباراته حدة هو ما سجله في الكتاب الذي يقول عنه: إنه يمثل كل فكره حول السيدة الزهراء. فهو يقول:

«ولئن بقي هذا البعض يصر، ورغم كل كلماتنا وصراحتها في تقديس السيدة الزهراء «عليها السلام» وتعظيمها، وبيان عصمتها.. ورغم كثرة محاضراتنا وتنوعها منذ أكثر من خمسين سنة في شأن أهل البيت «عليهم السلام»، على تقويلنا ما لم نقله، وتحميل كلامنا ما لا يحمله في شأن سيدتنا الزهراء «عليها السلام» وعصمتها، أو في شأن ولاية سيدنا أمير المؤمنين «عليه السلام» التي أكدها ونص

عليها النبي الأمين «صلى الله عليه وآله» في مواضع عديدة أبرزها في غدير خم، فإننا ندعو الله لهم بالهداية إن كان لا يزال عندهم قابلية ذلك، وإلا فحسابهم على الله، ولنا معهم موقف يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين الذي لا يغادر صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها في كتاب، وسيكون الحساب بمحضر جدنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجدنا أمير المؤمنين «عليه السلام» وجدتنا الصديقة الزهراء (١) «عليها السلام»، ونرى لمن يكون الفلج في ذلك اليوم» .

فقد ضمن كلامه هذا..

١ - اتهاماً للآخرين بأنهم يقولونه ما لم يقله، وتحميل كلامه ما لم يحمله.

٢ - ادعى لنفسه أن كل كلماته صريحة في تقديسه للزهراء، وتعظيمها، وبيان عصمتها..

٣ - ادعى مثل ذلك أيضاً بالنسبة لولاية أمير المؤمنين «عليه السلام».

٤ - إظهار أن منتقديه لا يسيرون في صراط الهداية.

٥ - أنه رجل متسامح، يدعو حتى لمن يفترون عليه بالهداية؟!!

٦ - أنه مطمئن إلى أن الفلج له يوم القيامة.

٧ - وأخيراً تعابيره بجدنا النبي، وجدنا علي، وجدتنا الزهراء..

---

(١) الزهراء القدوة ص ١٧٣ و ١٧٤.

ربما من أجل استدرار عطف الناس في مثل هذه المواقف، وربما لأسباب أخرى. لاسيما مع ملاحظة نظرته إلى الأنساب حيث تجده ليس فقط لا يهتم للانتساب إلى الرسول، بل هو يجهر بعدم القيمة لها، ولا يرغب بإعطائها أهمية تذكر حتى إنه حين سئل عن نظرته إلى لقبى السيد والأديب بالنسبة إليه نجده قد رجح لقب الأديب عليه، فقد سئل: أيهما تفضلون؟ لقب السيد أم لقب الأديب؟! فقال:

«لقب السيد ورثته أما لقب الأديب فقد صنعته»<sup>(١)</sup> ولذا فمع كل اعتزازي بلقب السيد فأنا أكثر اعتزازاً بلقب الأديب» .

فاستخدامه لهذه اللغة هنا ما هو إلا دليل ضعفه وإنكار مقولاته، فأراد أن يستفيد من محبة المؤمنين لأهل البيت، ويؤثر على مشاعرهم عن هذا الطريق.

ثانياً: إن المهم هنا هو الالتفات إلى: أن هذا البعض لم يحرك أية كلمة من مكانها.. ولم يغير، ولم يبدل شيئاً مما قاله.. بل احتفظ به.. حتى وهو يعلن على الملأ ما يناقضه ويخالفه.. ولعله.. ليبقى الباب مفتوحاً أمام الاعتذار الذي قاله في إذاعة تابعة له:

إن ما كتبه في رسالته لجعفر مرتضى إلى قم، والتي تضمنت تراجعاً عن مقولاته في السيدة الزهراء - «عليها السلام» - إنما كانت

(١) امراء وقبائل ص ٤٥٦.

لدرء الفتنة، واستجابة لمطلب ناصحيه.. وإلا فهو لم يزل ولا يزال على موقفه السابق، ولن يتراجع عنه..

وهذه السياسة بالذات هي التي لم يزل يمارسها في كل ما اعترضنا به عليه.. فإنك تجده يعلن بخلافه، ولكن بأسلوب:

١ - إن هذا الرأي المناقض والمخالف هو نفس ذلك الذي يخالفه ويناقضه، ومن لا يقبل بذلك، فهو واقع تحت تأثير المخابرات، أو أنه يفهم الأمور بغرائزه، أو أنه بلا دين، وبلا تقوى.. وما إلى ذلك!!

٢ - إنه يحتفظ بالرأيين المتخالفين، أو المتناقضين معاً، ولا يغير ولا يبدل شيئاً.. بل يصرح بصحة كل ما قاله وكتبه طيلة عشرات السنين..

٣ - إنه يصرح بأن كل ما ينسب إليه مكذوب عليه بنسبة ٩٩،٩٩ بالمئة. أو أنه مكذوب بنسبة ٩٠ بالمئة، والباقي محرف.

ثالثاً: إن ما ذكره في كتابه تأملات إسلامية حول المرأة لا يصح توضيحه بما وضعه به، وذلك لوجود تنافر ظاهر بين الكلامين. فإن كان قد تراجع عن كلامه حقاً، فليحذفه من كتابه ذاك، وليصرح بأنه قد عدل عما جاء في طبعته الأولى..

ولا نريد أن نفيض في الحديث عن ذلك، بل نكتفي بذكر ثلاث مقارنات:

## المقارنة الأولى:

إنه يقول في النص الأول:

«إذا كان بعض الناس يتحدث عن بعض الخصوصيات غير العادية في شخصيات هؤلاء النساء، فإننا لا نجد هناك خصوصية إلا الظروف الطبيعية التي كفلت لهن إمكانات النمو الروحي والعقلي والالتزام العملي بالمستوى الذي تتوازن فيه عناصر الشخصية بشكل طبيعي، في مسألة النمو الذاتي» .

ثم هو قد شرحه بقوله الآتي:

«لا ريب أن هناك ظروفًا طبيعية قد كفلت النمو الروحي والعقلي للسيدة الزهراء «عليها السلام» وغيرها من النساء الجليلات وذلك مثل تربية النبي «صلى الله عليه وآله» لها، وتربية زكريا لمريم «عليها السلام»، ولكن إلى جانب ذلك هناك اللطف الإلهي الذي كساها بالطهارة والقدسية، وخصها ببعض الكرامات، وهي ما زالت جنيئاً في بطن أمها <sup>(٢)</sup> وأكرمها بنزول الملك عليها <sup>(٣)</sup> «<sup>(٤)</sup>» .

والسؤال هو:

---

(١) تأملات إسلامية حول المرأة ص ٨ و ٩ ومجلة المعارج عدد ٢٨ - ٣١ ص ٩٥٧.

(٢) عوالم الزهراء ص ٢٠١.

(٣) المصدر السابق ٥٨٣.

(٤) الزهراء القدوة ص ١٧١.

أولاً: إن النص الأول، قد أنكر وجود خصوصيات غير عادية في شخصيات تلك النسوة.. فهل كون الزهراء نوراً كما اعترف به، وهل حديثها مع أمها، وهي لا زالت جنيناً في بطنها لا يعتبر خصوصية غير عادية في شخصيتها؟!!

ثانياً: إن هذا البعض قد ذكر أن مثل تربية النبي للزهراء، وتربية زكريا لمريم هو المقصود من الظروف الطبيعية..

### والسؤال هو:

إذا كان زكريا قد ربي مريم، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» قد ربي الزهراء، فمن الذي ربي خديجة بنت خويلد، ومن الذي ربي آسية بنت مزاحم، فإنه قد ذكرهما مع الزهراء أيضاً..

ثالثاً: قد ذكر: أن هذه الظروف الطبيعية التي هي مثل تربية النبي وزكريا كان الى جانبها اللطف الإلهي الذي كساها بالطهارة وبالقدسية وخصها ببعض الكرامات..

### والسؤال هو:

هل يلتزم بمثل ذلك في أمر السيدة خديجة؟ وكذا بالنسبة للحوراء زينب «عليها السلام»، اللتين لم تكونا مشمولتين لآية التطهير، ولا ظهر أنهما اختصتا بنزول الملك عليهما، أو اختصتا ببعض الكرامات حين كانتا جنينين في بطن أمهما؟. مع انه قد ذكر السيدة زينب وخديجة في جملة هؤلاء النسوة اللواتي يتحدث عنهن.



## المقارنة الثانية:

وقوله:

«..ولا نستطيع إطلاق الحديث المسؤول القائل بوجود عناصر غيبية مميزة، تخرجهن عن مستوى المرأة العادي، لأن ذلك لا يخضع لأي إثبات قطعي».

قد شرحه أخيراً بقوله:

«وإذا كنا لا نستطيع إطلاق الحديث القائل بوجود عناصر غيبية في شخصية الزهراء «عليها السلام» بحيث يخرجها عن كونها بشراً تتحول حياتها كلها الى معاجز خارقة للقوانين الطبيعية والسنن التي أودعها الله في الكون، لكن هذا لا يعني أبداً نفي ذلك كله، فإن الزهراء الإنسانية كانت تحيط بها ألطف الله، ونستطيع أن نقول إن هناك عالماً من الغيب في شخصيتها، وإنها نور من الأنوار، وفي حياتها الكثير من الكرامات التي أعطاها الله إياها، فقد روي (١) أنه كان يدخل عليها رسول الله فيجد عندها رزقاً» .

إلى أن قال:

«ورغم ما تقدم من براهين على عصمة الزهراء وقديستها

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٧٥ وعنه بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٩ وعوالم

الزهراء ص ٢٠٧ نقلاً عن الخرائج والجرائح.

(٢) الزهراء القدوة ص ١٧١.

وكراماتها وفضائلها.. فإن ذلك لا يخرجها عن كونها امرأة من جنس البشر تملك من الأحاسيس والعواطف والغرائز ما تملكه سائر النساء، وإنما عظمتها أنها حركت أحاسيسها في رضا الله، ولم تسمح لغرائزها أن تخرج عن حدود الله سبحانه، بحيث إن قلبها، وعقلها وجسدها لم ينحرفوا عن خط الإستقامة طرفة عين أبداً»<sup>(١)</sup>.

### والسؤال هو:

أولاً: لماذا تحدث عن خروجها عن كونها بشراً، فإن وجود عناصر غيبية - ككونها نوراً من الأنوار كما اعترف به هذا البعض في نفس هذا النص المذكور لا يخرجها عن كونها بشراً..

ثانياً: إن كونها نورا من الأنوار، وحديثها مع أمها في بطنها - هو عنصر غيبي في شخصيتها لكن ليس من الضروري أن يحول حياتها - كلها - الى معاجز خارقة للقوانين الطبيعية.. على حد قوله..

ثالثاً: كيف نجمع بين قوله:

«ونستطيع أن نقول:

إن هناك عالماً من الغيب في شخصيتها، وإنها نور من الأنوار».

وبين قوله:

«لا نستطيع إطلاق الحديث المسؤول، القائل بوجود عناصر

غيبية مميزة تخرجهن عن مستوى المرأة العادي».

---

(١) الزهراء القدوة ص ١٧٢.

ألا ترى أن بين هذين القولين تناقضاً فاضحاً؟!.

رابعاً: إن كونها نورا من الأنوار، وأن يكون هناك عالم من الغيب في شخصيتها: ألا يميزها عن سائر النساء؟!.

وألا يخرجها ذلك عن مستوى المرأة العادي؟!.

فإن كان كلامه صحيحاً في أننا نقوله ما لم يقل: فإننا نرضى منه أن يستبدل النص الموجود في كتاب تأملات بالنص الموجود في كتاب الزهراء القدوة.. ونكون له من الشاكرين.. وبذلك يحل الإشكال القائم فيما بينه وبين من يعترض عليه، وسيستجيب الله دعاءه لمنتقدي مقولاته بالهداية، ولا تصل القضية إلى المحاكمة يوم القيامة..

### المقارنة الثالثة:

قال البعض في كتاب تأملات إسلامية حول المرأة، وهو يتحدث عن مريم «عليها السلام» التي اصطفاه الله للروحانية التي تميزها، وسلوكها في طاعة الله، ما يلي:

«..وإذا كان الله قد وجهها من خلال الروح الذي أرسله إليها، فإن ذلك لا يمثل حالة غيبية في الذات، بل يمثل لطفاً إلهياً في التوجيه العملي، والتثبيت الروحي، على أساس ممارستها الطبيعية للموقف في هذا الخط، من خلال عناصرها الشخصية الإنسانية، التي كانت تعاني من نقاط الضعف الإنساني في داخلها، تماماً كما هي المسألة

(١)

في الرجل في الحالات المماثلة..»

ولكنه قال في كتاب: الزهراء القدوة:

(٢)

«وعندما تحدثنا في تأملات إسلامية حول المرأة عن أن الزهراء «عليها السلام» كما مريم «عليها السلام» وآسية بنت مزاحم ليست بامرأة عادية، فلم يكن في ذلك الكلام إشعار بنفي كرامات الزهراء وعصمتها، كيف وقد أشرنا في تلك الصفحة نفسها الى أن الله سبحانه منح بعض تلك النسوة العظيمات من ألطافه ما يسددهن، ويثبتهن روحيا وعمليا، وإنما كان ذلك الكلام يرمي كما يشهد به صدره وذيله أنها «عليها السلام» لم تكن إلا بشراً وتحمل خصائص سائر النساء كما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بشراً ويحمل خصائص الرجال (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ) . وإلا لو لم يكن رسول الله بشراً، وكذلك الأنبياء والأئمة والزهراء - عليهم جميعا سلام الله، لما كان لهم فضل على سائر الناس، ولما كان هناك معنى للإقتداء بهم (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ) فعظمة هؤلاء وقيمتهم: أنهم بشر وليسوا ملائكة، ولكنهم

(١) تأملات إسلامية حول المرأة ص ٩ والمعارج عدد ٢٨-٣١ ص ٩٥٧ و ٩٥٨.

(٢) تأملات إسلامية حول المرأة (ط دار الملاك ط ٦ ص ١٩٩٧) ص ٩.

(٣) الآية ١١٠ من سورة الكهف.

(٤) الآية ٩ من سورة الأنعام.

بإرادتهم وقداستهم أرفع شأنًا عند الله من الملائكة.. ولهذا علينا عندما نقدم الزهراء «عليها السلام» أو نقدم آل البيت «عليهم السلام»، أن لا نقدمهم بطريقة توحى بأنهم ملائكة أو أنهم غيب من الغيب، لأننا وإن كنا نعتقد: أن الغيب يمثل الأساس في عقيدتنا، ولكن إرادة الله قضت أن يكون المثل الأعلى للناس والهادي لهم من الضلالة من جنسهم (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) <sup>(١)</sup> ، (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) <sup>(٢)</sup> . «

ومن خلال المقارنة بين هذين النصين نخرج بالنتيجة التالية:

**أولاً:** إن الروح الذي أرسله الى مريم - حسب النص - في تأملات كان له دور التوجيه العملي لها، والتثبيت الروحي.. أي أنه يدلها على الخطوات التي تقوم بها.. ويثبتها حين كانت تعاني من الضعف الإنساني في داخلها، بسبب المشكلة التي طرأت عليها..

ولكن ذلك لا يعني أنه أرسل لزينب مثلاً هذا الروح ليوصلها كيف تتصرف حين المحنة، أو يثبتها روحياً، وهي تعاني من الضعف في داخلها.. على حد قول هذا البعض.

ولا يدل ذلك أيضاً على أنه قد أرسل للزهراء أو لخديجة، أو

(١) الآية ٩٣ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٢ من سورة الجمعة.

(٣) الزهراء القدوة ص ١٧٢ و ١٧٣.

لأسية هذا الروح ليفعل مثل ذلك..

وحيث إنه قد صرح في كلامه بأن تلك النسوة ليس فيهن أية خصوصية غير عادية إلا الظروف الطبيعية، ثم استثنى مريم، بسبب المشكلة التي واجهتها، فذلك لا يعني أن ما حصل لمريم قد حصل لغيرها..

### فقله في النص الثاني:

«لم يكن في ذلك الكلام (الذي ورد في تأملات) إشعار بنفي كرامات الزهراء..» صحيح، إذ إنه لم يكن فيه إشعار بذلك، بل كان فيه تصريح.. ومريم فقط هي التي حظيت بتوجيه الروح وتنشيطه لها في وقت المحنة..

أما الزهراء «عليها السلام»، فبقيت، حالها كحال زينب، ليس فيها أية خصوصية غير عادية، ولا يوجد عناصر غيبية مميزة لها تخرجها عن مستوى المرأة العادي وكذلك حال خديجة وآسية.. وفقاً لأقاويل هذا البعض؟!

ثانياً: قد عرفنا: أن وجود خصوصية غير عادية في شخص - ككونه نوراً من الأنوار - على حد تعبير هذا البعض لا يخرج عن كونه بشراً، ولا يجعله من الملائكة..

### ثالثاً: لقد قال في النص الثاني:

«علينا عندما نقدم الزهراء «عليها السلام»، أو نقدم آل البيت «عليهم السلام» أن لا نقدمهم بطريقة توحى بأنهم ملائكة، أو أنهم

غيب من الغيب، لأننا وإن كنا نعتقد: أن الغيب يمثل الأساس في عقيدتنا، ولكن إرادة الله قضت أن يكون المثل الأعلى للناس، والهادي لهم من الضلالة من جنسهم».

### ويقابل هذا القول: قوله التالي:

«إن علينا أيضاً: أن نقدمهم على أنهم بشر مميزون، ولهم ارتباط بالغيب، وفيهم خصوصيات غير عادية جعلتهم أهلاً لاصطفاء الله لهم، وأنهم نور من الأنوار، وأن مريم كلما دخل عليها زكريا المحراب، وجد عندها رزقاً.. وأن فاطمة كانت تحدث أمها في بطنها، وكان الملك ينزل عليها، وأن هناك عالماً من الغيب في شخصيتها على حد تعبير هذا البعض نفسه، ولا يجوز لنا أن ننكر وجود هذا الغيب في شخصيتها ولا أن ننكر أنها شخصية مميزة عن سائر أبناء جنسها، وأنها فوق مستوى المرأة العادي.. وأنها، وأنها إلخ..»





## الفصل الثاني

الزهاء ÷

البنّت الوحيدة لرسول الله ،



## بداية:

١ - **ليعلم القارئ الكريم:** أننا قد نجد الكثير من الأمور التي سجلها البعض في كتبه غير منسجمة مع الحقيقة الإيمانية والإسلامية، أو العلمية، ولكننا نغض الطرف، ونتغاضى عن ذلك كله، لأننا نقر ونعترف بأننا غير قادرين على استقصاء مقولاته، ولأننا لا نجد ضرورة لذلك.. ما دام أن المهم عندنا هو وضع القارئ في دائرة الحذر من أن يأخذ بمقولات هذا البعض من دون تمحيص..

٢ - كما أن درجة الخلل في ما يقدمه هذا البعض للناس: قد بلغت حداً جعلني لا أغالي إذا قلت: إنني كثيراً ما لا أحتاج إلى أكثر من فتح أي كتاب لأجد الخلل ماثلاً أمامي فأبادر إلى تسجيل التحفظ عليه، من دون حاجة إلى بذل جهد كبير في التنقيب والاختيار.

٣ - بل إن جملة من عناوين هذا الكتاب المختلفة قد اختار أحد الأخوة لي مواردها من كتاب من وحي القرآن بصورة سريعة، لم يحتج معها إلى أكثر من تصفح سريع له.. مع أن هذا الأخ ليس عالماً، ولا يحمل شهادات عالية، وإنما هو إنسان واع سليم الفطرة طاهر الذات مؤمن ملتزم، والملفت هنا: أن هذا الأخ لا يعمل في القطاع

الثقافي، ولا يدعي لنفسه شيئاً من العناوين في هذا الاتجاه.  
 بل هو عامل عادي يمارس لنفسه حرفة يعتاش منها هو وعائلته  
 كأى إنسان صاحب حرفة نافعة في هذا المجتمع الواسع.  
**وهذا يعطى:** أن إدراك خطأ مقولات هذا البعض لا يحتاج إلى  
 التخصص في جامعات الشرق والغرب، فالمكابرة في أمر هذا  
 البعض تصبح غير ذات قيمة، ولا مجال لتبريرها.

**٤ - وبعد كل الذي تقدم.. نقول:** إن بعض مقولات هذا الرجل  
 إنما نذكرها لأجل أن نجعل القارئ يتلمس بنفسه كيف أن هذا البعض  
 يسعى لوضع علامات استفهام، وإثارة شبهات، وتغيير الإعتقاد ليس  
 فقط في أبسط الأمور بل وحتى في أمور لا يخطر على بال أحد أنها  
 تدخل في نطاق اهتمامات هذا البعض..

ولعل ما ذكرناه في هذا الكتاب يكفي لإعطاء القارئ التصور  
 الحقيقي الذي يسعى إليه هذا البعض وما يؤسس له.

ولا أريد الإطالة على القارئ الكريم، بل أترك له المجال لمتابعة  
 أقاويل هذا البعض بعيداً عن أية انفعالات تبعده عن متابعة البحث  
 بروح الإنصاف وبوجوب الابتعاد عن العناد، وعن التجني  
 والاعتساف. فإلى ما يلي من صفحات:

٥٩١ - بعض الناس (!! ) يقولون: ليس للنبي بنات غير الزهراء.

٥٩٢ - ظاهر القرآن يؤكد أن للنبي عدة بنات.

٥٦٣ - لو كان للنبي بنت واحدة لم يخاطبه بالجمع «وبناتك».

٥٦٤ - يتحدث القرآن عن واقع لا عن أشياء فرضية.

٥٦٥ - مشهور المؤرخين يقول بتعدد بناته «صلى الله عليه وآله».

### سئل البعض:

هل صحيح أن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان لديه بنات غير السيدة الزهراء «عليها السلام» من السيدة خديجة «عليها السلام»؟!

### فأجاب:

«هناك خلاف حول هذا الأمر، هناك بعض الناس الذين يقولون أن ليس للرسول «صلى الله عليه وآله» من البنات إلا الزهراء «عليها السلام»، وقد أشار إلى ذلك أحد كبار الشعراء أحمد شوقي حين قال:

ما تمنى غيرها نسلًا ومن يلد الزهراء يزهد في سواها

لكن هناك رأياً آخر يقول: إن للرسول «صلى الله عليه وآله» أربع بنات: زينب زوجة أبي العاص، ورقية وأم كلثوم، يقال تزوجهما عثمان، والزهراء «عليها السلام»، وربما يؤكد هذا البعض قوله: إن الله تعالى تحدث مع النبي «صلى الله عليه وآله» عن بنات (١) (قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ) ، فهو لم يتحدث عن ابنة واحدة، وإنما تحدث عن بنات، مما يدل حسب رأي هذا الفريق بأن هناك أكثر من

(١) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

(١)

بنت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..» .

ثم إن هذا البعض قد بيّن في مورد آخر: أن هذا القول الأخير هو الأصح.. وهو الذي يتبناه.

**فقد سئل:**

قرأت للشيخ المفيد في «المسائل العكبرية» قوله: إن بنات النبي «صلى الله عليه وآله» أكثر من واحدة، وهنّ: فاطمة، ورقية، وأم كلثوم، فهل هذا محل وفاق أم يختلف فيه العلماء؟!

**فأجاب:**

(٢)

«إن ظاهر القرآن يؤكد ذلك (قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ) ، فلو لم يكن لديه إلا بنت واحدة، فكيف يخاطبه القرآن بالجمع؟! فهو هنا يتحدث عن واقع لا عن أشياء فرضية، فظاهر القرآن يدل على أن للنبي «صلى الله عليه وآله» أكثر من بنت، ومشهور المؤرخين كذلك، وإن كان بعضهم يقول: إنه ليس لديه بنات سوى الزهراء (٣) «عليها السلام»..» .

**ثم هو يقول:**

«ولكن.. هل كان للنبي «صلى الله عليه وآله» بنات غير فاطمة

(١) الزهراء المعصومة ص ٣٩ و ٤٠.

(٢) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

(٣) الندوة ج ٥ ص ٤٨١.

«عليها السلام»؟!

إن من المعلوم تاريخياً: أنه قد ولد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عدة ذكور، لكنهم ماتوا صغاراً. وأما البنات فمن المعلوم تاريخياً أيضاً، بل المشهور والمتسالم عليه بين محققي الفريقين ومؤرخيهم: أنه كان للنبي «صلى الله عليه وآله» من البنات: زينب، وأم كلثوم، ورقية، وأنهن عشن، وتزوجن.

وإن ذهب شاذ من المعاصرين، تبعاً لشاذ من المتقدمين إلى نفي كون هؤلاء من بنات النبي «صلى الله عليه وآله»، مدعياً أنهن ربائب له.

وهذا من أغرب الآراء، وأعجبها، كونه مخالفاً لصريح القرآن الكريم في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ).

وسئل:

هل صحيح أن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان لديه بنات غير السيدة الزهراء «عليها السلام» من السيدة خديجة «عليها السلام»؟!

فأجاب:

«المشهور: أن للرسول «صلى الله عليه وآله» أربع بنات: زينب

زوجة أبي العاص، ورقية، وأم كلثوم، يقال: تزوجتا من عثمان، والزهراء.

وإننا نلاحظ: أن الله تعالى تحدث مع النبي «صلى الله عليه وآله» عن بنات (قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ) (١). فلم يتحدث عن ابنة واحدة، وإنما تحدث عن بنات، ما يدل على أن هناك أكثر من بنت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..» .

### وقفة قصيرة:

### ونقول:

١ - إن ما استدل به هذا البعض لا يمكن قبوله، حيث إنه هو نفسه يصرح: بأن القرآن إنما يتحدث عن العناوين العامة، ولا يدخل في التفاصيل.

وقد وجدنا: أن القرآن حين أثبت الولاية لأمر المؤمنين «عليه الصلاة والسلام»، قال: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ (٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) .

وهذه الآية قد نزلت في خصوص أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام» حينما تصدق بخاتمه على الفقير، وكان ذلك منه «عليه

(١) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

(٢) المصدر السابق ص ٣٥٠.

(٣) الآية ٥٥ من سورة المائدة.



السلام» في حال ركوعه في صلاته، وقد ثبت ذلك بالروايات المعتبرة والصحيحة التي رواها المسلمون في كتب تفاسيرهم، وفي مجاميعهم الحديثية وغيرها..

**وقد لاحظنا:** أنه سبحانه قد جاء بصيغة الجمع، فقال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ). ولم يقل الذي آمن وأقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع مع أنه لا يقصد سوى فرد واحد بعينه، وخصوص واقعة معروفة ومحددة.

ولو صح ما ذكره هذا البعض لكان لا بد من القول: إن المقصود هو أشخاص كثيرون، ولا ينحصر الأمر بعلي «عليه السلام» إلا أن يدعي أيضاً: أن هذه الآية لم تنزل في إمامة أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، كما ادعى أن آية: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ).. لم تنزل في الأئمة الإثني عشر.. وقد ذكرنا طائفة من الآيات التي دلت النصوص المروية من طرق الشيعة، والسنة على نزولها في علي، وأهل البيت «عليهم السلام»، لكن هذا البعض ينكر ذلك، فراجع ما ذكرناه في هذا الكتاب بفصوله المختلفة.

٢ - إن الله سبحانه في آية المباهلة يقول: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ

(١)

وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ .

فقد قال: (وَيْسَاءَنَا) بصيغة الجمع، مع أن المقصود هو خصوص الزهراء «عليها السلام»، وهي فرد واحد. وقد دلت بالآية النصوص الكثيرة التي رواها السنة والشيعة على أنها هي المقصودة..

ومن يدري فلربما يأتي الوقت الذي ينكر فيه هذا البعض حتى هذا الأمر أيضاً.. وإن غداً لناظره قريب.. كما أنه سبحانه قال: (أَبْنَاءَنَا) ويقصد بذلك الحسن والحسين - «عليهما السلام» - وهما اثنان فقط.

٣ - كما إنه تعالى يقول: (قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) والمقصود هم المعصومون منهم دون سواهم، من ذوي قرباه «صلى الله عليه وآله».

٤ - وقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) ويقصد الخمسة أصحاب الكساء، دون كل من عداهم من أهل بيته «صلى الله عليه وآله» إذ لا شك في عدم دخول العباس وابنائه وعقيل وجعفر وو.. نعم إن هؤلاء جميعاً غير داخلين في المراد من

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٣) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

الآية فضلاً عن نسائه صلى الله عليه وآله.

وأما بالنسبة لبقية الأئمة الإثني عشر صلوات الله وسلامه عليهم فقد جاء في الروايات عن أهل بيت العصمة أنهم داخلون في المراد من الآية أيضاً.

٥ - فقله تعالى: (وَبَنَاتِكَ) <sup>(١)</sup> أيضاً يقصد به خصوص الزهراء «عليها السلام» إذ قد دل الدليل على عدم وجود بنات للنبي «صلى الله عليه وآله» سواها.

وقد ذكرنا طائفة من هذه الأدلة في كتابنا: «بنات النبي «صلى الله عليه وآله» أم ربائبه».

### ومن هذه الأدلة:

١ - النصوص التي ذكرت: أن أبناء رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومنهم فاطمة «عليها السلام» قد ولدوا بعد البعثة .

٢ - إن سورة الكوثر قد نزلت بعد موت أبناء رسول الله «صلى

(١) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

(٢) راجع: البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٦ وج ٤ ص ١٣٩ ونسب قريش ص ٢١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٧ ونخائر العقبى ص ١٥٢ والبداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٩٤ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٢٨١ والروض الأنف ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨.

الله عليه وآله»، وقول العاصم وغيره: قد انقطع نسله، فهو أبتَر، فمات القاسم أولاً، ثم مات عبد الله (٣) وحين مات القاسم كان عمره سنتين، وهو أكبر ولده، وقيل عاش حتى مشى .

وقد مات القاسم بعد النبوة كما تدل عليه الأحاديث والنصوص .

وكانت فاطمة «عليها السلام» هي آخر من ولد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» (٤) .

وذلك كله يدل على أنه لم يكن له «صلى الله عليه وآله» بنات تزوجن في الجاهلية بأبناء أبي لهب ثم طلقوهن، ثم لما بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» تزوجت إحداهن من عثمان، وهاجرت معه في السنة الخامسة إلى الحبشة.

٣ - إن هناك أقوالاً في تاريخ زواج خديجة برسول الله، لا يمكن معها القول بأنها قد ولدت له بنات وكبرن، وتزوجت اثنتان منهن بابني أبي لهب، ثم لما بعث «صلى الله عليه وآله»، طلقنا منهما،

---

(١) راجع مصادر ذلك في كتابنا بنات النبي أم ربائبه ص ٤٤ - ٤٦ .

(٢) راجع المصدر السابق ص ٤٧ - ٥٠ .

(٣) راجع تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٢ والروض الأنف ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥ .

(٤) راجع: مختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ و راجع: الدر المنثور

ج ٦ ص ٤٠٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨ و راجع: الوفاء ص ٦٥٥

ومصادر أخرى في كتابنا: بنات النبي أم ربائبه ص ٤٤ و ٥٩ حتى ٦٢ .

وتزوجتا بعثمان..

حيث قيل: إن خديجة «عليها السلام» قد تزوجت برسول الله  
(١) «صلى الله عليه وآله» قبل البعثة بخمس سنين .  
(٢) وقيل: قبلها بثلاث سنين .

٤ - إن إحدى هاتين البنيتين هي أم كلثوم - التي يدَّعون أنها بعد أن  
طلقت من ابن أبي لهب - قبل الدخول -!! بقيت عزباء إلى أن تزوجها  
عثمان أيضاً بعد موت أختها بعد الهجرة بمدة.

**والملفت:** أننا لا نجد لها ذكراً في جملة النساء اللواتي هاجرن مع  
علي، بوصية من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. بل ذكرت  
(٣) الفواطم، وأم أيمن، وجماعة من ضعفاء المؤمنين .

٥ - وهناك رواية ذكرها أبو القاسم الكوفي مفادها: أن زينب  
ورقية كانتا بنتين لزوج أخت خديجة من امرأة أخرى، فمات التميمي  
وزوجته، وبقيت الطفلتان، فضمتها خديجة إليها، فهما ربيبتا خديجة  
(٤) ورسول الله «صلى الله عليه وآله» .

(١) الأوائل ج ١ ص ١٦١.

(٢) راجع: سيرة مغلطاي ص ١٢ عن ابن جريج، وراجع: مجمع الزوائد ج ٩  
ص ٢١٩ والأوائل ج ١ ص ١٦١.

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٣.

(٤) راجع: الإستغاثة ج ١ ص ٦٨ و ٦٩ ورسالة مطبوعة طبعة حجرية مع  
كتاب مكارم الأخلاق ص ٦.

٦ - ذكر ابن شهر آشوب: أن زينب ورقية كانتا «ابنتي هالة أخت خديجة» كما في كتابي الأنوار والبدع .

وقال ابن شهر آشوب أيضاً: «..وفي الأنوار، والكشف واللمع، وكتاب البلاذري: أن زينب ورقية كانتا ربييتيه من جحش» .

٧ - على أن من يدعي: أن للنبي بنات غير فاطمة فإنما يقول: إنهن بناته «صلى الله عليه وآله» من خديجة.. مع أن خديجة حسبما تؤيده الشواهد والأدلة قد تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكرأ، ولم تكن قد تزوجت من أحد قبله «صلى الله عليه وآله».

### ويدل على ذلك عدة أمور:

ألف: تناقض الروايات حول هذا الزوج المزعوم، وتاريخ هذا الزواج، وكم ولدت؟! ومن ولدت له؟! .

ب: إن التي تمتنع من الزواج بأشرف قريش، لا تتزوج أعرابياً من بني تميم، ولو فعلت ذلك لعيرت به .

وهذا البعض قد استدل بتعبير العرب على نفي ضرب الزهراء

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٥٩ وبحار الأنوار، وقاموس الرجال، وتنقيح المقال، كلهم عن المناقب.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٦٢.

(٣) راجع: بنات النبي «صلى الله عليه وآله» أم ربابه ص ٨٩ و ٩٠.

(٤) راجع: الإستغاثة ج ١ ص ٧٠.

«عليها السلام»، المتواتر تاريخياً، فلماذا لا يستدل به على نفي تزوج خديجة من أعرابي؟!

**ج:** قال ابن شهر آشوب: روى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» تزوج بها، وكانت عذراء. **يؤكد ذلك:** ما ذكره في كتابي الأنوار والبدع: أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة، أخت خديجة .

٨ - قد روي عن أبي الحمراء عن النبي «عليه الصلاة والسلام» قوله:

«يا علي، أوتيت ثلاثاً، لم يؤتهن أحد ولا أنا. أوتيت صهراً مثلي، ولم أوت أنا مثلي.

وأوتيت صديقة مثل ابنتي، ولم أوت مثلها (زوجة).

وأوتيت الحسن والحسين من صلبك، ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني، وأنا منكم» .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٥٩ وعنه في بحار الأنوار، وتنقيح المقال، وقاموس الرجال.

(٢) إحقاق الحق (قسم الملحقات) للمرعشي النجفي ج ٥ ص ٧٤ وج ٤ ص ٤٤٤ عن المناقب لعبد الله الشافعي (مخطوط) ص ٥٠ وعن مناقب الكاشي (مخطوط أيضاً) ص ٧٢ والحديث موجود أيضاً في كتاب: نظم درر

(١)

وقريب منه ما روي عن أبي ذر، مرفوعاً .

فلو كان ثمة من صاهر رسول الله غير علي، لم يصح قوله «صلى الله عليه وآله»: «أوتيت صهراً مثلي، ولم أوت أنا مثلي..» لا سيما وأن هذا الكلام قد جاء بعد ولادة الحسنين «عليهما السلام».

٩ - وفي صحيح البخاري: أن رجلاً حاول أن يسجل إدانة لعثمان ولعلي على حد سواء، فتصدى لابن عمر يحرضه على الخروج كما خرج غيره، فرفض.. فطلب منه أن يخرج ليصلح بين طائفتين من المؤمنين اقتتلوا.. فيقاتل التي تبغي.. وقاتلوه حتى لا تكون فتنة، فرفض أيضاً.

فقال له: فما قولك في علي وعثمان؟!

قال: أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه.

أما علي، فابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وختنه، وأشار بيده، فقال: وهذا بيته حيث ترون .

**فلاحظ:** أن دفاع ابن عمر عن عثمان، قد اقتصر على أنه حين

السمطين للزرندي الحنفي ص ١١٤ ولا بأس بمراجعة ص ١١٣ ومراجعة مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٠٩.

(١) ينابيع المودة ص ٢٥٥ وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج ٧ ص ١٨.

(٢) صحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩ هـ) ج ٣ ص ٦٨.



فر يوم أحد قد عفا الله عنه، لكن الخارجين عليه لم يعفوا عنه، بل قتلوه..

ولم يذكر أنه صهر رسول الله، أو نحو ذلك..

أما بالنسبة لأمير المؤمنين «عليه السلام» فقد وصفه بأنه ابن عم رسول الله، وصهره وكون بيته ضمن بيوت رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فلو كان عثمان صهراً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لكان على ابن عمر أن يستدل به أيضاً، كما استدل به بالنسبة لأمير المؤمنين «عليه السلام» لأنه بصدد الاستدلال بكل ما يساعد على دفع التهمة عن عثمان.. فلا معنى لترك الاستدلال القوي الدال على ثقة رسول الله به، والتمسك بدليل ضعيف وسخيف.

لأن العفو عن الفارين يوم أحد كان مشروطاً بالتوبة.. وهذا إنما يشمل الذين عادوا مباشرة بمجرد معرفتهم بسلامة رسول الله، لا بالنسبة لمن لم يعد من فراره إلا بعد ثلاثة أيام.

**ولو سلمنا:** أن الله قد عفا عنه.. فلا يلزم من ذلك لزوم عفو الناس عنه أيضاً، بعد أحداثه التي ارتكبها بحقهم.

بل إن عفو الله سبحانه في أحد بهدف التأليف والتقوية في مقابل العدو، لا يلزم منه عفو عنه بعد ذلك إذا كان قد ارتكب في حق المسلمين ما يوجب العقاب فضلاً عن أن يوجب ذلك عفو الناس.

١٠ - وأخيراً.. فإننا نلفت النظر إلى أن هذا البعض قد اعترف

بأن خطبة الزهراء «عليها السلام» في المهاجرين والأنصار موثوقة وهو بنفسه أيضاً قد شرح هذه الخطبة، وقد جاء فيها إشارة إلى حقيقة أن الزهراء كانت هي البنت الوحيدة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حيث قالت «عليها السلام»: «فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه».

ولو كانت زوجتا عثمان ابنتين لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لكان عثمان اعترض، وقال: إن رسول الله كان أباً لزوجتي رقية وأم كلثوم، وكذلك كان زوج زينب..

**والغريب:** أن هذا البعض يعلق على هذه الفقرة بقوله:

«تجدوه أبي دون نسائكم<sup>(١)</sup>، فأنا ابنته الوحيدة، ولم تقتصر على الحديث عن نفسها إلخ..» .

وقال: «قد قلنا: إن لرسول الله عدة بنات، كما هو وارد في كتب التاريخ، وكما يظهر من القرآن، لكنه ميز ابنته فاطمة «عليها السلام»<sup>(٢)</sup> عن أخواتها» .

**ونقول:**

إن ذلك لا يصح قولها: «كان أبي دون نسائكم..»، لأنها في مقام إثبات الفضل والتميز..

(١) الزهراء القدوة.

(٢) الزهراء القدوة ص ٢٨٥.

## وفي الختام نقول:

إنه قد يكون ثمة بنات قد ولدن لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وسماهن زينب ورقية وأم كلثوم، لكنهن متن وهن صغار.

حتى وصفه العاص بالأبتر ونزلت سورة الكوثر.. وصدق الله سبحانه له وعده وولدت الزهراء، وأعطاه الكوثر، هذا بالإضافة إلى وجود ربيبات له «صلى الله عليه وآله» اسمهن أيضاً: زينب، ورقية، وأم كلثوم. ثم تزوج عثمان باثنتين من تلك الربائب، وتزوج أبو العاص بن الربيع بالثالثة، غير أن ما يلفت نظرنا هو أن هذا البعض يصر على وجود بنات أخريات لرسول الله «صلى الله عليه وآله» سوى الزهراء «عليها السلام»؟!!

فهل إن ذلك يدخل في نطاق الغيرة على الحقيقة التاريخية؟! خصوصاً تلك التي تؤدي إلى إساءة خدمة لعثمان بن عفان، حيث ينال بذلك فضيلة جليلة، تفيده في تأكيد صلاحيته لمقام خلافة النبوة، ودفع غائلة الحديث عن اغتصابه هذا الموقع من صاحبه الحقيقي، وفقاً للنص الثابت بالأدلة القطعية، والبراهين الساطعة والجلية؟!!

ويزيد تعجبنا حين نعرف أن هذا البعض يشترط اليقين في الأمور التاريخية، وبديهي: أن مجرد وجود ظاهر لفظي لا يفيد اليقين. كما أن الشهرة بين المؤرخين لا تفيده.. ولا ندري كيف يشترط ذلك الشرط، ويستدل بهذه الأدلة!!!?



## الفصل الثالث

التشكيك في فضائل الزهراء ÷ وإنكارها..



## بداية:

لقد دأب هذا البعض على إثارة الشبهات حول الكثير من فضائل أئمة أهل البيت «عليهم السلام» والزهراء أيضاً «عليها السلام».. كما يثير الشبهات حول كثير من كرامات الأنبياء ومقاماتهم، وما تفضل الله سبحانه به عليهم..

ونحن نشير هنا إلى بعض من ذلك، مع الالتزام بعدم التعدي عن ما ذكره حول سيدة النساء الصديقة الطاهرة - «صلوات الله وسلامه عليها» - حيث سنكتفي ببعض ما قاله عنها، لأن هذا القسم مخصص لإعطاء لمحة عن مقولاته فيها، من دون أن يكون هدفنا استقصاء ذلك..

## فنقول:

٥٩٦ - تفضيل فاطمة على مريم سخافة.

٥٩٧ - تفضيل الزهراء على مريم تخلف ورجعية.

٥٩٨ - تفضيل فاطمة على مريم لا ينفع من علمه ولا يضر من

جهله.

٥٩٩ - تفضيل فاطمة على مريم ترف فكري.

٦٠٠ - لا خلاف بين فاطمة ومريم، فلماذا نختلف نحن..

**يجيب البعض على سؤال:**

أيهما أفضل فاطمة بنت محمد «صلى الله عليه وآله»، أم مريم بنت عمران؟!

**فيقول:** «هذا علم لا ينفع من علمه، ولا يضر من جهله، بل هو مجرد ترف فكري».

**ويقول مرة أخرى:**

«هو سخافة، ورجعية، وتخلف».

**ويقول:** «إذا كان لا خلاف بين مريم، وفاطمة حول هذا الأمر، فلماذا نختلف نحن في ذلك، لفاطمة فضلها، ولمريم فضلها، ولا مشكلة في ذلك».

**ونحن نقول:**

١ - إن النبي نفسه «صلى الله عليه وآله» والأئمة الطاهرين «عليهم السلام» هم الذين تحدثوا عن فضل فاطمة على نساء العالمين، وعن أنها سيدة نساء العالمين جميعاً، أما مريم فإنها سيدة نساء عالمها.

ولا يمكن أن تكون أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام».. في جملة العلوم التي لا ينفع علمها، ولا يضر جهلها.. فإن همهم «صلوات الله وسلامه عليهم» هو هداية الناس، ودلائلهم على كل ما يقربهم من الجنة، ويبعدهم عن النار.. وليسوا



بالذين يمارسون الثرثرة غير المفيدة أبداً..

٢ - إن ما يصدر عن النبي وعن أهل بيته الطاهرين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين» لا يجوز أبداً أن يوصف بالرجعية وبالتخلف والسخافة، والكل يعلم حكم من يصف المعصومين بأمثال هذه الاوصاف!!

٣ - وهل قول الله تعالى لمريم (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (١) هو الآخر من الترف الفكري، أو أنه من مفردات الرجعية والتخلف؟!

٤ - إن معرفة الأفضل: مريم أم فاطمة، لا يعني وجود اختلاف فيما بين الناس الى درجة يحتاج معها الى حله، أو الى تجنبه، أو الى القيام بعملية مصالحة أو تهدئة.. فإن هذا النوع من الاختلاف لا يحتاج الى أكثر من بيان الحقيقة، وإزالة الجهل بمقام أولياء الله وأصفائه.

٥ - إن هذا العلم ينفع من علمه بالتأكيد، لأنه يزيده معرفة بالأسوة والقدوة، ويزيده تعلقاً بها، وحباً لها، واهتماماً بالتواجد في مواقع رضاها، وتجنب كل ما يسخطها، خصوصاً إذا كانت شاهدة على الناس حسبما أقر به هذا البعض..

وهذه المعرفة تزيد في رسوخ الإيمان، وتعميق الارتباط بالزهراء القدوة، ويعرفنا ذلك بمدى سوء وقبح بشاعة وفضاعة

---

(١) الآية ٤٢ من سورة آل عمران.

الإجرام الذي ارتكبه الظالمون في حقها.

٦ - واللافت: أن ابن تيمية لم يزل يؤكد في كتابه «منهاج السنة» على مقولة: أن لاداعي للاختلاف فيما بيننا فقد مات علي «عليه السلام» ومات أبو بكر وعمر، وأصبحوا في ذمة التاريخ. وهذه المقولة بالذات لم يزل هذا البعض يرددها في أجوبته المكتوبة وغيرها، وتجد في هذا الكتاب بعضاً من ذلك.

٦٠١ - لا حاجة فيما يفيض التاريخ فيه حول زواج الزهراء.

٦٠٢ - لا حاجة لنا فيما يذكر من جوانب غيبية واحتفالات السماء في ذلك الزواج.

٦٠٣ - ماذا ينفع أو يضر أن نعلم أن الزهراء نور أو ليست بنور.

٦٠٤ - ليس في التاريخ ما يشير الى نشاط اجتماعي إلا في رواية أو روايتين.

### يقول البعض:

«إن التاريخ يفيض فيما لا حاجة لنا فيه في مسألة زواج الزهراء «عليها السلام»، والجوانب الغيبية في ذلك الزواج، فيما تحتفل به السماء، وغير ذلك مما يتعلق بهذا الأمر».

كما أن هذا البعض يتحفظ على الحديث الذي يقول بوجود عناصر غيبية أو خصوصيات غير عادية في شخصية الزهراء «عليها السلام».

«وماذا ينفع أو يضر - على حد تعبيره - أن نعرف أو نجهل، أن الزهراء «عليها السلام» نور (٢) ليست نوراً؟! فإن هذا علم لا ينفع من علمه، ولا يضر من جهله» .

### ويقول:

«المفارقة: أننا نجد التاريخ قد افاض فيما لا يرتبط بالناحية العملية من حياتها، مثل قضية احتفالات السماء في قصة زواجها» .

وهذه هي نفس العبارة السابقة، لكن أجريت عليها تعديلات، بهدف التخفيف من حدة ردة الفعل.

### ويقول:

«لا نجد في التاريخ ما يشير الى نشاط اجتماعي للسيدة فاطمة (٣) في داخل المجتمع الإسلامي إلا في رواية أو روايتين..» .

### وقفة قصيرة:

ونقول إننا نسجل على ما تقدم ما يلي:

١ - إنه لا يصح تسخيف أمور غيبية، والتقليل من أهميتها بهذه الطريقة، ما دام أن النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة الطاهرين

---

(١) الزهراء القدوة ١٢٠.

(٢) راجع كتاب: مأساة الزهراء ج ١ ص ٨٣.

(٣) راجع: مأساة الزهراء ج ١ ص ٤٩.

«عليهم السلام» هم الذين تصدوا لبيانها، أو يحتمل ذلك على الأقل..  
 فإن كل ما قاله الأئمة المعصومون والأنبياء المكرمون لنا أو  
 يحتمل أنهم قالوه، لا يمكن تسخيفه، أو التقليل من أهميته لا بهذه  
 الطريقة، ولا بغيرها..

**خصوصاً،** وأن فتح هذا الباب سيؤدي الى انحسار الثقافة الغيبية،  
 فيما يرتبط بالله سبحانه، وبمعرفة أنبيائه، وأوليائه وأصفيائه، وبكثير  
 من حقائق الدين والإيمان.

ولسوف يؤثر ذلك بطريقة أو بأخرى في إضعاف الارتباط بهذه  
 المواقع الإيمانية، ويضعف من ثم حوافز كثيرة ذات مناح مختلفة  
 تؤثر في السلوك وفي المواقف، وفي مستوى وعي الحقائق الإيمانية  
 بصورة عامة.

### والخلاصة:

إن النصوص التي تتحدث عن زواج السيدة الزهراء، وعن  
 جوانبه الغيبية، وعن احتفالات السماء بزواجها وعن خصوصيات  
 غير عادية في شخصيتها، وعن أنها «عليها السلام» كانت نوراً معلقاً  
 في ساق العرش أو نوراً محدقاً بالعرش قبل خلق الخلق، وغير ذلك..  
 هي من العلوم التي تنفع من يعلمها، ويضر جهلها من جهلها، ولولا  
 ذلك لم يبادر المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إلى تعليمنا إياها..  
 فإنه ليس بالذي يلعب معنا في مثل هذه الأمور، ولا في غيرها.

٢ - إن النصوص التي تتحدث عن امتياز الزهراء «عليها

السلام» بأمور ليست لسواها هي من الكثرة بحيث تثبت هذا الامتياز لها «عليها السلام» - حتى ليكون إنكار ذلك جريمة كبيرة في مستوى إنكار حقيقة جاء بها رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ومهما يكن من أمر، فإن كل هذه الغيوب المرتبطة بالزهراء «عليها السلام» هي كغيرها من مفردات الغيب الكثيرة، جزء من هذا الدين، ولها دورها وأهميتها البالغة في صياغة الشخصية الإيمانية، والإنسانية، والرسالية بما لها من خصائص تتبلور من خلالها الشخصية الإسلامية الحقيقية..

(١)

وللمزيد من التوضيح راجع كتاب مأساة الزهراء (١)، فقد ضمّناه بحثاً حول الإيمان بالغيب، يحسن الرجوع إليه، والوقوف عليه.

٦٠٥ - عدم العادة الشهرية للزهراء حالة مرضية.

٦٠٦ - عدم العادة نقص في الأنوثة، وفي شخصيتها كامراًة.

٦٠٧ - عدم العادة ليس فضيلة ولا كرامة للزهراء.

٦٠٨ - القول بعدم العادة من السخافات.

**ويقول أيضاً:**

«إن عدم رؤية السيدة الزهراء للعادة الشهرية يعتبر حالة مرضية تحتاج الى العلاج، أو هي على الأقل نقص في أنوثتها، وفي شخصيتها كامراًة، ولا يمكن عد ذلك من كراماتها وفضائلها، وكذا

---

(١) مأساة الزهراء ج ١ ص ٨٥ - ٩٢.

الحال بالنسبة لدم النفاس».

### بل يصف هذا البعض:

«القول بتنزه الزهراء عن الطمث والنفاس بأنه من السخافات».

### وقفه قصيرة:

١ - لقد تحدثنا في كتاب مأساة الزهراء «عليها السلام» عن هذا الأمر، وذكرنا أربعة وعشرين حديثاً مروياً في كتب الشيعة أو السنة أو هما معاً، تثبت كلها: أن الزهراء «عليها السلام» منزهة عن هذا الأمر، فمن أرادها فليراجعها.

٢ - إن الآية الشريفة قد قررت: أن المحيض للمرأة هو من جملة الأذى، واعتبرته بعض الروايات اعتلالاً.

كما أن بعض الروايات اعتبرت هذا التنزه من مفردات الطهارة.

وقالت روايات أخرى: إن ذلك من خصوصيات بنات الأنبياء.

٣ - وبعد.. فإن من يكون مسلماً لأقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والأئمة «عليهم السلام» لا يمكن أن يعتبر القول بتنزيه الزهراء عن الحيض والنفاس من السخف، بل عليه أن يقبل بذلك، ويسلم به، وإن لم يدرك عقله السبب في ذلك.. ولا يمكن أن يكون شيء مما يقوله المعصوم سخيلاً، أو خاطئاً أو غير مفيد لمن علمه.

٤ - إنه قد يحدث لبعض النساء أن لا ترى دم نفاس ولا حيض أبداً، أو أنها ترى منه الشيء اليسير، ولا يعد ذلك نقصاً في أنوثتها،

ولا في شخصيتها كامرأة..

بل نجد ذلك يقع موقع الاستحسان والغبطة من مثيلاتها ورفيقاتها.

٥ - إن حالة الحيض والنفاس حدث يقعد المرأة عن الصلاة، وعن الصوم، وعن دخول المساجد، وذلك يحجزها عن أن تعيش الأجواء الروحية بكل حيويتها وصفائها وقوتها..

٦ - إن الله قادر على أن يخلق المرأة التي لا تحيض دون أن ينقص ذلك من أنوثتها، ودون أن يغير في طبيعتها.

٧ - وبعدما تقدم، فإن اختصاص السيدة الزهراء «عليها السلام» بهذه الخصوصية تمييزاً لها عن سواها، يعتبر تكريماً وتشريفاً لها، واهتماماً بها، فهو إذن كرامة لها منه تعالى، وفضل لها على من سواها.

٨ - وأخيراً، فإن اعتبار عدم الطمث في المرأة نقصاً إنما هو من جهة ما يصاحبه من العقم وعدم القدرة على الإنجاب، وأما إذا قدر الله لامرأة - كالزهراء «عليها السلام» - أن تنتزه عن الطمث مع كمال القدرة على الإنجاب، خصوصاً انجاب أولاد كالحسين وزينب «عليهم السلام» جميعاً فإن ذلك يكون الغاية في كمال المرأة وطهارتها وسلامتها.





## الفصل الرابع

الجرأة على

مقام الزهراء ÷ وأبيها ..



## بداية:

إننا نذكر في هذا الفصل مفردات من مقولات البعض، التي تضمنت جرأة صريحة على مقام الصديقة الطاهرة المعصومة، والشهيدة المظلومة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، وعلى أبيها، وعلى بعلمها وبنيتها..

ولا ندري كيف سيبرر ذلك، وبماذا سيجيب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأمير المؤمنين «عليه السلام» حين يسألانه عن ذلك يوم القيامة.

ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..

بل ننقل القارئ إلى الصفحات التالية ليجد فيها بعضاً من مقولاته تلك، فنقول:

٦٠٩ - النبي «صلى الله عليه وآله» يحرك فاطمة الزهراء «عليها السلام» برجله.

٦١٠ - الزهراء «عليها السلام» تحتاج إلى من يوقظها للصلاة.

٦١١ - لعل الزهراء كانت تجهل بوجوب الاستيقاظ للصلاة.

٦١٢ - لا يوجد بروتوكول بين النبي «صلى الله عليه وآله» وابنته «عليها السلام».

وفي خطبة له عامة سمعها القاضي والداني بثتها إذاعة محلية تابعة له ذكر هذا البعض رواية يرويها أهل السنة في كتبهم - كالسيوطي - تقول:

«إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حرك فاطمة الزهراء عليها صلوات الله وسلامه وبرجله، وهو يوقظها لصلاة الصبح، وقال لها: قومي يا بنية لا تكوني من الغافلين، ولكي تنالي شفاعة الأنبياء».

وحين ضجت الساحة بالإعتراض عليه: أنه كيف يورد ذلك في محاضراته وعبر الإذاعات، وهو يتضمن الحط من مقام الزهراء المعصومة.. وطولب بذلك، أصر على موقفه، واستدل على صحته بأمرين:

**أحدهما:** إنه لا يوجد بروتوكول بين النبي «صلى الله عليه وآله» وابنته «عليها السلام».

**الثاني:** إن هناك حديث صعود الحسنين «عليهما السلام» وهما طفلان على ظهر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال لهما «صلى الله عليه وآله»: نعم الجمل جملكما، ونعم الراكبان أنتما.

**والأغرب من ذلك:** أن أحد اللبنانيين الذين يسكنون في قطر اعترض عليه بأنه كيف يصح أن تنام الزهراء عن الصلاة، وهي المرأة المعصومة!؟

**فأجابه ذلك البعض بقوله:**

«لعلها لم تكن تعرف هذا الحكم الشرعي، فأراد النبي «صلى الله

عليه وآله» أن يعلمها إياه».

وهذه القضية مما شاع وذاع عنه - خصوصاً الشريط الذي يسجل  
حوار هذا البعض مع ذلك الذي يسكن في قطر (١) . ويقال: إن اسمه  
هو أبو تراب.

### وقفه قصيرة:

### ونقول:

إن هذا الكلام خطير جداً، لم نكن نظن أن يصدر عن أحد من

(١) وقد ذكر هذا البعض في نفس الشريط: «أن رجلاً سأل الإمام الصادق  
«عليه السلام» أن يحلل له الفروج، ففزع الإمام «عليه السلام»، فقال له  
أحدهم: إنه لا يقصد تحليل الفروج المحرمة، بل يقصد: أن تحللوا له  
نصيبكم من الأمة التي يملكها، فأذن له الإمام حينئذ.. فكيف يفزع الإمام  
من كلمة..

كما أن الإمام في بعض الحالات يفتش عن أشياء، ويقول: ما كنت عارفاً  
أين توجد..».

ونقول: إن الظاهر من سياق كلام هذا البعض: أنه يريد أن يتهم الإمام  
الصادق «عليه السلام» بأنه لا يعرف اللغة العربية، وقد فهم الكلام خطأ  
حتى إنه يفزع من كلمة، ويأتي شخص آخر عادي، فيعلم الإمام بمراد  
السائل.. وكل ذلك لأجل أن ينفي الولاية التكوينية!! فإن من يفهم الأمور  
خطأ، ويضيع بعض الأشياء ولا يعرف أين توجد.. لا يمكن أن يكون له  
ولاية تكوينية..

الناس.. ولا نرى أنه يحتاج إلى تعليق، غير أننا نعيد إلى ذهن القارئ الأمور التالية:

١ - إن هذا البعض يقول: «إن العصمة إجبارية»، فكيف نتصور المعصوم بالإجبار ينأى عن صلاته.. أو يمكن أن يكون من الغافلين. ألا يستبطن ذلك نسبة العجز إلى الله سبحانه عن أن يجبر عبده على التزام خط الطاعة؟!

٢ - كيف نتصور الزهراء «عليها السلام» التي يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها والتي لولا وجود علي «عليه السلام» لم يكن لها كفؤ: آدم «عليه السلام» فمن دونه. وكانت تحدث أمها وهي في بطنها، وكانت نوراً محدقاً بالعرش، كيف نتصورها على غاية الجهل بأبسط الأحكام الشرعية وهو لزوم الإستيقاظ لصلاة الصبح؟! وهو الحكم الذي يعرفه حتى الأطفال الصغار، فضلاً عن الكبار، فكيف بالمعصومين المكرمين، المنتجبين؟! والمصطفين الأخير؟!

٣ - إن سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» مع سيدة نساء العالمين صلوات الله وسلامه عليها هي على خلاف ذلك تماماً، فقد كان «صلى الله عليه وآله» يعاملها بمنتهى التبجيل، والتعظيم والإكرام والاحترام.. حتى لقد روي: «أنه كان إذا دخلت عليه رحب بها، وقبل يديها، وأجلسها في مجلسه» .

٤ - إن الله سبحانه قد جعل للمؤمن حقوقاً، ورسول الله. كان أولى الناس برعاية هذه الحقوق، والزهراء «عليها سلام الله» هي القمة في الإيمان، فكيف ننسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه قد ضيع حقوقها..

وقد روي عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام» قوله: «لأخيك عليك مثل الذي لك عليه».

وعنه «عليه السلام»: «لا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من ضيعت حقه» .

٥ - صحيح أنه لا يوجد بروتوكول بين الأب وابنته.. ولكن ذلك معناه رفع الكلفة فيما بينهما، وليس معناه جواز إهانة أحدهما للآخر، وليس معناه أيضاً تضييع حقوق الآخر..

إلا أن يقول لنا هذا البعض: إنه قد ادعى أن سورة عبس وتولى قد نزلت في رسول الله «صلى الله عليه وآله».. والعياذ بالله، فمن عبس في وجه الفقير، ويتولى عنه، ويتلهى بما لا يجدي استنكافاً عن الحديث معه..

نعم.. إن من يفعل ذلك، فهو جدير بأن يتصرف مثل هذا التصرف هنا، نعوذ بالله من مقولات كهذه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٦ - أما بالنسبة للحديث: نعم الجمل جملكما، أو نعم المطي

---

(١) الحديثان في بحار الأنوار ج ٧١ ص ١٦٥ عن كنز الفوائد للكراچي.

مطيكما، ونعم الراكبان أنتما، أو نعم العدلان أنتما، أو نعم الفارسان أنتما<sup>(١)</sup> على اختلاف التعابير.. فلا يصح أن تبرر به هذه المقولة، إذ إن ملاعبة النبي لابنيه جارية وفق السنة، وهو أمر محبوب،<sup>(٢)</sup> ومطلوب لله، حتى لقد روي: «من كان عنده صبي فليتصاب له».

فلا يقاس عليه ما يكون على سبيل الجد، ويدخل في سياق التعامل الجدي مع شخصية الإنسان الآخر. فلا يحق لأحد أن يحقر إنساناً في تعامله معه، ولا أن يهينه في مقام تسجيل الموقف تجاه شخصيته وكيانه، كما هو الحال في هذه القصة المزعومة.

أما حيث يكون التعامل ليس تعاملاً مع شخص الطرف الآخر، بل يكون مشاركة في إنجاز الواجب فلا يكون للتصرف أي ارتباط بالشخص. فإن الأمر يتجاوز ذلك إلى حد أن نجد النبي «صلى الله عليه وآله» قد أصدع علياً على كتفيه ليحطم الأصنام المعلقة على الكعبة، وليس في ذلك أية إهانة لرسول الله «صلى الله عليه وآله». ما دام أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي أمره بذلك، وما دام أن ذلك يأتي في سياق التعاون على إنجاز الواجب، وتحقيق الأهداف الإلهية في عز الإسلام وإذلال الشرك، والجهد في سبيل الله.

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٨٤ و ٢٨٥

(٢) ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٧٠٠ عن الوسائل ج ١٥ ص ٢٠٣ وعن من لا

يحضره الفقيه ج ٣ ص ٣١٢ - وعن كنز العمال الخبر رقم ٤٥٤١٣

وراجع: الكافي ج ٦ ص ٥٠.



## وخلاصة ما تقدم:

إنه مرة يكون ذلك في مقام الإعزاز والمحبة، كما في ملاعبة النبي «صلى الله عليه وآله» لابنيه الحسن والحسين «عليهما السلام»..

ومرة يكون ذلك في مقام التعاون على إنجاز الواجب، كما في تعاون النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» في إسقاط الأصنام، وصعود علي «عليه السلام» على كتف رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ومرة يكون ذلك في مقام التعامل الطبيعي مع الشخص وتحريكه برجله فيه تعدٍ على شخصية الطرف الآخر بالإضافة إلى ما يتضمنه من اتهام له بالجهل أو الغفلة، أو بعدم المعرفة بالتكليف، والأحكام الشرعية البديهية.

**غير أننا نحتمل:** أن يكون في الرواية بعض التحريف، بأن يكون النص هكذا: حركها برجلها.. بملاحظة: أن الإيقاظ من النوم إذا كان بواسطة تحريك رجل النائم، فإنه ينتبه من نومه بصورة طبيعية وهادئة وبدون ذلك فإنه ينتبه مرعوباً.. وعلى هذا المعنى يحمل ما روي بسند صحيح عن علي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: انتهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أمير المؤمنين وهو نائم في المسجد، قد جمع رماً ووضع رأسه عليه، فحركه برجله، ثم قال: قم يا دابة الله

(١)

الخ..

وروي أيضاً عن أبي سعيد الخدري في حديث جاء فيه: «..فلما قضى رسول الله المغرب مر بعلي بن أبي طالب وهو في الصف الأول فغمره برجله، فقام علي متعقباً خلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى لحقه الخ..» .

فإن المراد كما هو الظاهر: أنه «صلى الله عليه وآله» قد حرك رجل علي «عليه السلام»، في الأولى، وغمز رجل علي «عليه السلام» في الثانية. ولا أقل من أن ذلك محتمل ولا يستلزم شيئاً مما قلناه.

### خرافة: تحريك النبي 'عليه السلام' بقدمه:

وبعد.. فقد يتوهم متوهم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد حرك علياً وعماراً برجله، وذلك في غزوة العشيرة، وذلك في حديث تكنية النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي بأبي تراب..

**وملخص ما ذكره هنا:** أن عمار بن ياسر يروي: أنه ذهب هو وعلي «عليه السلام» إلى نفر من بني مدلج، ينظران إلى كيفية عملهم في عين لهم، فأخذهما النوم، قال عمار: فوالله ما أهبنا إلا ورسول الله

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٣٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٦٠ وفي هامسه عن: تفسير فرات ص ٢١ وكشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ٢٦ - ٢٧ وعن أمالي الصدوق.

«صلى الله عليه وآله» يحررنا بقدمه، فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدعاء، فيومئذ قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي: يا أبا تراب .

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤٧ والآحاد والمثاني (مخطوط في كوبرلي) رقم ٢٣٥، وصحيح ابن حبان (مخطوط)، وبحار الأنوار ج ١٩ ص ١٨٨ ومسند أحمد ج ٤ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٢٣ و ١٢٤ والكامل في التاريخ لابن الأثير (ط صادر) ج ٢ ص ١٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٤٩ و ٢٥٠ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٠ وكنز العمال ج ١٥ ص ١٢٣ و ١٢٤ عن المصنف، والبغوي، والطبراني في الكبير، وابن مردويه، وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن النجار، وغيرهم، وعن ابن عساكر، وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٤٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٦ و ١٠٠ عن الطبراني في الأوسط والكبير، والبزار، وأحمد، ووثق رجال عدد منهم، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٤ وترجمة الامام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج ٣ ص ٨٦ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٦ وطبقات ابن سعد، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٣٠٣.

ونقل أيضاً عن كتاب: الفضائل لأحمد بن حنبل رقم ٢٩٥ والغدير ج ٦ ص ٣٣٤ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ٢٦٦ والإمتاع للمقريزي ص ٥٥.

وعلى كل حال فإن من يراجع غزوة العشيرة في كتب التاريخ والحديث، يجد هذا الحديث مثبتاً في أكثر مصادرها.

## ونقول:

أولاً: إن هذا الحديث حسبما يظهر من المصادر التي ذكرناها في الهامش مروى عن أهل السنة..

وحتى لو رواه الشيعة، فإننا لا يمكن أن نقبل ما ذكر فيه من أمور تنافي عقيدتنا برسول الله «صلى الله عليه وآله» حيث ذكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حرك علياً «عليه السلام» أو حتى عماراً «رحمه الله» برجله.

فإن ذلك ليس فقط يمثل إساءة لعلّي «عليه السلام»، بل هو أيضاً يمثل اتهاماً صريحاً للرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»: بأنه - والعياذ بالله - لا يلتزم قواعد الأدب الإلهي والإنساني في تعامله مع الناس..

أعاذنا الله من الزلل في القول، وفي العمل، إنه سميع مجيب. ولأجل ذلك، فإنه لا يصح الاعتذار عن هذا الأمر: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما حرك عماراً برجله، وليس علياً..

إذ قد كان لعمار أيضاً حقوق لا بد من مراعاتها، ولا معنى للتفريط بها، كما أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وهو المطهر المعصوم المبعوث بمكارم الأخلاق، لم يكن ليرتكب أمراً من هذا القبيل يتنافى مع أبسط الآداب والأخلاق الإنسانية.

إلا إذا التزمنا هنا بوجود تحريف في الرواية، وأن الصحيح هو حركنا بقدمنا.

**ثانياً:** إن المراجع للروايات التاريخية، ولغيرها يجد أن هناك أموراً، وأحداثاً ووقائع، وأقوالاً لرسول الله لا يمكن للمؤرخين والمحدثين تجاهلها أو إهمالها، ولكنها لو نقلت للناس على وجهها الصحيح، لألزمتهم بمواقف وأساليب عمل، واعتقادات وارتباطات، وما إلى ذلك.. تختلف تماماً عما يمارسونه بالفعل، ولتبدلت مفاهيم، وتغيرت هياكل وأطر فكرية كثيرة..

فكان أن مارس الذين يهتمهم توجيه الناس في اتجاهات معينة، في نقلهم لذلك كله نوعاً من التصرفات في نقل الحدث، تحفظ لهم مسارهم الذي وضعوا أنفسهم فيه، من جهة، وتسجل ما يحرجهم تجاهله وإهماله، وتخرجهم من دائرة الإحراج التي يجدون أنفسهم فيها..

وقضية تقنية علي «عليه السلام» بـ «أبي تراب» قد تكون من هذا القبيل، فإنها مما لا يمكنهم تجاهله، بعد أن شاعت وذاعت إلى درجة أن أعداء علي كبنّي أمية كانوا يعيرون أمير المؤمنين «عليه السلام» بها.

فنقلوها للناس بأشكال ثلاثة مختلفة، سعوا فيها جميعاً، وبدون استثناء إلى إدخال إضافات، تبطل مفعولها الذي توخاه رسول الله صلى الله عليه وآله منها.. وتخرجهم من دائرة الإحراج لو أنهم تجاهلوها.

ونحن نشرح هذه الأشكال الثلاثة هنا، مع بعض التوضيح لها فنقول:

## النقل الأول:

إنه «صلى الله عليه وآله» كناه بهذه الكنية، حيث كان إذا عتب على السيدة الزهراء «عليها السلام» وضع على رأسه التراب.. أو أنه كان قد غاضبها «عليها السلام»، وخرج إلى المسجد فنام على التراب، فبحث عنه النبي «صلى الله عليه وآله» فوجده، فخاطبه بهذا <sup>(١)</sup> الخطاب .

### وذلك لا يصح لما يلي:

**الف:** إن علياً «عليه السلام» يقول: «فوالله، ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني، ولا عصت لي <sup>(٢)</sup> أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان» .

**ب:** قالت فاطمة لعلي: «ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك

(١) راجع فيما تقدم: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٧ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٠ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٤٧ وعمدة القاري ج ٧ ص ٦٣٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٣ عن صحيح البخاري، والمناقب للخوازمي ص ٧ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢١١ .  
وراجع في مغاضبة فاطمة له: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٨ ص ١٦ .

(٢) المناقب للخوازمي ص ٢٥٦ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٣٦٣ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٣٤ .

منذ عاشرتني» فصدقها علي «عليه السلام» في ذلك .

ج: إن علياً يعرف قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من أذى فاطمة فقد آذاني» ، ونحو ذلك، وهو «عليه السلام» المطهر، الذي كان مع الحق وكان الحق معه، وهو قسيم الجنة والنار، فهل يعقل والحالة هذه أن يقدم على مغاضبة فاطمة «عليها السلام»؟!!

د: ولماذا كان يضع على رأسه التراب، إذا عتب على فاطمة، ألا يشبه فعله هذا لعب الأطفال؟!!

### النقل الثاني:

إنه «صلى الله عليه وآله» قد كناه بذلك حين المؤاخاة، حيث إنه «عليه السلام» حين رأى أنه «صلى الله عليه وآله» لم يؤاخ بينه وبين أحد اشتد عليه ذلك، وخرج إلى المسجد، ونام على التراب، فلحقه «صلى الله عليه وآله»، وخاطبه بأبي تراب ثم آخى بينه وبين نفسه «صلى الله عليه وآله» .

(١) روضة الواعظين ص ١٥١ وفي (طبعة أخرى) ص ١٨١ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٩١ والعوالم ج ١١ ص ٥٠٢.

(٢) راجع مصادر ذلك في الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» ج ٥ ص ٣٤٠ و ٣٤١.

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١ عن الطبراني في الكبير والأوسط، ومناقب الخوارزمي ص ٧ وكفاية الطالب ص ١٩٣ عن ابن عساكر.

### ونقول:

**إن من الواضح:** أن علياً «عليه السلام» لم يكن لينزعج من أمر صنعه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. الذي يعلم أنه لا ينطق عن الهوى ولم يكن يجهل مكانته عنده، ولا موقعه في الإسلام، وقد كان راضياً بكل ما رضىه الله ورسوله له..

ولعل الهدف من اختراع هذه الصورة هو: إظهار الخلل في سلوكه «عليه السلام»، وأن هذا اللقب وكذلك مؤاخاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» له، إنما كانت بهدف إرضائه، وإزالة الضيق الذي لحق به.. إذن.. فهو لا يشير إلى مقامه السامي، ولا يعبر عن إعظام الجلال له. بقدر ما هو استجابة إنسانية تهدف إلى إرضائه، وإزالة ما في نفسه.

### النقل الثالث:

هو القصة المتقدمة التي تقول: ان التكنية له بأبي تراب قد كانت في غزوة العشيرة.

وقد تضمنت هي الأخرى تلك الإساءة لمقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» حسبما أوضحناه فيما سبق.. فلا حاجة إلى الإعادة..

### التعامل مع أخبار كهذه:

وبعد، فقد أدرك العلماء الأعلام الحقيقة التي أشرنا إليها في بداية



حديثنا هذا وهي أن الرواة والمؤرخين المغرضين حين لا مناص لهم من نقل الحدث، وعدم تمكنهم من تجاهله، يعمدون إلى أسلوب التصرف الذكي أو الغبي أحياناً، فيضيفون إليه أموراً تفقده معناه ومغزاه، حتى لو كان ذلك على حساب قداسة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد دأب العلماء على الأخذ بالفقرات التي يدركون صحتها، وإهمال الفقرات المدسوسة، أو السقيمة.. فإن وجود هذه إلى جانب تلك لا يفقد تلك قيمتها وأهميتها.. إذا أمكن التمييز بينهما.. كما هو الحال في هذه القضية التي نحن بصدد الحديث عنها..

فنحن نعلم صحة تكنية الرسول «صلى الله عليه وآله» لعلي بأبي تراب، وأنها فضيلة جليلة له «عليه السلام»، حتى إنها كانت أحب كناه إليه.. وقد نقل ذلك لنا العدو والصديق..

ونعرف أيضاً عدم صحة قولهم: إنها كانت بسبب مغاضبته لفاطمة «عليها السلام».

أو بسبب انزعاجه من إهمال الرسول له في قضية المؤاخاة، أو أن النبي قد حركه هو، أو عماراً، أو هما معا برجله..

فإن ذلك كله غير صحيح.. كما دلت عليه الأدلة القاطعة، والحجج القوية، الساطعة.

### اعتراف واعتذار:

وإذا كانت العصمة لله سبحانه، ولأوليائه وأصفيائه. فإننا هنا

نعتزف بتقصيرنا، ونعتذر عنه للقارئ الكريم، حيث ذكرنا هذه القضية في كتابنا «الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»». وقمنا بنقد وتزييف القولين الأولين، وهما مغاضبة فاطمة «عليها السلام». أو العتب عليها. وانزعاجه «عليه السلام» في قضية المؤاخاة.

وأهملنا الحديث عن تحريك النبي «صلى الله عليه وآله» لهما بقدمه.. ربما اعتماداً على وضوح بطلانه.. وربما ذهولاً عن لزوم التعرض له..

ونطلب من القارئ الكريم أن يعذرنا في هذا التقصير الظاهر.. وإذا وفقنا الله لإعادة طبع الكتاب المذكور، فإننا سنزيل هذا الخلل منه إن شاء الله..

٦١٣ - النبي يعاني جوعاً من حنان الأم، إنسان يفتقد حنان الأم في طفولته.

٦١٤ - النبي كرسول يحتاج إلى هذه الحالة العاطفية لينطلق في الحياة بقوة كإنسان.

٦١٥ - النبي شعر بالشبع العاطفي مع الزهراء.

٦١٦ - النبي شعر بأن الفراغ قد امتلأ.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٥ ص ٣٣٧ -

٦١٧ - الزهراء تهتم بالدنيا.. فيزعج النبي «صلى الله عليه وآله»..

٦١٨ - النبي لا يدخل بيت الزهراء بسبب ما فعلته.

٦١٩ - الجفاف العاطفي في الطفولة ينعكس سلباً على قيادات الأمة..

٦٢٠ - جوع الحنان مؤثر في طريقة حياة القيادات.

٦٢١ - جوع الحنان في الطفولة يؤثر في كل حركة العمل للقيادات.

٦٢٢ - الزهراء لا ترتدع عما يزعج النبي من المرة الأولى.

### يقول البعض:

«لقد سمعتم أن النبي كان يناديها بأنها «أم أبيها». لماذا هذه الكلمة؟! لأن النبي كان يعاني جوعاً من حنان الأم كأى إنسان يفقد في طفولته. واستطاعت الزهراء وهي الطفلة الواعية بعد وفاة أمها خديجة أم المؤمنين أن تشعر بمسؤوليتها تجاه أبيها، وأن تشعر بمسؤوليتها تجاهه كأب، وأن تشعر بمسؤوليتها تجاهه كرسول، يحتاج إلى هذه الحالة الروحية العاطفية التي يستطيع من خلالها أن ينطلق في الحياة بقوة كإنسان، ولهذا حاولت أن تنثر كل عاطفتها الروحية لتحيطه بهذه العاطفة في كل المجالات لتطوقه بالعاطفة فيشعر بنفسه يعيش العاطفة في كلماتها، في ابتسامتها، في لمحاتها، في رعايتها له، في كل ما تريد أن تواجه به مما تواجه البنت أباها.

ولهذا شعر النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا الشيع العاطفي،  
 وشعر بأن الفراغ قد امتلأ. ولهذا قال عنها إنها أم أبيها»<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر:

«أن النبي «صلى الله عليه وآله» جاء إلى بيتها فوجد على بابها ستاراً، وأنها قد لبست قلادة، وألبست الحسن والحسين «عليهما السلام» قطعتين من الفضة.

فامتنع النبي «صلى الله عليه وآله» عن الدخول إلى بيتها «عليها السلام» بسبب ذلك، فأرسلت ذلك كله إلى الرسول «صلى الله عليه وآله» فوزعه على الفقراء»<sup>(٢)</sup>.

ثم قال:

«ذلك هو الذي جعل منها أم أبيها وربما كان لهذه الصفة أن تكون لكل نساءنا، لكل إخواننا، أن يعشن هذه الروحية مع كل إنسان

(١) دور المرأة الرسالي ص ٢١.

(٢) في رواية: أنه وجد في عنقها قلادة فأعرض عنها، فقطعتها ورمت بها فقال لها:.. الخ..

وفي رواية أخرى: أنه وجد ستاراً على بابها وسوارين قد لبستهما في يديها فحرق قليلاً ثم انصرف، فأرسلتهما إليه «صلى الله عليه وآله»، فقسم ذلك على الفقراء، فقال ثلاث مرات: فداها أبوها، ما لآل محمد وللدنيا، فإنهم خلقوا للآخرة، راجع: الزهراء القدوة ص ٦٨ ومجلة المعارج عدد ٢٨ - ٣١ ص ٩٥٣ و ٩٥٤.

يعشن معه، ويشعرن بمسؤوليتهن عن حياته أو بمسؤوليتهن عن رسالته إذا كان صاحب رسالة، أن يعشن هذا الجو، وأن لا تكون البنت بنتاً لأبيها فحسب، أن تكون أما له، حتى الزوجة في بعض الحالات قد تعيش مع إنسان يعيش جوع الحنان، وجوع العاطفة في طفولته، ربما كان لها أن تؤدي دور الزوجة كما تؤدي دور الأم من ناحية الحنان والعاطفة الروحية..

هذه الفكرة يمكن أن تعطي معنى طيباً لحياتنا، ويمكن أن تحرك هذا الجمود، وتعطي الطراوة لهذا الجفاف الذي يعيش في حياتنا، ويحولها إلى حياة يتعايش فيها الناس على أساس الحسابات، بعيداً عن معنى العطاء، وبعيداً عن كل معاني الروح، وربما نجد أن كثيراً من الناس من يعيشون قيادة الأمة، أو من يعيشون قيادة أي خلية من خلايا المجتمع، ربما نجد أن الجفاف العاطفي الذي عاشوه في طفولتهم ينعكس على طريقتهم في الحياة، وطريقتهم في العلاقات، وطريقتهم في كل حركة العمل.

ولهذا فإن هذا الجانب يمكن أن يمثل في حياة الإنسان ليس فقط حركة عاطفية تتصل بالشخص، ولكنها حركة عملية تتصل بحركة (١) هذا الشخص في الحياة» .

---

(١) دور المرأة الرسالي ص ٢٤ و ٢٥.

## وقفه قصيرة:

١ - كنا قد ذكرنا تفسير البعض لكلمة «أم أبيها» في موضع آخر من هذا الكتاب، وعلقنا عليه هناك بما يتناسب معه.. ولكننا وجدناه في مورد آخر، وهو هذا الذي نقلناه عنه أنفاً قد ذكر نفس هذا الموضوع، لكنه أضاف إليه بعض ما يوضح مراميه، وأهدافه منه..

### حيث إنه قد صرح في آخر كلامه هنا:

«بأننا قد نجد في من يعيشون قيادة الأمة، أو قيادة أية خلية من خلايا المجتمع، أن الجفاف العاطفي الذي عاشوه في طفولتهم قد انعكس على طريقتهم في الحياة، وفي العلاقات، وفي كل حركة العمل..».

فإن هذا الجانب لا يمثل حركة عاطفية تتصل بالشخص، ولكنها حركة عملية تتصل بحركة هذا الشخص في الحياة، على حد تعبير هذا البعض.

**وذلك يعني:** أنه لولا أن فاطمة «عليها السلام» قد عالجت هذا الفراغ الذي كان يعاني - أو يشكو منه النبي «صلى الله عليه وآله» على حد تعبيره.. فمن الممكن أن يؤثر هذا الفراغ العاطفي الذي عاشه النبي «صلى الله عليه وآله» على حد تعبير هذا البعض في طفولته على طريقته في الحياة، وفي علاقاته، وفي كل حركة العمل، لأن هذا الأمر ليس مجرد حركة عاطفية تتصل بالشخص، ولكنه حركة عملية تتصل بحركة النبي «صلى الله عليه وآله» في الحياة.

هذا.. ونتمنى على القارئ الكريم أن لا يكتفي بما ذكرناه هنا عن مراجعة ما ذكرناه حول هذا الموضوع في الموضوع الآخر.

٢ - وأما ما ذكره من أمر الستار والقلادة فنحن نجل سيدة النساء عن ذلك، ونقل:

أولاً: قد ذكر في نص آخر: أن هذه القضية إنما كانت للنبي «صلى الله عليه وآله» مع بعض زوجاته . وقد أشار إلى ذلك الإمام علي «عليه السلام»، كما ورد في نهج البلاغة .

ولم تكن الزهراء لتعمل أي عمل يكرهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي المعصومة الطاهرة بنص القرآن الكريم..

ثانياً: لعل هذا البعض يعتبر الزهراء جاهلة بأن التزين بمتاع الحياة الدنيا مما لا ينبغي لها، مع أنه قد جاء التحذير تلو التحذير في كتاب الله تعالى، وعلى لسان رسوله الكريم «صلى الله عليه وآله» عن الإغترار بالدنيا، والميل إلى زخارفها.

**أما نحن فنقول:**

إن تقوى الزهراء «عليها السلام» وعقلها، وكمالها، وزهدها والتزامها الدقيق بما يحبه الله تعالى يمنعها من فعل ذلك..

**ولأجل ذلك.. فإنها لا تترك ما تتركه لمجرد أنه مما يزعج رسول**

(١) كنز العمال ج ١٥ ص ٤٠٤ عن أحمد، وأبي داود، والبيهقي والنسائي.

(٢) نهج البلاغة (ط الإستقامة) ج ٢ ص ١٥٥ - الخطبة رقم ١٥٥.

الله «صلى الله عليه وآله».. فإنها قد وعت الآيات القرآنية التي تحذر من التعلق بالدنيا، وزخارفها، كأعمق ما يكون الوعي، وسمعت زواج رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الانسياق وراء متاع هذه الحياة الفانية، وزينتها، استماع بصيرة، وتفهم، واقتناع.

٦٢٣ - الزهراء ترى الرجال وتحادثهم.

٦٢٤ - الرجال يرون الزهراء ويحادثونها.

### يقول البعض حول حديث:

«خير للمرأة: أن لا ترى رجل ولا يراها رجل»:

«أنها «عليها السلام» - وهي قائلة هذا القول - كانت تلتقي بالرجال وتتحدث معهم أثناء الأزمة التي واجهتها مع الذين هاجموا بيتها وغصبوا فدكاً، وقد التقت مع أبي بكر وعمر، حينما جاء ليسترضيها، وتحدثت معهما بشكل طبيعي، وكانت «عليها السلام» تخرج مع من يخرجن في غزواته ليقمن بشؤون الحرب».

### ويقول أيضاً:

«حتى الزهراء «عليها السلام» فإنها على ما ينقل لنا تاريخها، كانت ترى الرجال، وتحادثهم كما كان الرجال يرونها ويحادثونها، ويجادلونها، الأمر الذي يدل على أن - الحديث - لو صح، فلأنه يتحرك في دائرة الأخلاقيات العليا التي لم يكلف الإنسان بها، وإنما وضعت أمامه كقمة يتطلع إليها ويستوحيه لتكون محفزاً له لاستسهال



(١)

ما دونها من أحكام وتعاليم، والعمل بها»

### وقفه قصيرة:

١ - إن هذا البعض قد ذكر في الصفحة المقابلة للصفحة التي جاء فيها هذا النص: أن الزهراء «عليها السلام» قد خطبت المهاجرين والأنصار خطبتها المعروفة بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجاء في النص ما يلي:

«فلأثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله «صلى الله عليه وآله»».

حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، «يعني ستاراً» فجلست ثم أنت أنة أجهش القوم لها بالبكاء فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم، وهذأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه الخ..» .

٢ - إن هذا البعض نفسه يوثق هذه الخطبة، فهو يقول:

«الظاهر: أنه يمكن حصول الوثوق بصدور هذه الخطبة عن

(١) الزهراء القدوة ص ٢٢٦.

(٢) الزهراء القدوة ص ٢٧٧ وقد ذكرنا شطراً من مصادر هذه الخطبة الجلية

في كتابنا: مأساة الزهراء ج ١ ص ٢٥٩.

سيدتنا فاطمة الزهراء «عليها السلام»، لأنها مشهورة ومعروفة، وذكرها المؤرخون القدامى، وقد كان أهل البيت والعلويون يتناقلونها كابراً عن كابر، ويعلمونها ويحفظونها لصبيانهم، ما يدل على أنها من المسلمات عندنا، هذا مضافاً إلى أن متنها قوي ومتناسب مع (١) المضمون الفكري الإسلامي .

٣ - والسؤال هو: إذا كانت الزهراء «عليها السلام» ترى الرجال وتحادثهم، كما كان الرجال يرونها ويحادثونها، فلماذا: ألف: نيطت دونها هذه الملاءة يا ترى؟! وقد كان ذلك بأمرها هي!! مع أنه قد كان بإمكانها أن تلتف بعباءتها، وتقف بينهم وتلقي خطبتها.

وكيف يمكنه بعد هذا أن يثبت لنا: أنها «عليها السلام» كانت ترى الرجال، ويراهم الرجال؟! (٢)

وبقية الكلام حول كلام هذا البعض في كتاب مأساة الزهراء .

ب: ويوم وصل السبايا الى الكوفة:

«خطبت أم كلثوم بنت علي «عليه السلام» في ذلك اليوم، ومن وراء كلتها (١) رافعة صوتها بالبكاء» (٢) .

(١) الزهراء القدوة ص ٢٣٨ والندوة ج ١ ص ٤٢٩.

(٢) مأساة الزهراء ج ١ ص ٢٥٨ فما بعدها.

(١) الكلة: الستار.

ج: وعندما حمل السبايا ورأس الحسين «عليه السلام» الى الشام يقول الراوي: «فلقد حدثني جماعة كانوا خرجوا في تلك الصبحه أنهم كانوا يسمعون بالليلالي نوح الجن على الحسين «عليه السلام» الى الصباح.

وقالوا: فلما دخلنا دمشق أدخل بالنساء والسبايا بالنهار مكشفات الوجوه» (٢)

د: ويقول ابن طاووس: «وحمل نساؤه على أطلاس أقتاب بغير وطاء، مكشفات الوجوه بين الأعداء» .

هـ: عن علي «عليه السلام»: أن فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» استأذن عليها أعمى، فحجبته، فقال لها النبي «صلى الله عليه وآله»: لما حجبته وهو لا يراك؟!

فقلت: إن لم يكن يراني فأنا أراه وهو يشم الريح. فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «أشهد أنك بضعة مني» (١) .

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٢ عن اللهوف ص ٦٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٥ عن أمالي الصدوق مجلس ٣٣ رقم ٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٠٧ عن اللهوف عن أهل الطفوف ص ٦٠.

(١) مسند فاطمة ص ٣٣٧ ومناقب ابن المغازلي ٣٨١ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٩١ عن نوادر الراوندي ص ١٣ وفاطمة بهجت قلب المصطفى ص ٢٥٨ وعوالم ج ١١ ص ١٢٣ وإحقاق الحق ج ١٠ ص ٢٥٨ ومستدرك الوسائل ج ١٤ ص ٢٨٩ و ١٨٢ وفي هامشه عن الجعفریات ص ٩٥

و: استأذن ابن أم مكتوم على النبي «صلى الله عليه وآله» وعنده حفصة، فقال «صلى الله عليه وآله»: قوما فادخلا البيت.  
فقالتا: إنه أعمى.

(١)

فقال: إن لم يكن يراكما فإنكما تريانه .

وعن أم سلمة: كنت عند رسول الله، وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمر بالحجاب، فقال: احتجبا.

فقلنا: يا رسول الله، أليس أعمى؟!

(٢)

قال: أفعمياوان أنتما؟! ألستما تبصرانه؟! .

ز: وتذكر رواية أخرى: أنها أرادت أن تأتي إلى أبيها، فتبرقعت ببرقعها، ووضعت خمارها على رأسها، تريد النبي .

والرواية وإن كان فيها إشكال من جهة أخرى لكن هذه الفقرة سليمة عن الإشكال.. فإن كان ثمة تصرف في الرواية، فإنه في غير

---

ودعائم الإسلام ج ٢ ص ٢١٤ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٩١ و ٩٢ ج ١٠٠ ص ٢٥٠.

(١) وسائل الشيعة ج ٢٠ ص ٢٣٢ والكافي ج ٥ ص ٥٣٤.

(٢) الوسائل ج ٢٠ ص ٢٣٢ عن مكارم الاخلاق ص ٢٣٣ ومسنند احمد ج ٦ ص ٢٩٦ والجامع الصحيح للترمذي ج ١٥ ص ١٠٢.

(١) راجع بحار الانوار ج ٣٩ ص ٢٠٧ عن بشارة المصطفى ص ١٢٢ و ١٢٣.

هذا المورد.

ح: في حديث زواج الزهراء «عليها السلام» بأمر المؤمنين «عليه السلام»: «أن أم سلمة أتت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما وقفت بين يديه كشف الرداء (١) عن وجهها حتى رآها علي. ثم أخذ بيدها فوضعها في يدي علي» .

ط: قد خطبت السيدة زينب أمام يزيد لعنه الله، فكان مما قالت: «أمن العدل يا بن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبايا قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، يحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناقل، ويبرزن لأهل المناهل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والغائب والشاهد والشهيد.. الخ..» .

### إشارة وتذكير:

بقي أن نشير إلى أن قول هذا البعض: بأن الزهراء كانت ترى الرجال، ويراها الرجال، ثم استشهاده له بمجيء الشيخين إليها

---

(١) مسند فاطمة الزهراء ص ٢٠٠ الى ٢٠٥ عن أمالي الطوسي ج ١ ص ٣٩ بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٩٤ - ٩٦.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ١٢٥ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٨ وبلاغات النساء ص ٢١ والملهوف ص ١٢٧ ومثير الأحزان ص ١٠١ وأعلام النساء ج ٢ ص ٥٠٤ وغير ذلك.

لاسترضائها..

### لا يمكن قبوله لسببين:

**الأول:** أن النص التاريخي يصرح بأنها حين جاء (١) لاسترضائها «شدت قناعها، وحولت وجهها الى الحائط، فدخل» .

**الثاني:** النصوص المتقدمة الصريحة: بأنها كانت تتبرقع، وفي أنها تضرب بينها وبين الرجال ستائر، وتخاطبهم من خلفها.. وغير ذلك من نصوص.

٤ - وأما فيما يرتبط بخروج النساء في الحرب فإنما كن يخرجن ليسقين العطشى، ويداوين المرضى، فلا دليل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يسمح للشابات بذلك في غير حالات الضرورة.

٥ - **والغريب في الأمر هنا:** أن لهذا البعض كلاماً ما يوحي بأن السيدة الزهراء «عليها السلام» كانت تخرج مع النساء لتقوم بشؤون الحرب أيضاً.. ولا ندري من أين جاءنا بهذا الخبر.. إذ لا نجد بين أيدينا سوى قصة مداواتها لجرح أبيها في واقعة أحد.

فلماذا يحاول إيهام القارئ بما هو أبعد من ذلك؟!

**وهل يمكنه أن يقول لنا:** أي شأن من شؤون الحرب تولته السيدة الزهراء «صلوات الله وسلامه عليها»؟!

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣ ص ١٩٨ - ١٩٩ عن كتاب سليم بن قيس ص ٢٤٩ والعوالم [حياة الزهراء «عليها السلام»] ص ٢٢٢.







## الفصل الخامس

مصحف فاطمة ÷

مضمونه.. وحقيقته..



## بداية:

إنما تعرضنا في هذا الفصل لمقولات البعض حول مصحف فاطمة، لأننا نشعر أنه يحاول أن يشكك في مضمون هذا المصحف، من حيث اشتماله على علوم غيبية.. وأن يثير شبهات حول كيفية حصولها «عليها السلام» على هذا المصحف، وذلك بإلقاء بعض الظلال من الشك والترديد على حقيقة أن الملك كان يحدث السيدة الزهراء «عليها السلام» وكان ذلك يدون في هذا الكتاب المعروف بمصحف فاطمة «عليها السلام».

وذلك بدعوى ضعف هذا الخبر، أو ذاك، تارة.. ودعوى تعارض الأخبار أخرى.. ودعوى اشتماله على الأحكام الشرعية الثالثة..  
..وغير ذلك مما سيتضح فيما يلي من صفحات..

٦٢٥ - الزهراء، أول مؤلفة في الإسلام.

٦٢٦ - التسمية بمصحف فاطمة تدل على تأليفها وكتابتها له.

٦٢٧ - في مصحف فاطمة أحكام شرعية.

٦٢٨ - كتاب فاطمة هو مصحف فاطمة.

٦٢٩ - الأحاديث حول مصحف فاطمة متعارضة.

### يقول البعض:

«نستطيع القول: إن الزهراء «عليها السلام» هي أول كاتبة في الإسلام من الرجال والنساء، وأول من كتبت حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بمسمع ومرأى منه» .

### وقال:

«إنها كانت تكتب العلم عن أبيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى إنها كانت أول مؤلفة في الإسلام» .

### وقال:

«قد يقال: إن الزهراء - «عليها السلام» - هي أول مؤلفة في الإسلام، إذ قد دلت الروايات على أنه قد كان لها مصحف، عرف باسم «مصحف فاطمة»، فإن هذه التسمية تدل على ما ذكرناه، لأننا إذا قلنا: «مصحف الزهراء» فذلك يعني أن لها دوراً في تأليف وكتابة هذا المصحف».

### وفي نص آخر:

«إن نسبة الكتاب إلى فاطمة «عليها السلام» يدل على أنها صاحبة الكتاب، كما أن نسبة الكتاب إلى علي «عليه السلام» في ما ورد عن الأئمة «عليهم السلام» عن كتاب علي يتبادر فيه [منه ظ]

(١) الزهراء القدوة ص ١٨٨.

(٢) الزهراء القدوة ص ٣٢٢.

أن صاحبه علي «عليه السلام».

**ومما يتقدم يتضح:**

إنه لا مانع من القول: إنها أول مؤلفة في الإسلام، كما أن علياً أول مؤلف في الإسلام» .

**ثم إن هذا البعض قد ادعى:**

«إن الأحاديث حول مصحف فاطمة «عليها السلام» متعارضة؟! لأن بعضها يذكر: أنه من إملأ رسول الله وكتابة علي «عليه السلام» .

والبعض الآخر يذكر: أنه كان ملك يأتيها بعد وفاة أبيها يحدثها، وكان علي «عليه السلام» يكتب ذلك، فكان مصحف فاطمة» .

**ويزعم البعض:**

«أن مصحف فاطمة يحوي أحكاماً شرعية».

(١) راجع: الزهراء القدوة ص ١٩٥ وأجوبة البعض على آية الله التبريزي، الجواب ١٦.

(٢) راجع: بصائر الدرجات ص ١٥٣ و ١٥٥ و ١٦١ وبحار الأنوار ج ٤ ص ٤١ و ٤٢ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٢٧١.

(٣) الكافي ج ١ ص ٤١ و ٢٤٠ و ٤٥٧ و ٤٥٨ وبصائر الدرجات ص ١٥٧ و ١٥٣ و ١٥٩ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٢٦ وبحار الأنوار ج ٢٦ ص ٤١ و ٢٤٠ وج ٤٣ ص ٧٩ و ٨٠ وج ٢٢ ص ٥٤٥ و ٥٤٦ و راجع: ج ٤٧ ص ٦٥.

وهو يستند في ذلك إلى رواية الحسن بن العلاء، عن الصادق «عليه السلام» التي تقول:

«وعندي الجفر الأبيض، قال: قلت: فأى شيء فيه؟!»

قال: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم «عليهم السلام»، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعج أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتى فيه الجلدة، وربع الجلدة وأرشف الخدش» .

**ويقول:**

«بعدما عرفت أن المصحف المذكور ليس قرآناً، يقع تساؤل جديد عن مضمونه ومحتواه، فهل هو مشتمل على بعض المغيبات التي كان يحدثها بها الملك، ويكتبها علي «عليه السلام»؟! أو هو مشتمل على وصيتها مع بعض الأحكام الشرعية، وربما المواعظ والتعاليم الإسلامية؟!»

**هناك اختلاف في الروايات المتعلقة بذلك:**

١ - فهناك رواية حماد بن عثمان عن أبي عبد الله «عليه السلام»، أنه لما نظر في مصحف فاطمة «عليها السلام» قال: «وما مصحف فاطمة؟!»

---

(١) الكافي ج ١ ص ٢٤٠ وبحار الأنوار ج ٢٦ ص ٣٧ وبصائر الدرجات ص ١٥٠.

قال: إن الله تعالى لما قبض نبيه «صلى الله عليه وآله» دخل على فاطمة «عليها السلام» من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل إليها ملكاً يسلي غمها ويحدثها.

فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين، فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قللي.

فأعلمته ذلك، وجعل أمير المؤمنين يكتب كل ما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفاً.

قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون»<sup>(١)</sup>.

### ويمكن المناقشة في المتن بالقول:

إن المفروض في الملك أنه جاء يحدثها، ويسلي غمها ليدخل عليها السرور، فكيف تشكو ذلك إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»؟! ما يدل على أنها كانت متضايقه من ذلك، كما أن الظاهر منه: أن الإمام «عليه السلام» كان لا يعلم به، وأن المسألة كانت سماع صوت الملك لا رؤيته.

٢ - وفي رواية أبي عبيدة: «..وكان جبريل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعد في ذريتها، وكان علي يكتب ذلك، فهذا مصحف

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ باب ٢ ص ٥٤٥ رواية ٦٣.

(١)

فاطمة» .

ولا مانع أن ينزل عليها الملك جبرائيل، ولكن الحديث ظاهر في اختصاص العلم الذي يعلمها إياه مما يكون في ذريتها فقط.. بينما الرواية الأخرى تتحدث عن الأعم من ذلك، حتى إنها تتحدث عن ظهور الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وهو مما قرأه الإمام علي «عليه السلام» في مصحف فاطمة.

٣ - وهناك رواية الحسين بن أبي العلاء، عن الإمام الصادق «عليه السلام»، وجاء فيها: «..مصحف فاطمة «عليها السلام»، ما أزعج أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتى فيه الجلدة، وربع الجلدة وأرش الخدش» (٢) .

**والظاهر من هذه الرواية: أن المصحف يشتمل على الحلال والحرام.**

٤ - وقد ورد في حديث حبيب الخثعمي: أنه قال: كتب أبو جعفر المنصور إلى محمد بن خالد، وكان عامله على المدينة، أن يسأل أهل المدينة عن الخمسة في الزكاة من المائتين كيف صارت وزن سبعة، ولم يكن هذا على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمره أن يسأل عبد الله بن الحسن، وجعفر بن محمد «عليه السلام».

(١) الكافي ج ١ ص ٢٤١ وبحار الأنوار ج ٢٦ باب ٢٦ ص ٤١ رواية ٧٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٦ باب ١ ص ٣٧ رواية ٦٨.



فسأل عبد الله بن الحسن، فقال كما قال المستفتون من أهل المدينة.

قال: فقال: ما تقول يا أبا عبد الله؟!!

فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جعل في كل أربعين أوقية، فإذا حسبت ذلك كان على وزن سبعة، وقد كانت وزن ستة، وكانت الدراهم خمسة دوانيق.

**قال حبيب:** فحسبناها فوجدناها كما قال، فأقبل عليه عبد الله بن الحسن، فقال: من أين أخذت هذا؟!!

قال: قرأت في كتاب أمك فاطمة «عليها السلام».

قال: ثم انصرف، فبعث إليه محمد بن خالد: ابعث إليّ بكتاب فاطمة «عليها السلام».

فأرسل إليه أبو عبد الله «عليه السلام»: إني إنما أخبرك أنه عندي.

**قال حبيب:** فجعل محمد بن خالد يقول لي: ما رأيت مثل هذا <sup>(١)</sup> قط .

**وظاهر** هذا الحديث أيضاً: أن كتاب فاطمة، وهو مصحف فاطمة <sup>(٢)</sup>، يشتمل على الحلال والحرام.

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٠٧ رواية ٢.

(٢) وقد استظهر وحدة كتاب فاطمة مع مصحفها العلامة السيد محسن الأمين

٥ - وهناك رواية أخرى في الكافي عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أنه قال - في حديث<sup>(١)</sup> -: وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة «عليها السلام» .

٦ - وهكذا نجد: أن بعض الروايات تقول: إنه بخط علي «عليه السلام» عما يحدثه الملك للزهراء «عليها السلام» .

٧ - وهناك رواية تدل على أن المصحف من إهداء رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكتابة علي «عليه السلام» .

ولكن الروايات الأخرى لا تدل على ذلك، وهي المشتبهة على الحلال والحرام ووصية فاطمة، فلا بد من الترجيح بينها.

أما رواية حماد بن عثمان فهي ضعيفة بعمر بن عبد العزيز، أبي حفص المعروف بزحل، يقول الفضل بن شاذان: زحل يروي المناكير، وليس بغال<sup>(٢)</sup>. وعن النجاشي: مخط، وعن الخلاصة: عربي مصري مخط .

وأما رواية أبي عبيدة، والظاهر: أنه المدائني، فهي ضعيفة، لأنه

العالملي في أعيان الشيعة ج ١ ص ٩٧.

(١) الكافي ج ١ ص ٢٤١ رواية ٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٦ ص ٤١ و ٤٤.

(٣) م.ن. ج ٢٦ ص ٤١ رواية ٧٣.

(٤) مجمع الرجال ج ٤ ص ٢٦٢.

لم يوثق. ولكن رواية الحسين بن أبي العلاء صحيحة، وقد دلت على اشتماله على الحلال والحرام، وأما رواية حبيب الخثعمي، ورواية سليمان بن خالد فهما ضعيفتان على الظاهر، لكنهما تصلحان لتأييد خبر الحسين بن أبي العلاء، لا سيما أن مبناها في حجية الخبر هو حجية الخبر الموثوق به نوعاً، وقد يكفي في الوثوق عدم وجود ما يدعو إلى الكذب فيه.

ولذا فالأرجح: أنه كتاب يشتمل على الحلال والحرام، وإن كان بالإمكان أن يقال: بأنه لا تعارض بين الروايات، فنلتزم أن المصحف يشتمل على الأحكام وعلى الأخبار التي كان يحدثها بها الملك، وعلى وصيتها، إذ لا مانع من نزول ملك عليها، ويظهر من العلامة المجلسي: إقراره باشتمال المصحف على الأحكام..

وعلى ضوء هذا، فإن نسبة الكتاب إلى فاطمة «عليها السلام» يدل على أنها صاحبة الكتاب، كما أن نسبة الكتاب إلى علي «عليه السلام» في ما ورد من الأئمة «عليهم السلام» عن كتاب علي «عليه السلام» يتبادر منه أن صاحبه علي «عليه السلام».

ومما تقدم يتضح: أنه لا مانع من القول: إنها أول مؤلفة في الإسلام، كما أن علياً أول مؤلف في الإسلام.

وعلى أية حال، فإن الكتاب ليس موجوداً بأيدينا، وإنما هو موجود عند الإمام الحجة (عج)، ولذلك فإن الجدل في ما يحويه

(١)

ويشتمل عليه ليس له أية ثمرة عملية .

### وقفه قصيرة:

(٢)

كنا قد تحدثنا في كتابنا «مأساة الزهراء» عن مقولات هذا البعض حول مصحف فاطمة «عليها السلام».. ونعتقد: أن مراجعة ما ذكرناه هناك تكفي في إعطاء الجواب الكافي والشافى حول تلك المقولات.

### لكننا نريد أن نسجل هنا ما يلي:

- ١ - إن القول: «بأن الزهراء - «عليها السلام» - كانت تكتب ما تسمعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ..».
- أو القول: «بأنها «عليها السلام» أول مؤلفة في الإسلام..».
- أو القول بأنها: «أول كاتبة من النساء والرجال..».
- أو القول: «إن التسمية بمصحف فاطمة تدل على أن لها دوراً في تأليفه..».

إن كل ذلك ينتهي إلى نتيجة واحدة، وهي: التشكيك في أن يكون هذا المصحف بخط علي مما كان الملك يحدث به الزهراء «عليها السلام»، بعد وفاة أبيها، أو أنه على قسمين:

قسم بإملاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» وخط علي «عليه

(١) الزهراء القدوة ص ١٩١ - ١٩٥.

(٢) ج ١ ص ١٠٦ - ١١٧.

السلام».

وقسم آخر بإملاء الملك وخط علي «عليه السلام»..  
فلا تكون هاتان الروايتان متعارضتين، كما يقوله هذا البعض.  
٢ - إن قوله:

«إن مصحف فاطمة هو نفس كتاب فاطمة الوارد في رواية حبيب الخثعمي».

ليس له شاهد يؤيده بل هو محض ادعاء، يؤدي إلى تكثير روايات المصحف التي يسعى البعض إلى تكثيرها لكي تظهر عليها بؤادر التعارض، وهو ما يضعف أمر مصحف فاطمة من الأساس.. وإن كان سيأتي أنها محاولة فاشلة أيضاً.

٣ - إن رواية حماد بن عثمان عن أبي عبد الله، والتي تقول: «أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام..» .

لا تعارض رواية الحسين بن أبي العلاء عن الإمام الصادق أيضاً، وفيها: «..وعندي الجفر الأبيض».

قال: قلت: فأني شيء فيه؟!!

قال: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، ومصحف إبراهيم - «عليهم السلام» - والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد،

حتى فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وربع الجلدة وأرش الخدش». نعم.. إن الروائتين غير متعارضتين، فإن الضمير في كلمة «وفيه ما يحتاج الناس إلينا» يرجع إلى كلمة «الجفر الأبيض»، ولا يرجع إلى مصحف فاطمة. إذ لو كان راجعاً إلى مصحف فاطمة «عليها السلام» لم يكن لعطفه بالواو أي مبرر.. بل كان ينبغي الإضراب فيه بكلمة بل.

**فيقال:** ما أزعج أن فيه قرآناً، بل فيه ما يحتاج الناس إلينا الخ.. **لكن هذا البعض تخيل:** أنه من متعلقات مصحف فاطمة «عليها السلام»، فحكم بتعارض الروائتين، وهو كما ترى.

٤ - إنه لا معنى للتشكيك بمحتوى مصحف فاطمة «عليها السلام»، فإن محتواه معلوم، وهو وصيتها، وعلم ما يكون.. فمن أين جاء الحديث عن اشتماله على المواعظ والتعاليم الإسلامية؟! وأين هي الرواية التي أشارت إلى ذلك؟! وهل هي من الأدلة القطعية حسبما اشترطه ذلك البعض نفسه؟!

٥ - **إن من الواضح:** أن تسليية غمها برسول الله «صلى الله عليه وآله» إنما هو بالحديث عما يكون في المستقبل، وذلك معناه أن تسمع منه ما يجري على ذريتها من الطواغيت، ومن الطبيعي: أن تهتم وتغنم بذلك. وإن كان ذلك يسليها عن مصابها برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس في هذا الأمر أي محذور، فإنه ضربية المعرفة بهذا الأمر الخطير الذي أكرمها الله تعالى به.

٦ - وعن شكواها لأمير المؤمنين «عليه السلام»، فهي إنما شكت له ما عرفته من مصائب وبلايا تجري على الأمة عامة، وعلى ذريتها خاصة، وهي شكوى طبيعية، تنشأ عن أنها تهتم لأمر المسلمين.

٧ - وأما أن ذلك يدل على أن المسألة كانت سماعه صوت الملك لا رؤيته.. فما هو الضير في ذلك، فإن المهم هو أن الملك هو الذي يحدثها، ويسليها، ولعل ذلك كان في الأكثر حين غياب أمير المؤمنين، أو حين انشغاله.

٨ - أما بالنسبة لرواية أبي عبيدة فلا دلالة لها على حصر العلم بما يكون في ذريتها فقط.. بل غاية ما فيها: أنها أشارت إلى أمر اهتمت له سيدة النساء صلوات الله وسلامه عليها، وهو ما يجري على ذريتها، وأشارت الرواية الأخرى إلى علوم أخرى تضمنها المصحف.

**والقاعدة تقول:** إنه لا تعارض بين المثبتات، ما دام لم يدل دليل على أنها في مقام التحديد، أي إثبات مضمونها، ونفي ما عداها، وليست رواية أبي عبيدة في هذا السياق. ولا أقل من الشك في ذلك.

٩ - وأما بالنسبة لتعارض أحاديث مصحف فاطمة «عليها السلام»، فإننا لم نستطع أن نتحقق منه، فإن ما ذكره لا يصلح أن يكون من موارد التعارض..

**فإن مجرد أن تقول رواية:** إنه من إملأ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخط علي «عليه السلام»، ثم تقول رواية إن الملك بعد

وفاة أبيها حدثها فكتب علي «عليه السلام» ذلك أيضاً...

إن مجرد ذلك لا يحقق التكاذب بين الروايات، إذ يمكن أن تكون الروايتان معا صحيحتين، فيكون بعض المصحف من إملاء النبي، وبعضه من إملاء الملك.

أما عن الحديث حول ما يشتمل عليه المصحف فقد عرفت أن منشأ الحكم بالتعارض هو الخطأ في إرجاع الضمير..

وحتى لو صح الحديثان معاً، فإنه يكون كل حديث مثبتاً لخصوصية لا ياباها الحديث الآخر.. إذ لا تعارض بين المثبتات، إلا في بعض الصور التي ليس هذا المورد منها..

١٠ - وبعد ما تقدم نعرف: أنه لا معنى لقوله:

«لكن الروايات الأخرى لا تدل على ذلك، وهي المشتملة على الحلال والحرام، ووصية فاطمة، فلا بد من الترجيح بينها»؟!

فهل إذا دلت رواية على شيء، ولم تدل الأخرى عليه تصبح الروايات متعارضة، ولا بد من الترجيح بينهما؟!

١١ - ما معنى قوله أخيراً:

«الأرجح أنه كتاب يشتمل على الحلال والحرام».

فإن رواية حماد بن عثمان تنفي ذلك صراحة..

ورواية الحسين بن أبي العلاء قد أخطأ هذا البعض في فهمها، لخطئه في مرجع الضمير.. فهل هذا بهدف استبعاد معرفتها بما



يكون، واستبعاد أن يكون الملك قد حدثها؟!!

١٢ - وأخيراً.. فإن لنا الحق في ان نتساءل عن سبب إirاده رواية الحسين بن أبي العلاء في كتاب «الزهراء القدوة» مبتورة من أولها، فهل أراد بذلك تضييع القارئ فيما يرتبط بمرجع الضمير في الرواية؟!!

## المطلب الثاني

الزهراء ÷ بعد الرسول الأكرم‘

---

## الفصل الأول

إنكاره هكذا بدأ..

---

## بداية:

إننا نذكر في هذا الفصل طائفة من مقولات هذا البعض الرامية إلى إنكار ما جرى على الزهراء مثل:

ألف: ضربهم لها بالسوط.

ب: إحراق باب بيتها.

ج: كسر ضلعها.

د: إسقاط جنينها.

هـ: دخول بيتها.

و: عصرها بين الباب والحائط.

ز: لطم خدها.

ح: رضيت عن الشيخين.

ط: استشهادها.

ي: الهجوم على بيتها.

ك: ظهور ومعرفة قبرها.

ل: بل هو يقول:

«إن الذين جاء بهم عمر كانت قلوبهم مملوءة بحب الزهراء، فكيف نتصور ان يهجموا عليها..».

**ونذكر من كلماته ما يلي:**

٦٣٠ - أنا لا أنفي كسر ضلع الزهراء لكنني غير مقتنع بذلك.

٦٣١ - النفي يحتاج إلى دليل كما الإثبات يحتاج إلى دليل.

**يقول البعض:**

«أنا لا أنفي قضية كسر الضلع، ولكنني أقول: إنني غير مقتنع بذلك. وكما أن الإثبات يحتاج إلى دليل. كذلك النفي يحتاج إلى دليل».

**ويقول في أجوبته على آية الله التبريزي:**

«إنني لم أنكر ذلك لأن الإنكار يحتاج إلى دليل وليس عندي دليل على النفي».

**وقفة قصيرة:**

إنه قد ذكر أسباب عدم اقتناعه، وفقاً لما أوردناه في هذا الكتاب، وفي كتاب مأساة الزهراء، وقد قلنا في ذلك الكتاب: إنها أسباب هي أشبه بالطحلب يمسك به الغريق، فراجع ذلك الكتاب، أما هنا فنكتفي بإلفات نظر القارئ الكريم إلى ما يلي:

**إن ما ذكره هذا البعض لا يمكن قبوله منه، وذلك للأسباب التالية:**

١ - إن مقولات هذا البعض تظهر أنه غير مقتنع بأي شيء مما جرى على الزهراء؛ لأنه يدعي: أن حبه للزهراء، ومكانتها، ولأن

ضرب المرأة عيب وغير ذلك من تعللات واهية، يمنع من حدوث كسر الضلع وإسقاط الجنين، والضرب، وإحراق البيت وغير ذلك..

٢ - إن هذا البعض الذي هو غير مقتنع لم يزل يجهد عبر مختلف وسائل الإعلام التي تقع تحت اختياره، وفي أية فرصة تسنح له.. لزرع الشك في نفوس الناس.. ولم يزل يحشد ما يراه أدلة وشواهد على عدم صحة ذلك، تحت ستار إثارة علامات استفهام.. فلماذا هذا الحرص منه على إقناع الآخرين بعدم صحة ذلك؟!

٣ - إن مهمة العالم هي أن يحلّ المشكلات التي يواجهها الناس في حياتهم الفكرية، خصوصاً فيما يطلبه الناس منه، ويرون أنه هو المسؤول عنه، ويدخل في دائرة اختصاصه.. فإما أن يثبت لهم الأمر الذي يتحدث عنه بدليل، أو ينفي بدليل، أو يطلب لنفسه إجازة، يحزم فيها أمره إلى جانب هذا الإثبات، أو مع ذلك النفي. وليس من حقه أن يثقف الناس بمشكوكاته..

٤ - إن الرجل العادي إذا أعرب عن شكه، فالناس يعتبرون شكه ناشئاً عن عدم علمه. أما إذا كان المعرب عن شكه يقول للناس إني عالم، ويتصدى لما يتصدى له العلماء، فان الناس سيرون ان شكه شك علمي، وهو يساوق عدم ثبوت الحقيقة إلى درجة النفي والإنكار.

٦٣٢ - أنا لا أتفاعل مع أحاديث كسر ضلع الزهراء.

٦٣٣ - أنا لا أتفاعل مع أحاديث ضرب الزهراء على خدها.

٦٣٤ - يتحفظ على أحاديث ضربها وكسر ضلعها.



- ٦٣٥ - ضربها وكسر ضلعها وإسقاط جزيئها لا يتصل بالعقيدة.
- ٦٣٦ - لا يهمني كسر ضلع الزهراء أو لم يكسر.
- ٦٣٧ - القول بكسر ضلعها أو عدمه لا يمثل له أية سلبية أو إيجابية.

يقول البعض عن كسر ضلع الزهراء:

(١) «قلت: أنا استبعد ذلك، ولا أتفاعل مع الكلمة نفسها» .

### ويقول البعض:

«سواء كسر ضلع الزهراء أو لم يكسر، فإن ذلك لا يقع في دائرة اهتماماتي».

### ويقول:

«أنا ليست القضية من المهمات التي تهمني، سواء قال القائلون: إن ضلعها كسر، أو لم يقل القائلون. هذا لا يمثل بالنسبة لي أية سلبية، أو أية إيجابية، هي قضية تاريخية. تحدثت عنها في دائرة خاصة، ولم أتحدث عنها في الهواء الطلق ولكن الذين يصطادون في الماء العكر حاولوا أن يجعلوا منها قضية للتشهير.. وإلا.. فهذه القضية ليست من المهمات التي اهتم بإثباتها ونفيها، لا من ناحية علمية، ولا من ناحية سياسية..».

### ويقول:

---

(١) الزهراء المعصومة ص ٥٦.

«إننا لا أتفاعل مع كثير من الأحاديث التي تقول بأن القوم كسروا ضلعها، أو ضربوها على وجهها، أو ما إلى ذلك. إنني أتحفظ في كثير من هذه الروايات».

### ويقول:

«قلت: إنني لا أتفاعل. بمعنى أن لدي علامات استفهام لا بد من الإجابة عنها بطريقة علمية».

### وقفة قصيرة:

إننا نجد أنفسنا في غنى عن تحديد مواضع الخلل في الأقاويل السابقة، ولكننا مع ذلك نذكر القارئ الكريم بما يلي:

- ١ - إذا كان كسر ضلع الزهراء، وكذلك ضربها، وإسقاط جنينها لا يقع في دائرة اهتمامات هذا البعض، فلماذا هو مهتم بحشد الأدلة والشواهد من كل حذب وصوب من أجل تشكيك الناس بهذا الأمر؟!
- ٢ - إذا كان ذلك لا يدخل في دائرة اهتماماته، فلماذا سأل - حسبما يدعي هو - السيد شرف الدين عن هذا الأمر في أوائل الخمسينات، أي قبل ما يقرب من خمسين عاماً من هذا التاريخ؟! ..
- ٣ - إذا كان ذلك لا يدخل في دائرة اهتماماته.. فلماذا كان مهتماً ببحث هذا الأمر؟! حسبما سجله في رسالة منه أرسلها إلى إيران،

---

(١) ورد القول الأخير في ما اعتبره البعض أجوبة له على آية الله التبريزي. الجواب رقم ١٧.

لجعفر مرتضى العاملي بتاريخ ١٤١٤/٦/٣ هـ. فهو يقول:

«إن لدي تساؤلات تاريخية تحليلية في دراستي الموضوع، كنت أحاول إثارتها في بحثي حول هذا الموضوع».

**ويقول فيها أيضاً:**

«كنت آنذاك أحاول البحث في الروايات حول<sup>(١)</sup>.. هذا الموضوع وقد عثرت أخيراً على نص في البحار الخ..» .

وثمة عبارات أخرى تفيد هذا المعنى في الرسالة نفسها.

٤ - إذا كان لا يهتم لهذا الأمر، فلماذا ناقش كل العلماء في هذا الأمر في إيران وغيرها.. على حد تعبيره؟!

٥ - إذا كان لا يهتم لهذا الأمر، فلماذا يدعو العلماء لدراسة هذا الأمر؟! ويقول في رسالته للسيد جواد الكلبيكاني:

«كنت في ذلك الوقت في حالة بحث تاريخي حول الموضوع».

**ويقول فيها أيضاً:**

«لذلك كنت أحاول دراسة الموضوع تاريخياً، من جهة السند، ومن جهة المتن، ومن خلال بعض التحليلات التاريخية، فكان الجواب في ذلك المجتمع النسائي مختصراً وسريعاً على نحو إثارة الاحتمال. ولكنني عثرت في أبحاثي بعد ذلك على كثير من النصوص

---

(١) الرسالة منشورة في آخر كتاب (الفضيحة). وهي بخط يد هذا البعض، فراجعها.

(١)

الخ..» .

٦ - وإذا كانت المسألة لا تدخل في دائرة اهتماماته، فلماذا يكتب للسيد الكلبيكاني أيضاً:

«إنني أعتقد أن علينا ان نبحث هذه الأمور بطريقة علمية، قبل أن يبحثها غيرنا من أعداء أهل البيت»؟!

**ويقول في نفس الرسالة المنشورة والتي كتبها بخط يده أيضاً:**

«إنني أدعو جميع إخواني من العلماء والباحثين إلى دراسة هذه الأمور بالدقة والتحقيق؛ لأن ذلك هو سبيل الوصول إلى الصواب، وهو الطريقة المثلى لتأكيد كل تراثنا بالطريقة المثلى، على أساس الحق والواقع» .

٧ - لماذا لا يهتم هذا البعض لكسر ضلع الزهراء، وضربها، وإسقاط جنينها، ويهتم لأحد ابنائه لو فرض - لا سمح الله - أنه جرح، واحتاج إلى طبيب؟!

٨ - هل هذا البعض لا يهتم لكل قضايا التاريخ، أم أن عدم اهتمامه هذا يختص بضرب الزهراء، وكسر ضلعها وحسب، رغم ما لهذه القضية من ارتباط بكثير من الشؤون العقائدية والإسلامية..

٩ - لماذا يهتم النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة الطاهرون بما

---

(١) راجع المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

يجري على الإمام الحسين «عليه السلام»، وبما يجرى على الزهراء؟! ولا يهتم هذا البعض به؟!!

١٠ - إن الذين ضربوا الزهراء، وكسروا ضلعها، وأسقطوا جنينها .. وقد تصدوا لأعظم وأخطر مقام بعد الرسول، وهو مقام الخلافة له «صلى الله عليه وآله».. ومعرفة واقع هؤلاء مفيد جداً لكل مسلم يريد أن يعيش الإسلام بكل صفائه وحيويته ونقائه.. فليس هذا الأمر سخيلاً، ولا تافهاً.. وليس هو من قبيل معرفة تاريخ الآشوريين، أو الكلدان، وغيرهم من الشعوب التي بادت.

١١ - إن هذا البعض الذي لا يهتم لضلع الزهراء «عليها السلام»، مهتم جداً بالتأكيد على أن الذين هاجموا الزهراء كانوا يحبونها، ويحترمونها، ويجلونها، فكيف يهاجمونها، فضلاً عن أن يضربوها، أو أن يكسروا ضلعها، أو أن يسقطوا جنينها، أو أن يحرقوا بابها؟! على حد تعابيره..

١٢ - ما معنى قوله:

«إن ضرب الزهراء.. و.. لا يمثل عنده أية سلبية، أو إيجابية»؟!!

وما معنى أن لا يهتم بإثبات أو نفي هذه القضية، لا من ناحية علمية، ولا من ناحية سياسية؟!!

١٣ - إن هذا البعض يحاول التقليل من خطورة مقولاته التي أطلقها، فيقول:

«هي قضية تاريخية تحدثت عنها في دائرة خاصة، ولم أتحدث عنها في الهواء الطلق».

**ونقول:**

**أولاً:** إن الحديث عن هذه القضية قد كان في مسجد الإمام الرضا «عليه السلام» في بئر العبد، أمام كاميرا الفيديو، وأجهزة ضبط الصوت. وفي مجتمع نسائي مفتوح.. فهل ذلك دائرة خاصة، وليس حديثاً في الهواء، الطلق؟!!

**ثانياً:** إن خطأ هذه المقولات، وخطورتها، لا يدفعه ولا يرفعه أن يكون هذا البعض قد أطلقها في الهواء الطلق، أو في دائرة خاصة..

**ثالثاً:** سواء أكان قد قالها في دائرة خاصة، أو في الهواء الطلق، فإن إصراره عليها، وحرصه على إقناع الناس بها عبر إذاعة تابعة له.. وحتى عبر قنوات التلفاز حتى الإقليمية منها وبغير ذلك من وسائل.. يفرغ هذا التبرير من محتواه، ويسقطه عن الصلاحية لتبرير أي شيء.

٦٣٨ - ناقشت كل العلماء في إيران وغيرها حول ضرب الزهراء فلم يقتنعوني.

٦٣٩ - نفي الضرب وإسقاط الجنين، وكسر الضلع لا يعني تبرئة أحد.

٦٤٠ - ضرب الزهراء والإسقاط و.. لا يتصل بالعقيدة.

٦٤١ - الإجماع على الضرب وإسقاط الجنين لم يقتنع هذا

البعض.

٦٤٢ - هذا البعض يسأل الناس العاديين: هل كسر الضلع ثابت عندكم؟!

**يقول البعض:**

«ضرب الزهراء، وإسقاط جنينها، وكسر ضلعها قضية تاريخية، ليست متصلة بالعقيدة».

**ويقول البعض أيضاً:**

«لدي علامات استفهام تحتاج إلى جواب، والحقيقة لم أجد لها جواباً، ناقشت كثيراً من العلماء، كل العلماء في إيران وغيرها، حول مسألة ضرب الزهراء وغيرها، فلم يقنعوني».

**ويقول :**

«لم أثر الموضوع، بل كان حديثاً خاصاً، استغله الحاقدون، ونشروه بين الناس، فإذا كان هناك إساءة لذكرى الزهراء، فهم الذين يتحملون مسؤوليتها».

**ويقول:**

«إن نفي ضرب الزهراء، وإسقاط جنينها، وكسر ضلعها، لا يعني تبرئة أحد ممن ظلموها، فما هو الحرج في ذلك؟! »  
ويسأله بعض الأخوة عما ينسب إليه حول الإعتداء على الزهراء

---

(١) أجوبة البعض على آية الله التبريزي، الجواب رقم ١٧.

وكسر ضلعها، فيرد السؤال على السائل - وهو رجل عادي - ويقول له:

هل كسر الضلع ثابت عندكم أنتم؟! وما الدليل?!.

### وقفه قصيرة:

**ونحن نشير هنا إلى ما يلي:**

- ١ - إنه إذا كان قد ناقش كل العلماء في إيران وفي غيرها، فلماذا لم ينتشر خبر هذه المناقشات، ولم يسمع أحد بنتائجها؟!
- ٢ - إذا كان قد ناقش كل العلماء، فلماذا أنكروا عليه وأصدروا في حقه الفتاوي في خصوص الفترة التي وصلهم فيها نبأ حديثه في مسجد بئر العبد أمام طائفة من النساء، واطلعوا على شريط الفيديو والكاسيت، الذي سجل بعض مقولاته فيه؟!
- ٣ - إن العلماء في إيران فقط يعدّون بعشرات الألوف، فكيف بمن هم خارج إيران، فمتى تسنى له الاجتماع بهم، ورؤيتهم فضلاً عن أن يكون قد ناقشهم جميعاً؟!
- ٤ - إذا كان هذا الأمر حديثاً خاصاً، نشره الحاقدون بين الناس، وجعلوه وسيلةً للتشهير، فكيف ناقش كل العلماء في إيران وغير إيران في هذا الأمر، ولم يقنعوه ولم ينشر عنه ذلك الحاقدون، ولا جعلوه وسيلةً للتشهير به؟!
- ٥ - إنه إذا كان قد ناقش كل العلماء في إيران وفي غيرها فإنه بلا شك لم يستطع أن يجد ولو عالماً واحداً يوافقه الرأي فيما يذهب إليه..



فإنه قد عجز عن إقناع أي منهم عجزاً ذريعاً.. ولأجل ذلك نجدهم بمختلف طبقاتهم قد هبوا لنصرة دينهم، وسجلوا إدانتهم له، ولما سمعوه من مقولاته..

٦ - وأما قوله:

«إن نفي ضرب الزهراء ونفي إسقاط جنينها، وإنكار كسر ضلعها، لا يمثل تبرئة للظالمين».

فهو عجيب وغريب.. فإنك إذا قلت: إن فلاناً لم يضرب فلانة، فقد برأته من تهمة ضربها، فإذا قلت: إنه لم يكسر ضلعها.. فقد برأته من هذه التهمة أيضاً. فإذا قلت: إنه لم يسقط جنينها، فقد برأته من ثلاثة اتهامات.

**وواضح:** أن هذا البعض لم يعترف إلا بالتهديد بإحراق البيت من قبل أناس قلوبهم مملوءة بحب صاحبة البيت، ويعرفون أن مكانتها لا تسمح لهم بفعل أي شيء ضدها. وجرم هذا الشخص الذي اكتفى بالتهديد، ولم يزد عليه شيئاً أقل بكثير من جرم من يعتدي بالضرب. فكيف إذا زاد على ذلك إسقاط الجنين، وكسر الضلع، وغير ذلك؟!.

ويمكن عودة المياه إلى مجاريها بسهولة إذا كانت الجريمة هي مجرد تهديد من محب ولكن عودتها إلى مجاريها ستكون أصعب بكثير حين تكون هناك جريمة ضرب، واقتحام بيوت وقتل جنين وكسر عظام، وما إلى ذلك..

٧ - أما بالنسبة لكون ضرب الزهراء «عليها السلام»، وإسقاط

جنينها، وكسر ضلعها لا يتصل بالعقيدة.. فهو أغرب وأعجب، فإن من يدعي لنفسه مقام الإمامة والخلافة لرسول الله.. إذا كان لم يرتكب أي جرم، سوى التهديد الظاهري للزهراء «عليها السلام»، فإن قبول دعواه لهذا المقام العظيم سيكون أيسر مما لو كان قد ارتكب جريمة قتل جنين، وضرب سيدة نساء العالمين، وكسر ضلع من يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها.. إذ لا ريب في أن من يكون كذلك لا يكون صالحاً لمقام خلافة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله».

٨ - لماذا هذا الإصرار على تشكيك الناس في ما جرى على الزهراء «عليها السلام»؟! وهل يقبل من يجعل نفسه في عداد العلماء أن يطرح على الإنسان العادي سؤال: هل كسر الضلع ثابت عندكم؟ وما الدليل؟! إلا إذا كان يسعى إلى تشكيكه فيما يعتقده..

٩ - وهل يليق بالعالم أن يطرح شكوكه على الناس العاديين، ثم يقول لهم: أنا لا أريد أن أنفي. أنا أريد أن أثير علامات استفهام؟! وماذا يفهم الناس العاديون إذا قال لهم العالم: أنا شاك في ثبوت هذا الأمر؟! ثم يقيم لهم عشرات الأدلة على أن ذلك بعيد وغير معقول. ثم يقول لهم: أنا لا أنفي ذلك..

٦٤٣ - سكوتها عن مطالبة الشيخين دليل على عدم ضربهم لها.

٦٤٤ - سكوتها عن مطالبة الشيخين دليل على عدم إسقاط

الجنين.

٦٤٥ - لو اعتدوا على الزهراء لما سكت الناس.

٦٤٦ - لم تضرب فاطمة، ولا كسر ضلعها، ولا كشف بيتها،  
بدليل قول كاشف الغطاء.

٦٤٧ - لو ضربت الزهراء لاحتج به علي.. لأن ذلك يثير  
الجماهير..

٦٤٨ - لا دليل شرعياً على إحراق الباب.

٦٤٩ - لا دليل شرعياً على ضرب الزهراء.

٦٥٠ - لا دليل شرعياً على كسر الضلع.

٦٥١ - تحريف سند الرواية ثم القول: سند رواية دلائل الإمامة  
ضعيف.

٦٥١ - ضرب المرأة عيب عند العرب فكيف ضربت الزهراء.

٦٥٢ - كاشف الغطاء يشكك في ما جرى على الزهراء.

**يقول البعض:**

«لماذا لم تذكر الزهراء ما جرى من ضرب، وإسقاط جنين لأبي  
بكر وعمر، عندما جاء إليها ليستر ضياها»؟!

**ويقول:**

«ليس ثمة دليل شرعي على أنهم ضربوها، وأحرقوا الباب،  
وكسروا الضلع. وأما رواية دلائل الإمامة فهي ضعيفة، لأن راويها  
محمد بن سنان، ووثاقته محل نظر. ولو كان عبد الله بن سنان فهو  
ثقة، لكنه محمد بن سنان. والأغلبية لا يأخذون بكلامه».

**ويقول:**

«كيف يمكن أن يضرب المهاجمون الزهراء، وقد كان ضرب المرأة عيباً عند العرب»؟!  
ويقول في أجوبته على آية الله التبريزي، فيما زعم أنه رد عليه:

«كما أن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء يشكك في ذلك، لا من جهة تبرئة عمر، ولكن لأن ضرب المرأة عند العرب كان عاراً على الإنسان وعقبه، كما جاء في نهج البلاغة، فهو أمر مستنكر وعار<sup>(١)</sup> عند الناس، لذلك لا يفعلونه خوفاً من العار، كما يقول كاشف الغطاء» .  
ويقول فيما اعتبره رداً على آية الله التبريزي أيضاً:

«وما ذكرتموه عن دلائل الإمامة تحت عنوان بسندٍ معتبر، ليس معتبراً؛ لأن الراوي هو محمد بن سنان، الذي لم يوثق عندنا، وعند سيدنا الأستاذ السيد الخوئي قده» .

وقد استدلل البعض، بإجابة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء - الذي وصفه بأنه من المفكرين - على سؤال حول هذا الموضوع، معتبراً أن كلام كاشف الغطاء يثبت عدم صحة ما يقال من كسر ضلع الزهراء «عليها السلام»، بسبب ضرب المهاجمين لها، كما أن ذلك ينفي ما يقال من دخولهم بيتها، وضربها، وما لحق أو سبق ذلك من

---

(١) الجواب رقم ١٧.

(٢) الجواب رقم ١٧.

أحداث.

واستدل أيضاً على نفي حصول أي شيء على الزهراء بأن الناس لن يوافقوا على التعرض للزهراء «عليها السلام» بسوء أو أذى. ولن يجرؤ المهاجمون على فعل أي شيء ضدها. لأن الناس لا يقبلون ذلك منهم.

ويتساءل هذا البعض عن السبب في عدم استفادة علي «عليه السلام» من هذا الأمر في حجاجه واحتجاجه، مع أن فيه حجة قوية وهامة عليهم، وإثارة عاطفية من جميع الجهات ضدهم على حد تعبيره.

**وقفه قصيرة:**

**والنقاط التي نريد إثارتها هنا هي التالية:**

١ - إن هذا البعض يقول: إنه لم ينكر ما جرى على الزهراء «عليها السلام» وإنما أثار علامات استفهام. والذي نورده في هذا الفصل من استدلالات مختلفة له هي استدلالات على عدم حصول هذا الأمر.. فهو يقول: «أشك»، ولكنه يقيم عشرات الأدلة على النفي..

٢ - إن هذا البعض يعترف بأن الزهراء قد ظلمت في غضب فذلك، وفي تهديدها بالإحراق، وفي غضبهم الخلافة من علي «عليه السلام».

ثم إنه هو نفسه يستدل على نفي حصول الضرب، وإسقاط الجنين، وكسر الضلع، بأن ذلك لو صح، فقد كان اللازم أن تذكر ذلك

لأبي بكر وعمر، حينما جاءا ليسترضياها..

### ونقول في جوابه:

لماذا لم تذكر الزهراء جرائمهم في غصب فذك، والخلافة والتهديد بالإحراق للشيخين حينما جاءاها ليسترضياها؟!!

فإذا كان اللازم: أن تذكر لهما ضربها، وإسقاط جنينها وكسر ضلعها، فإن اللازم أيضاً: أن تذكر لهما ما يعترف هو بحصوله أيضاً: من أنهم هددوها بالإحراق على الأقل و.. و..

٣ - إن الزهراء قد تحدثت حين جاءها الشيخان بصورة كلية وعامة، فذكرت لهما: أنهما آذاها وأغضاها.. وأنها لن ترضى عنهما. ولو أنها ذكرت ما أصابها من ضرب وسقط جنين وغير ذلك، لكانت قد مكنتهم من تشويه القضية، بإشاعة: أن القضية مجرد حق شخصي، وسيقولون للناس: إنه قد كان على الزهراء أن تكون أكثر مرونة وتسامحاً، حيث إن العفو هو سبيل الإنسان المؤمن. وفي ذلك تضييع للقضية الأساس والأهم، بل هو يستبطن الطعن في شخصية سيدة نساء العالمين، والتي يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، حيث إن ذلك يظهرها بمظهر من يهتم بنفسه أكثر مما يهتم بقضايا الدين، والإسلام والإيمان.

٤ - إن عدم الاحتجاج بأمر لا يدل على عدم وقوع ذلك الأمر، إذ قد تحصل موانع من الاحتجاج به.

ثم إن ما فعله هؤلاء لم يكن بالأمر الخافي على أحد، فلا فائدة من

الاحتجاج به، إلا إذا كان ثمة ضرورة لإحراجهم بإلزامهم بالامر. حيث يكون لهذا الإلزام فائدة وليس ثمة من عائدة، لأنهم كانوا مصرين على ما فعلوه. حتى إنهم لم يعترفوا لها ولو بغصب فذك، فمن لا يتراجع عن هذا الأمر الصغير، هل يتراجع عن ذلك الأمر الكبير والخطير؟!..

٥ - بالنسبة لرواية دلائل الإمامة، نقول لهذا البعض: إن راويها هو عبد الله بن سنان الذي يعترف هذا البعض نفسه بوثاقته، فسند الرواية صحيح. وليس هو محمد بن سنان، كما زعم هذا البعض.. ولا ندري ما هو السبب في تغييره وتبديله في سند هذه الرواية، لينقلب الأمر في وثاقة راويها رأساً على عقب؟!!

٦ - ما معنى قوله: ليس ثمة دليل شرعي على أنهم ضربوها، وأحرقوا الباب، وكسروا الضلع.. أليس قد ذكرنا في كتابنا مأساة الزهراء مئات الروايات والنصوص الدالة على ذلك كله؟! فإذا لم يكن هذا دليلاً شرعياً، فما هو الدليل الشرعي الذي يطلب؟!!

٧ - إن كون ضرب المرأة عيباً لا يعني عدم ارتكابهم لهذا العيب (١) إذا وجدوا أن أمراً خطيراً جداً سوف يخسرونه كما هو الحال هنا .

٨ - قد جلدت السيدة زينب بالسياط كما ذكر هذا البعض نفسه وكذا سائر السبايا..

---

(١) راجع للإنسان والحياة ص ٢٧١.

وكان المشركون يعذبون النساء في مكة، حتى ماتت سمية أم  
عمار بن ياسر تحت التعذيب، وقد اعترف عمر نفسه بأنه كان يعذب  
جارية بني مؤمل.

ولما مات عثمان بن مظعون بكت النساء فجعل عمر يضربهن.  
وأهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دم هبار بن الأسود، لأجل ما  
كان منه في حق زينب.

وضرب عمر النساء ومنهن أم فروة أخت أبي بكر لأنها بكت  
أخاها؟!.. إلى غير ذلك مما لا مجال لاستقصائه؟!!

٩ - لا ندري بعد كل ما قدمناه متى كانت أقوال الرجال حجة في  
اثبات الحقائق أو نفيها؟! فعلام إذن يستشهد بكلام كاشف الغطاء يا  
تري؟!!

على أن كاشف الغطاء لا ينفي مظلومية الزهراء بصورة قاطعة،  
بل هو يعبر عن حيرته وذهوله.. من هذا الأمر الفظيع الذي جرى  
على بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله». وقد تحدث في شعره عن  
مظلومية الزهراء، فقال:

**وفي الطفوف سقوط السبط منجداً من سقط محسن خلف الباب  
منهجه**

**وبالخيام ضرام النار من حطب بباب دار ابنة الهادي تأججه**  
**ولأجل ذلك، فإننا نرى: أن كلام هذا الرجل ربما يكون قد جاء**  
**للإجابة على سؤال من قبل من يقدر أولئك المهاجمين، فجاءت**



إجابته «رحمه الله» كافية لبيان الحقيقة من جهة، ولا تثير حساسية هذا النوع من الناس من جهة أخرى.

وإن من يلاحظ كلماته في جنة المأوى ص ٨٣، ابتداء من قوله: طفحت، واستفاضت كتب الشيعة.. وانتهاء بقوله: ما يعد أعظم وأفظع، يجد صحة هذا الذي ذكرناه. حيث إنه قد أكد على حدوث هذه المظالم في حق الصديقة الطاهرة «عليها السلام» بما لا مزيد عليه.

١٠ - أما بالنسبة لقوله:

«إن الناس لن يسكتوا على أمر العدوان على الزهراء، لحبهم لها، ولمكانتها في نفوسهم..».

**فجوابه واضح:** إذ إن هؤلاء الناس أنفسهم قد قالوا لرسول الله، وهو مريض، وقد أراد أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده: إن النبي ليهجر..

إلا أن ينكر هذا البعض حتى صدور هذا منهم إذ: «من أجل عين ألف عين تكرم».

كما أن سبط رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسيد شباب أهل الجنة قد قتل هو وولده وأصحابه وسبيت النساء والأطفال..

**أضف إلى ذلك:** أن هذا البعض يعترف بجمع الحطب والتهديد بالإحراق.. فأين كانت غيرة الناس آنئذ يا ترى!؟

١١ - وحول عدم ذكر علي «عليه السلام» لهذا الأمر في حجاجه واحتجاجه مع أنه أمر يثير الجماهير ضد غاصبي الخلافة فقد بات

واضحاً أن علياً «عليه السلام» نفسه قد أوضح بما لا مزيد عليه أن الأمر لا يتحمل أية إثارة، فإن الإسلام كان في خطر شديد وأكد.

**أضف إلى ذلك:** أن الأمر لم يكن خافياً على أحد. فلا داعي إلى ذكره مع هذا الحضور الشديد له في الأذهان.

مع أن الجراح الشخصية، والآلام الروحية يمكن حل عقدها ببعض الكلام المعسول، وبالخضوع الظاهري منهم والاعتذار، وتضيق القضية الكبرى. وقد تحدثنا عن ذلك في كتاب مأساة الزهراء. (١) فراجع .

٦٥٤ - الروايات التي تتحدث عن مظلوميتها متضافرة ومستفيضة.

٦٥٥ - روايات المظلومية تكاد تكون متواترة..

٦٥٦ - هل كشف دار فاطمة، أم كشف بيتها؟!..

٦٥٧ - حرق الدار لم يتأكد له.

٦٥٨ - كسر الضلع لم يتأكد له.

٦٥٩ - إسقاط الجنين لم يتأكد له.

٦٦٠ - لطم خد الزهراء «عليها السلام» لم يتأكد له.

٦٦١ - ضرب الزهراء «عليها السلام» لم يتأكد له.

---

(١) مأساة الزهراء ج ١ ص ٢٠٤.

- ٦٦٢ - مظالم الزهراء الأخرى لم تتأكد له أيضاً.
- ٦٦٣ - المفيد شكك في وجود ولد اسمه «محسن».
- ٦٦٤ - المفيد يشكك في إسقاط الجنين ونحن نوافقه.
- ٦٦٥ - كثير ممن هجم على دارها كان قلبه ينبض بمحبتها.
- ٦٦٦ - المتيقن هو كشف دار فاطمة والتهديد بالإحراق.

### يقول البعض:

«ولا نجازف إذا قلنا: إن الروايات التي تتحدث عن مظلوميتها متضاربة ومستفيضة، بل تكاد تكون متواترة»<sup>(١)</sup>.

### ويقول:

«ولأجل هذه المحبة والقدسية التي يحملها المجتمع المسلم للزهراء «عليها السلام» رأينا أنه عندما هجم على دارها من هجم بقصد الإساءة وهددوا بإحراق البيت كان الاستنكار الوحيد أن في البيت فاطمة، ولم يقولوا: إن في البيت علياً، ولا الحسين، ولا زينب، بل إن فيه فاطمة، ما يدل على أنها كانت تعيش في عمق وجدان المسلمين، وتستحوذ على محبتهم، حتى إن كثيراً ممن هجم على دارها مع المهاجمين كان قلبه ينبض بمحبتها. ولهذا انصرف باكياً عندما سمع صوتها».

(١) الزهراء القدرة ص ١٠٧.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦.

وهكذا وجدنا المسلمين تفاعلوا مع خطبتها، التي خطبتها بعد وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وغضب الخلافة، ومصادرة فذك، وتأثروا كثيراً لكلامها، حتى أنه لم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم (١) يومئذ» .

### ويقول:

«هناك بعض الحوادث التي تعرضت لها مما لم تتأكد لنا بشكل قاطع وجازم، كما في مسألة حرق الدار فعلاً، وكسر الضلع، وإسقاط الجنين، ولطم خدها، وضربها.. ونحو ذلك مما نقل إلينا من خلال روايات يمكن طرح بعض علامات الاستفهام حولها، إما من ناحية المتن وإما من ناحية السند. وشأنها شأن الكثير من الروايات التاريخية.

ولذا فقد أثّرنا بعض الاستفهامات كما أثارها بعض علمائنا السابقين رضوان الله عليهم، كالشيخ المفيد الذي يظهر منه التشكيك في مسألة إسقاط الجنين، بل في أصل وجوده، وإن كنا لا نوافقه على الثاني..

ولكننا لم نصل إلى حد النفي لهذه الحوادث، كما فعل الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء «رحمه الله» بالنسبة لضربها، ولطم خدها، لأن النفي يحتاج إلى دليل، كما أن الإثبات يحتاج إلى دليل، ولكن القدر

(١) الزهراء القدوة ص ١٦٠ و ١٦١.

المتيقن من خلال الروايات المستفيضة بل المتواترة تواتراً إجمالياً هو الاعتداء عليها من خلال كشف دارها، والهجوم عليه والتهديد بالإحراق، وهذا كان للتدليل على حجم الجريمة التي حصلت.. هذه الجريمة التي أُرقت حتى مرتكبيها، ولذا قال الخليفة الأول<sup>(١)</sup> لما دنت الوفاة ليتني لم أكشف بيت فاطمة، ولو أعلن علي الحرب» .

### ويقول:

«إن الشيخ المفيد «رحمه الله» في كتاب الإرشاد يشكك في وجود محسن، فيقول: وينقل بعض الشيعة: أنه أسقطت ولداً سماه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو حمل محسناً؛ فعلى قول هذه الطائفة من الشيعة يكون أولاد علي «عليه السلام» ثمانية وعشرين<sup>(٢)</sup> ولداً» .

### وقفة قصيرة:

١ - قد ذكرنا فيما سبق نصاً من الكتاب الذي يقول عنه:

«أصبح هذا الكتاب «الزهراء القدوة» يمثل كل فكري في سيدة نساء العالمين».

**غير أن الحقيقة هي:** أن الأمر ليس كذلك، فلدينا الكثير مما قاله حول الزهراء، ولم نجد له أثراً في هذا الكتاب، بل ربما نجد فيه ما

(١) الزهراء القدوة ص ١٠٩ و ١١٠.

(٢) راجع أجوبة هذا البعض على آية الله التبريزي، الجواز رقم ١٧.

يعاكسه ويناقضه، وهو القائل: إن أفكارى ما تزال أفكارى وأنا ملتزم بها.

**مما يعنى:** أنه ملتزم بما في هذا الكتاب، وملتزم أيضاً بغيره مما قاله حول السيدة الطاهرة «عليها السلام» في الإذاعات وأجهزة التلفاز، أو سجلته الصحف والمجلات واحتفظت به أجهزة التسجيل (الكاسيت، والفيديو) وغير ذلك.

٢ - إن الحديث المستفيض هو الذي رواه في كل طبقة أزيد من ثلاثة رواة.

والخبر المستفيض لا يخرج عن كونه من أخبار الآحاد أيضاً.  
**والملفت:** أنه قد أصر على عدم بلوغ أحاديث مظلومية الزهراء حد التواتر، وقوله: «بل تكاد تكون متواترة» شاهد على هذا الاصرار..

### ومن الواضح:

**أولاً:** أن هذا البعض يشترط في حجية الاخبار التاريخية، وغيرها - ما عدا الاحكام - أن تكون مفيدة للقطع، وبدون ذلك فلا حجية لها. فأخبار مظلوميتها على رأيه لا تفيد في إثباتها، لأنها مستفيضة، أي أنها ثلاث روايات أو أزيد، ولكنها لم تصل الى حد التواتر المفيد للقطع..

**ثانياً:** إن ما ذكرناه في كتاب مأساة الزهراء من نصوص حديثة عن المعصومين، ومن نصوص تاريخية، وغيرها، وهي من الكثرة

بحيث استغرقت اكثر صفحات الجزء الثاني، وهي تعد بالعشرات والمئات.. ليست متواترة وحسب، وإنما هي مجموعة تواترات تضاف إلى بعضها البعض.

**ثالثاً:** إننا حين نستوضح من هذا البعض عن المظلومية التي يقصدها، ويخل علينا بالحكم بتواتر نصوص إثباتها، فانه سيجيب: إنه يقصد فقط جمع الحطب والتهديد بالإحراق. ولعله يضيف إلى ذلك أيضاً غصب فذك وغصب الخلافة. أما ما عدا ذلك، فهو يشك فيه.. غير أنه اعترف في هذا النص بكشف دار فاطمة، وهو ما كان ينكره في السابق..

فإذا كان هذا المقدار من المظلومية (وهو جمع الحطب والتهديد بالإحراق)، لم تصل رواياته إلى درجة التواتر الذي هو حجة عنده، فكيف بما سواه مما جرى عليها صلوات الله وسلامه عليها؟!!

**٣ - يلاحظ:** أنه إنما اعترف بكشف «دارها» ولم يقل بيتهها، وان كان حين ذكر كلام أبي بكر حول هذا الأمر، نجد أن تعبير أبي بكر قد جاء أدق وأوضح من كلام هذا البعض فقد قال أبو بكر: «بيت فاطمة» ولم يقل: «دار فاطمة..»، لأن الدخول للدار قد لا يصاحبه دخول البيت.

**٤ -** إن هذا النص الذي ذكرناه - وهو الذي نقلناه من كتاب «الزهراء القوة» وقد هذب إلى أقصى الدرجات - يوضح: أنه لا يزال مصراً على تشكيكاته بما جرى على الزهراء من مظالم..

ويوضح أيضاً: أن إنكاره لا ينحصر بأمر كسر الضلع وحسب، وإنما يتعداه إلى مختلف مفردات مظلوميتها «عليها الصلاة والسلام».

٥ - إن مراجعة علامات الاستفهام والأدلة التي طرحها هذا البعض، وقد ذكرنا شطراً كبيراً منها في هذا الفصل تعطينا: أن ما جعله مبرراً للتشكيك في إحراق الباب والضرب، وإسقاط الجنين هو نفسه من أسباب التشكيك حتى في جمع الحطب، وفي حدوث أدنى تعرض بالسوء للزهراء «عليها السلام».. فإذا جرّت باؤه هناك، فلا بد أن تجرّ في سائر الموارد..

فقد احتج بأن للزهراء، مكانة كبيرة لدى المسلمين. تمنع من حدوث هذه الأمور..

فإذا كانت هذه المكانة تمنع من الإحراق ومن كسر الضلع، وإسقاط الجنين و.. و.. فإنها تمنع أيضاً جمع الحطب، ومن التهديد بالإحراق. وتمنع أيضاً من كشف «دارها» على حد تعبيره..

واستدل أيضاً: بأن الذين جاء بهم عمر لمهاجمة بيتها كانت قلوبهم مملوءة بحبها، فكيف نتصور أن يهجموا عليها كما ذكره في إذاعة تابعة له..

وهذا بالذات يقال بالنسبة لجمع الحطب، والتهديد، فإن قلوبهم كانت مملوءة بحبها، فكيف نتصور أن يكشفوا دارها. أو أن يجمعوا الحطب، أو أن يهددوا بإحراق البيت؟!!

وهكذا الحال بالنسبة للعديد من أدلته التي ذكرنا في هذا الكتاب



شطراً منها..

وإذا كان هؤلاء الأشخاص - على حد تعبيره في كتاب للإنسان والحياة - قد فهموا كلام النبي حول تعيين من يقوم بالأمر بعده بطريقة معينة، فكان إبعاد علي «عليه السلام» عن الخلافة نتيجة هذا الفهم الذي يعذر فيه صاحبه، فإن النتيجة تصبح واضحة وجلية.. ولا حاجة بنا إلى قول أكثر من ذلك.

٦ - وأما بالنسبة لما ذكره هذا البعض فيما اعتبره رداً على آية الله التبريزي حول كلام الشيخ المفيد «رحمه الله» في الإرشاد عن تعداد أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام».. فهو غريب وعجيب، إذ إن من البديهي عند أهل العلم والاطلاع: أن من يطلق عليهم اسم «الشيعة» كانوا عدة فرق، كالإسماعيلية، والزيدية، والإمامية، والفاطمية، والمعتزلة وغيرهم، فلا يحق للشيخ المفيد أن يقول: إن الشيعة يقولون بكذا.. إذا كانت بعض فرقهم لا تقول به، بل عليه أن يقول: «ومن الشيعة من يقول الخ..»، ولأجل ذلك نجده قد عبّر بهذا التعبير بالذات.

فما معنى أن ينسب إلى الشيخ المفيد التشكيك بأصل وجود المحسن؟!!

٦٦٧ - شرف الدين يثبت كسر الضلع، وهذا البعض ينسب إليه نفيه.

٦٦٨ - شرف الدين يثبت بيت الأحزان، وينسب هذا البعض إليه

نفية.

٦٦٩ - شرف الدين يثبت كشف البيت وهذا البعض ينسب إليه

نفية.

٦٧٠ - سند مهاجمة الزهراء محل مناقشة في بعض ما ورد.

٦٧١ - لم يذكر شرف الدين في المراجعات والنص والاجتهاد أي

شيء من ذلك.

### يقول البعض:

«لقد كانت المسألة كلها: أن لدي تساؤلات تاريخية تحليلية في دراستي، كنت أحاول إثارتها في بحثي حول هذا الموضوع.. لا سيما أنني كنت قد سمعت من الإمام شرف الدين قدس سره، جواباً عن سؤال حول الموضوع: إن الثابت عندنا أنهم جاؤا بالحطب، ليحرقوا البيت. فقالوا: إن فيها فاطمة.

فقال: وإن.

ولذلك فقد أجبت عن سؤال حول الموضوع: أن السند محل مناقشة، في بعض ما ورد. ولكنه أمر ممكن..

وعن سؤال حول إسقاط الجنين: أن من الممكن أن يكون طبيعياً الخ..» .

---

(١) من رسالة أرسلها البعض إلى قم بتاريخ ١٤١٤/٦/٣ هـ. وهي منشورة ومتداولة.

**ويضيف على ما تقدم في مورد آخر:**

«ولم يذكر السيد عبد الحسين في النص والاجتهاد، ولا في المراجعات أي شيء من هذا الذي يقال؛ راجعوا...».

**وقفة قصيرة:**

**ونقول:**

إننا نتمنى على القارئ الكريم أن يلاحظ الأمور التالية:

١ - لماذا يلجأ هذا البعض إلى أقوال الرجال.. وهو لم يزل يعنف السابقين بأنهم قد ارتكبوا أخطاء، ولا سيما في أمور العقيدة، فضلاً عن غيرها، ويريد هو تصحيحها؟!

٢ - إن ما ذكره هذا البعض عن السيد عبد الحسين شرف الدين لا يمكن قبوله، إذ قد قال السيد عبد الحسين «رحمه الله»: «وكأنني بها، وقد أصلى ضلعها الخطب، ولاع قلبها الكرب، ولعج فؤادها الحزن، واستوقد صدرها الغبن، حين ذهبت كاظمة، ورجعت راغمة، ثم انكفأت إلى قبر أبيها باكية شاكية قائلة:

قد كان بعدك أنباء وهنبئة      لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب  
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها      واختل قومك فاشهدهم فقد  
نكبوا

فليت بعدك كان الموت صادفنا      لما قضيت وحالت دونك الكتب  
ولم تزل - بأبي هي وأمي - بعد أبيها «صلى الله عليه وآله» ذات

غصة لا تساغ، ودموع تنرى، من مقلة عبرى، قد استسلمت للوجد، وأخلدت في بيت أحزانها إلى الشجون، حتى لحقت بأبيها، معصبة الرأس، قد ضاقت عليها الأرض. الخ..» .

كما أنه «رحمه الله» قد ذكر في هامش كتابه النص والاجتهاد، وكذلك في أصل الكتاب: أن القوم قد كشفوا بيت فاطمة، فراجع .

٥ - أضف إلى ما تقدم: أن السيد عبد الحسين شرف الدين حينما يناقش أهل السنة، فهو لا يريد أن يواجههم بكل هذه الطامات، فان ذلك من شأنه أن يثير عصبيتهم وحفيظتهم، ويبعثهم على العناد، فتفوت الفائدة من الحوار معهم. فلا بد من المداراة لهم، ومحاولة إيصالهم إلى الحق والحقيقة بصورة تدريجية..

٤ - على أن كتب السيد شرف الدين لا تنحصر في المراجعات، وفي النص والاجتهاد، بل له مؤلفات أخرى، مثل كتاب المجالس الفاخرة. وقد نقلنا عنه النص السابق ذكره..

٥ - ما معنى قوله: «إن السند محل مناقشة في بعض ما ورد..». فهل يريد أن يقول: إن بعض ما ورد صحيح، والبعض الآخر فيه مناقشة؟! وما هو الضير في ذلك، ما دام أن بعض ما ورد صحيح

(١) المجالس الفاخرة ص ٣٥.

(٢) النص والاجتهاد ص ١٩ و ٢٠ و ٢١ متناً وهامشاً، وراجع (ط الأعلی) ص ٨٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٥٠.

السند؟!!

وإذا بلغت النصوص الحديثية، والتاريخية حد التواتر، فما هي الحاجة إلى البحث في صحة السند وضعفه؟!!

٦ - أما بالنسبة لكون إسقاط الجنين كان طبيعياً، فقد أشرنا إلى بعض ما فيه في مورد آخر من هذا الكتاب.

٧ - ما معنى أن يستند في أمر خطير كهذا إلى قول واحد أو اثنين أو ثلاثة من المتأخرين، حيث تفردوا بأمر لا شاهد لهم عليه، ويخالفهم فيه آلاف العلماء، بل علماء الأمة بأسرها، وعشرات بل مئات النصوص الصريحة والصحيحة والمتواترة فهل يصح الاعتماد على قول كهذا لتغيير الحقيقة التاريخية، وترك كل ما عداه وتجاهله، واقتلعه من وجدان الناس؟!!

٨ - هذا كله.. عدا عن أن من غير المعقول: أن يُسَرَّ السيد شرف الدين بهذه الحقيقة الخطيرة جداً إلى فتى يافع، ويترك جهابذة العلماء فلا يشير إليهم بشيء من ذلك، لا من قريب ولا من بعيد. ثم هو لا يسجل ذلك في أي من كتبه، بل يسجل ما يخالفه حسبما تقدم.

٩ - والأغرب من ذلك أن يتذكر هذا البعض هذا النص الذي تفرد بنقله عن السيد شرف الدين «رحمه الله»، ولا ينساه، ولا يبذل حرفاً ولا كلمة، رغم ما نشهده منه من نسيان لأبسط الأمور، وأقربها إلى حياته حتى إنه لينسى مقدار عمره حسبما عرفناه في كتابنا: لماذا كتاب مأساة الزهراء. وفي كتاب: مأساة الزهراء نفسه..

١٠ - إن قولهم لعمر، حين الهجوم على البيت: إن فيها فاطمة. فأجاب: وإن.. إنما ذكر في كتاب: الإمامة والسياسة، ولم يذكر لهذا النص سند. وغير هذا النص أكثر تداولاً، واصح سنداً، وأكثر عدداً، مما يعد بالعشرات.. فلماذا اعتبر السيد شرف الدين - لو صح النقل عنه - خصوص هذا النص هو الثابت. ويترك كل ما عداه..

١١ - هل يقصد السيد شرف الدين بقوله المنسوب إليه: «عندنا» طائفة الشيعة، أم يقصد نفسه؟! فإن كان يقصد طائفة الشيعة، فإن الشيخ الطوسي وكاشف الغطاء قد صرحا بإجماع الشيعة خلفاً عن سلف على خلاف ذلك.

وإن كان يقصد نفسه، فلا بد أن نسأله عن الأدلة التي جعلته يختار هذا النص التاريخي المرسل، المروي في خصوص ذلك الكتاب المشار إليه آنفاً، ويترك ما عداه مما حفلت به المصادر الكثيرة والمتنوعة، التي أوردنا جانباً عظيماً منها في الجزء الثاني من كتابنا: مأساة الزهراء؟!!



## الفصل الثاني

المزيد من الأدلة الواهية..



---

## بداية:

إن هذا البعض لم يزل يثير الشكوك حول ما جرى على الزهراء بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله». وحين يواجه بالاعتراض والانكار، والنقد من قبل المخلصين من علماء الأمة ومراجع الدين. يبدأ بكيل الشتائم لهم عبر وسائل الإعلام المتوفرة لديه، أو تصل إليها يده، ويصورهم بابشع الصور، ويتهمهم بأعظم التهم، التي يوجب بعضها استحلال دمائهم..

هذا عدا عن تحريضه الناس ضدهم، وتعبئة قلوب الناس الطيبين والغافلين بالحق والضعيفة، والتنفر من كل عالم أو مرجع، أو حتى من يضع العمامة على رأسه، بل ومن كل متدين لا يدور بفلكه، ولا يلتزم خطه ونهجه..

ونحن نورد في هذا الفصل نبذة من استدلالاته الواهية التي ترمي للتشكيك بما جرى على سيدة النساء، وتبرئة الآخرين مما فعلوه ضدها.

## فنقول:

٦٧٢ - خصومتهم لعلي لا تمنع من احترامهم لزوجته لسبب ما.

٦٧٣ - تشبيه حالتهم مع علي وزوجته بمرشح ينافس مرشحاً آخر..

### يقول البعض:

«إن خصومة المهاجمين مع علي «عليه السلام» لا تمنع من كونهم يحبون الزهراء «عليها السلام»، ويحترمونها؛ إذ قد يكون هناك مرشح ينافس مرشحاً آخر، ويريد إسقاطه في الانتخابات، ولكن خصومته له لا تمنع من أنه يحترم زوجة منافسه، ويجلها، لسبب أو لآخر..».

### وقفه قصيرة:

ونلاحظ هنا:

١ - إن قضيتهم مع علي لا تشبه قضية المرشح الذي ينافس مرشحاً آخر.. بل هي بمثابة انقلاب عسكري، اعتمد أسلوب الضربة الخاطفة والموجعة، والتي صاحبها ارتكاب جرائم قتل وحرب، وانتهاك حرمة واقتحام بيوت، ومحاولة إحراقها، وما إلى ذلك.

٢ - إن احترام المرشح لزوجة منافسه، لا يعرف بالتكهن، والاحتمالات، بل يعرف بالممارسة، وبالموقف.. وقد رأينا من هؤلاء القوم شراسة وقسوة بالغة في تعاطيهم مع زوجة من يصفه هذا البعض بـ «المنافس»!!

٣ - ولنفترض: أن المهاجمين كانوا يحبونها ويحترمونها. ولكن ذلك لم يمنعهم، إذ وقفت في وجههم، وهددت طموحاتهم، وظهر لهم

أنها ستكون سبباً في إفشال خطتهم - لم يمنعهم ذلك - من أن يعاملوها بقسوة وبغنف بالغ..

**ومن الواضح:** أن الملك عقيم لا رحم له ولا رحمة فيه، فإن طالب الملك قد يقتل أخاه وأباه وولده من أجل الملك - وفي التاريخ شواهد كثيرة على ذلك.. وقد يحب الإنسان صديقه أكثر من حبه لنفسه، فإذا تعارض لديه الحبّان، فإن السوار لن يكون أحب إليه من المعصم. فسيكسر ألف سوار، ولتسلم تلك اليد. كما يقول المثل المعروف.

٦٧٤ - اعتراض المهاجمين على عمر بأن في البيت فاطمة يدل على محبتهم لها.

٦٧٥ - اعتراضهم بوجود فاطمة في البيت دليل إجلالهم لها واحترامها.

٦٧٦ - معنى: «إن في البيت فاطمة»: أنه كيف ندخل ونخوفها ونروعها.

### يقول البعض:

«إن الذين اعترضوا على عمر، حين هدد بإحراق بيت الزهراء «عليها السلام» هم نفس الذين جاؤا معه ليهاجموا البيت، فقالوا له: إن فيها فاطمة!!

فقال: وإن.

واعترضهم هذا يدل على أن للزهراء محبة في نفوسهم، وعلى

أنهم يحترمونها، ويجلونها؛ لأن معناه: أن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في البيت، فكيف ندخل عليها ونروّعها ونخوفها؟!؟

### وقفة قصيرة:

ونطلب من القارئ الكريم، أن يقف عند النقاط التالية:

١ - ما هو الدليل على أن الذين قالوا لعمر: إن في البيت فاطمة كانوا من المهاجمين؟! فقد كان بيتها «عليها السلام» في مسجد النبي «صلى الله عليه وآله»، فلعل المعترض هو أحد من كان موجوداً في المسجد، يراقب ما يجري. ولعله بعض المؤمنين الطيبين، الذين صادف حضورهم هناك.

وهذا هو الأولى بالاعتبار، لأن ظاهر حال المهاجمين هو أنهم لا يقيمون وزناً لعلّي وللحسنين وللزهراء «صلوات الله وسلامه عليهم».

٢ - لنفترض: أن المعترض على عمر هو أحد المهاجمين. فهل هذا الاعتراض من واحد منهم يصير دليلاً على أن الجميع كانوا يحبونها ويجلونها، ولا يحبون أن يخوفوها، ويروّعوها؟!؟

٣ - ولنفترض: أن بعض المهاجمين قال ذلك.. فلعله قد قاله خوفاً من انقلاب الأمور ضدهم، لو أن الزهراء «عليها السلام» أصيبت بأذى، فهو بمثابة تحذير لعمر، حتى لا يفسد الأمر بتصرف ينذر بعواقب وخيمة. حيث لا يمكنهم تبرير ذلك للناس.. فإن الاعتداء على علي قد يمكن تبريره بأنه قتل آبائهم وإخوانهم، أو قاتلهم وواجههم.

فلا يكون هذا القول دليلاً على حب أحد من المهاجمين، ولا حتى

دليلاً على حب قائله للزهراء، فضلاً عن أن يدل على احترامه وتبجيله لها.

٤ - لقد اعتدى المهاجمون على الزهراء، ودخلوا بيتها، وهتكوا حرمتها.. واغتصبوا فدكاً، وإرثها.. وقال بعضهم للنبي: إن النبي ليهجر و.. و.. ولم نجد أحداً من المهاجمين اعترض، أو أدان..

٥ - إن تاريخ وسياسات الذين جاء بهم عمر ليهاجموا الزهراء يدل على أنهم لا يحبون أهل البيت، ولا يجلونهم، إلا بصورة يقتضيها واقع المجاملة الظاهرية.

٦٧٧ - طلب الشيخين للمسامحة يدل على مكانة وقيمة الزهراء بين كبار الصحابة.

### يقول البعض:

«ألا يدل طلب الشيخين - ابي بكر وعمر - المسامحة من الزهراء «عليها السلام» على أن الزهراء «عليها السلام» كانت تحتفظ بقيمتها في المجتمع المسلم بين كبار الصحابة».

### وقفه قصيرة:

### ونقول:

١ - إن طلب المسامحة يدل على أنهم لم يراعوا مكانتها، ولا قيمتها في المجتمع المسلم حيث إنهم آذوها، وأهانوها إلى درجة احتاجوا معها إلى طلب المسامحة..

٢ - إن قيمة رسول الله في المجتمع المسلم أعظم من قيمة

الزهراء، وقد آذوه إلى حد أنهم قالوا عنه: إنه ليهجر، وقد قذفوا زوجته، ونفروا به ناقته، وعصوا أمره بتجهيز جيش أسامة، وما إلى ذلك..

كما أنهم لم يراعوا حرمة بعد وفاته، فاعتدوا على ابنته وهددوها بإحراق بيتها وهي فيه.. وضربوها، وكسروا ضلعها، وأسقطوا جنينها، وأحرقوا بابها، وكشفوا دارها. وندموا على ذلك ندامة ظاهرية، حيث لا ينفع الندم. وقلنا: «ظاهرية»، لأنهم لم يصلحوا شيئاً مما أفسدوه، ولا أعادوا الحق الذي اغتصبوه، كما أن الذين جاؤا بعدهم قد هتكوا حرمة الكعبة، ورموها بالعدرة، وبالمنجنيق، وقتلوا الحسين «عليه السلام» ومن معه، وسبوا عياله و.. و.. الخ..

نعم.. هذه هي قيمة الزهراء في المجتمع المسلم التي اضطرت القوم إلى طلب المسامحة، وذلك ليزيلوا الآثار السلبية لعدوانهم عليها.. وهذه هي قيمة سيد رسل الله وخير خلقه عند هؤلاء القوم..

٣ - ولماذا لم يقل هذا البعض: إن استرضاءها «عليها السلام» كان صورياً.. وليس واقعياً؟! بدليل أنهم لم يتخذوا أية خطوات عملية لإزالة آثار عدوانهم الآثم عليها.. ولا تراجعوا عن قرارهم بغصب أرض فدك، واغتصاب الخلافة من علي.. وأصرروا على عدم معاقبة الجناة الذين قتلوا محسناً..

٤ - إن تعظيم الزهراء واحترامها «عليها السلام» لم يمنعهم من اقتتراف ما يعترف به هذا البعض - مثل غصب فدك - والتهديد

بإحراق بيتها عليها بمن فيه، ولا من هتك حرمة ذلك البيت والدخول إليه عنوة.

٥ - إن الحب والاحترام لا يمنع حتى الأب من قتل ولده في سبيل الملك، بل يقال: إن بعض النساء في العصر العباسي قد قتلت ولدها من أجل ذلك.. فلا يصلح ما ذكره هذا البعض دليلاً على النفي، بل هو لا يصلح حتى مبرراً للتشكيك بما جرى على الزهراء..

٦٧٨ - الإعتداء على الزهراء بفضاعة يثير الرأي العام ضد المهاجمين.

٦٧٩ - احترام الناس للزهراء يجعلنا نشك في صحة ما يقال من اعتداء شنيع.

٦٨٠ - رواية كسر الضلع ضعيفة.

٦٨١ - تضعيفه لرواية كسر الضلع كان جواباً على سؤال بعض النساء.

٦٨٢ - التحليل التاريخي يفرض التحفظ في موضوع كسر ضلع الزهراء.

٦٨٣ - لا يجرؤ على ضرب الزهراء أشد الناس انحرافاً ووحشية.

٦٨٤ - للزهراء محبة وعاطفة لدى المسلمين لم يبلغها أحد.

٦٨٥ - قلوب المهاجمين كانت مملوءة بحب الزهراء.



٦٨٦ - محبة المسلمين للزهراء اكثر من محبتهم لعلي،  
والحسنين.

٦٨٧ - الدليل على حبهم للزهراء: أن علياً دار بها على البيوت  
طلباً للنصرة.

٦٨٨ - المسألة محل خلاف في رواياتها التاريخية..

٦٨٩ - المسألة محل خلاف في التحليل النقدي لمتن الروايات.

**يقول البعض عن كسر ضلع الزهراء:**

«أنا استبعدت الموضوع استبعاداً، رسمت علامة استفهام على  
أساس التحليل التاريخي. قلت: أنا لا أتفاعل مع هذا لأن محبة  
المسلمين للزهراء «عليها السلام» كانت أكثر من محبتهم لعلي،  
وأكثر من محبتهم للحسن وللحسين، وفوقها محبتهم لرسول الله  
«صلى الله عليه وآله».

قلت: إن من المستبعد أن يقدم أحد على فعل ذلك، مع الإقرار  
بوجود نوايا سيئة ومبيتة ليس لبراءة فلان من الناس، بل خوفاً من أن  
يهيج الرأي العام الإسلامي» .

**ويقول أيضاً:**

«والمسألة محل خلاف من جهة الروايات التاريخية، وفي بعض

(١)

الأمر المتعلقة بالتحليل النقدي للمتن» .

**ويقول:**

«المسألة كلها تدخل في نطاق التساؤلات التحليلية لمثل هذه المسألة في أبعادها التاريخية، سواء من ناحية السند، أو المتن، أو (٢) الأجواء العامة..» .

**ويقول البعض:**

«إن الزهراء «عليها السلام» كانت تحظى بمكانة متميزة لدى المسلمين جميعاً، فالتعرض لها والاعتداء عليها بهذا الشكل الفظيع قد يثير الرأي العام ضد المهاجمين.

ويدل على ذلك أكثر من خبر يتحدث عن تعامل الناس معها بطريقة الاحترام والتبجيل، وذلك يثير علامات استفهام كثيرة حول صحة ما يقال من اعتداء شنيع عليها».

**ويقول البعض عبر إذاعة محلية تابعة له:**

«إن الذين جاء بهم عمر كانت قلوبهم مملوءة بحب الزهراء فكيف نتصور أن يهجموا عليها. ثم يستدل هذا البعض على ذلك بأن علياً «عليه السلام» كان يدور بالزهراء على بيوت المهاجرين والانصار لتدافع عن حقه، أي أنها تريد أن تستفيد من مكانتها لكسب

(١) أجوبة البعض على آية الله التبريزي، الجواب رقم ١٧.

(٢) من رسالة أرسلها هذا البعض إلى قم بتاريخ ٣ / ٦ / ١٤١٤ هـ.

نصرتهم، فكيف يجرؤون على مهاجمتها».

**ويقول أيضاً:**

«الملحوظ: أن شخصية الزهراء «عليها السلام» كانت الشخصية المحترمة عند المسلمين جميعاً، بحيث إن التعرض لها بهذا الشكل قد يثير الكثير من علامات الاستفهام. وذلك من خلال ما نلاحظه من تعامل الجميع معها في أكثر من خبر»<sup>(١)</sup>.

**ويقول البعض أيضاً:**

«قبل سنة في هذا المسجد في مجتمع للجنة النسائية محدود جداً جرى حديث عن الزهراء، وسئلت عن مسألة كسر الضلع، فقلت: أنا حسب اطلاعي: إن الرواية الواردة في هذا ضعيفة.

وقلت: إن التحليل التاريخي يجعل الإنسان يتحفظ في هذا الموضوع؛ باعتبار أن الزهراء كانت تملك محبة، وثقة، وعاطفة لدى المسلمين لم يبلغها أحد.

كنا نقول: إن هناك تحفظاً في الرواية الواردة؛ لأنها ضعيفة في سندها وفي طبيعتها. وإن تحليل ودراسة موقع الزهراء في المسلمين يجعلنا نستبعد أنهم يجرؤون على ذلك، حتى لو كانوا في أشد حالات الانحراف والوحشية».

---

(١) من رسالة أرسلها البعض إلى قم بتاريخ ١٤١٤/٦/٣ هـ. وهي مطبوعة ومتداولة.

## وقفة قصيرة:

### ونقول:

١ - إن احترام الناس للصديقة الطاهرة ليس فوق احترامهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومكانتها لا تزيد على مكانته. وقد وجدنا أنهم يواجهون الرسول قبل وفاته بجرأة تفوق الوصف حين قالوا له: إن النبي ليهجر .

ولم نجدهم حركوا ساكناً، ولا ثار الرأي العام ضد هذا القائل - وهو شخص واحد - بل وجدنا الكثيرين منهم يقفون إلى جانبه، ويقولون: القول ما قال فلان. كما أن مكانة الرسول لم تمنع هذا القائل من إطلاق هذا القول الشنيع.

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد أمرهم بالالتحاق بجيش أسامة فلم يطيعوه رغم إصراره «صلى الله عليه وآله» الشديد حتى لقد لعن من تخلف عن جيش أسامة وحتى هذا لم ينفع!!

٢ - لقد قتل أناس يدعون الإسلام سبط الرسول، وسيد شباب أهل الجنة، ورميت الكعبة بالمنجنيق، وبالعدرة، وبغيرها.. واستبيحت مدينة الرسول وسبيت العيال والأطفال لسبط الرسول، ورمى خليفة

(١) راجع مصادر ذلك في: مأساة الزهراء ج ١ ص ٢٣٤ و ٢٣٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٢٤ والإستغاثة ص ٢١ وشرح نهج البلاغة، وبقية

المصادر في مأساة الزهراء ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ وغير ذلك..

المسلمين - وهو الوليد الأموي - القرآن بالنشاب و.. و.. الخ..  
ولم نجد الرأي العام يتحرك، أو يستفيق من سباته. وإن كان قد  
أفاق أحياناً؛ فبعد فوات الأوان.. رغم أن الإسلام كان قد ضرب  
بجرانه، وقوي سلطانه، وشب الناس وشابوا عليه..

٣ - لقد كان أهل المدينة أكثر من فريق، وهم كما يلي:

**الأول:** ذلك الفريق الذي لا يتورع عن مواجهة الرسول بالقول  
حتى بمثل: إنه ليهجر، ولا يبالي بشيء، بل هو على استعداد لضرب  
الزهراء، وهتك حرمة بيتها، وإسقاط جنينها، وكسر ضلعها، وإحراق  
بيتها على من فيه، وحتى قتلها إن أمكنه ذلك، من أجل الحصول على  
ما يريد..

**الثاني:** الناس الضعفاء والبسطاء الذين لا حول لهم ولا قوة، وقد  
كانوا أو أكثرهم يكونون شيئاً من الحب لأهل البيت، ولكن ليس بيدهم  
حيلة، ولا يجروون على فعل أي شيء للدفع..

**الثالث:** ذلك الفريق الذي كان يكنّ لأهل البيت بعض الحب  
والتقدير، وليس ضعيفاً إلى درجة تقعده عن النصر، ولكنه لا يجد في  
نفسه الدافع للتضحية، أو للمبادرة لبذل أي شيء في سبيل إحقاق  
الحق.. لأنه يرى مصلحته هي في الابتعاد عن هذه الأجواء..

**الرابع:** ذلك الفريق المخلص والمستعد للتضحية بكل شيء من  
أمثال أبي ذر، والمقداد، وعمار وسلمان. وهؤلاء هم أقل القليل..

وهناك فريق خامس، يلتقي مع الفريق الأول في الأهداف

والطموحات.. قد يبذل محاولات لزجّ أهل البيت في صراع خاسر لهم، مريح له. فما دام ذلك الصراع يخدم مصالحه، فإنه ينميه ويذكّيه.. فإذا لم يعد يرى فيه فائدة تركه لبحث عن مصالحه في غيره، فإذا وجدها في مناهضته عدا عليه بالقتال، ورفع لواء الغدر.. وذلك من أمثال أبي سفيان حين عاد من سفره، وحاول أن يثير علياً وبني هاشم..

فمن أين؟! وما دليل هذا البعض على أن قلوب المهاجمين كانت مملوءة بحب الزهراء «عليها السلام»؟!!

ولماذا لا يكون المهاجمون هم الفريق الأول المبغض لعلّي والزهراء والشأنى لهم، والحاقد عليهم؟!!

٤ - إن مراجعة سريعة لأسماء المهاجمين، وقراءة لبعض تاريخهم تكفي لإظهار مدى بعدهم عن أهل البيت «عليهم السلام». وانحرافهم عن خطهم، ومناوأتهم لهم. ويكفي أن نذكر أن منهم:

١ - المغيرة بن شعبه.

٢ - خالد بن الوليد.

٣ - أسيد بن حضير.

٤ - محمد بن مسلمة.

٥ - ابا عبيدة بن الجراح.

٦ - عثمان بن عفان.

٧ - زيد بن اسلم.

٨ - قنفذ.

٩ - عبد الرحمان بن عوف.

١٠ - معاذ بن جبل.

١١ - عمر بن الخطاب.

١٢ - عياش بن ربيعة.

١٣ - سالم مولى أبي حذيفة..  
(١)

وغيرهم.. .

وتكفي ممارساتهم حين الهجوم على بيت الزهراء وبعده للدلالة على حقيقة موقفهم منها، ومن أمير المؤمنين علي «عليه السلام».. حيث جمعوا الحطب، وهددوا، وأحرقوا، وضربوا، وأسقطوا الجنين، وضربوا بالسوط ولطموا الخد، واقتحموا البيت، وكسروا الضلع، بل لقد منعوها حتى من البكاء إلى جانب قبر أبيها رسول الله، حتى اضطرت لاتخاذ بيت الأحران في البقيع..

على أن من الضروري الالتفات إلى أن أحداً لا يستطيع الجهر بالانحراف عن أهل البيت «عليهم السلام»، حتى وهو يمارس ضدهم أبشع أنواع الجرائم، لأنه يكون بذلك قد وقف موقفاً مناقضاً للقرآن بصورة صريحة ويعرضه للرمي بالكفر والخروج من الدين، ولأن

---

(١) راجع: مأساة الزهراء ج ١ ص ٢٢٦.

ذلك يعرف الناس بحقيقة ومدى مظلومية أهل البيت «عليهم السلام»..

٥ - لو كان المهاجمون يحبون الزهراء، ويقدرونها، فلماذا يهددونهم ويظلمونها ولماذا احتاج علي إلى أن يدور بها على بيوت المهاجرين والأنصار لطلب نصرتهم.. بل كان يكفيها أن تواجه المهاجمين أنفسهم، وتستخدم نفوذها عندهم، ولترجع الحق إلى أهله من أيسر طريق.

٦ - ولا أدري كيف تستنصر الزهراء بالناس لمجابهة الذين يحبونها ويحترمونها، وتكون سبباً في زرع بذور الشقاق بين محبيها، وضرب بعضهم ببعض؟!

٧ - ولا أدري لماذا أوصت الزهراء بأن لا يحضر أحد ممن ظلمها جنازتها؟! فإنهم إذا كانوا يحبونها ويحترمونها، فلماذا تحرمهم من هذا الأجر وتحجزهم عن نيل هذا الشرف؟!

٨ - وبعد، فإن هذا البعض لا يستطيع أن يدعي: أن الله قد أطلعته على غيبه؛ فأشرف على قلوب الناس في عهد رسول الله؛ وقاس مقدار محبتهم للرسول «صلى الله عليه وآله» وللحسين ولعلي، ولفاطمة «صلوات الله وسلامه عليهم»، فعرف مقدار التفاوت بين حبه لهذا وحبه لذاك. فكيف استطاع هذا البعض أن يعرف أن حبه للزهراء أكثر من حبه للحسن والحسين ودون ذلك حبه لعلي «عليه السلام»؟!

٩ - ثم إن هناك احتراماً يظهر في الرخاء، وفي الظروف



العادية، ولا أثر له في النصرة عند البلاء، وقد كان احترام كثير من الناس لها «عليها السلام» من هذا القبيل.

١٠ - وقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» قوله في جملة حديث له: «..وأما قذف المحصنات، فقد قذفوا فاطمة على منابرهم الخ..»<sup>(١)</sup>.

١١ - ليته حين حل (!!) قضية الزهراء لينفي ما جرى عليها.. قد حل أيضاً قضية تحريك النبي «صلى الله عليه وآله» للزهراء برجله.. ليعلمها حكماً شرعياً، لعلها بزعم هذا البعض - كانت تجهله، وهو لزوم الاستيقاظ لصلاة الصبح.. فراجع.. ما ذكر، حول هذه القضية في أوائل هذا القسم.

١٢ - أما بالنسبة لضعف سند حديث كسر ضلع الزهراء فقد تحدثنا عنه في كتابنا: «مأساة الزهراء» بجزأيه، فراجع.

ولا ننسَ أخيراً: أن هذا البعض لم يقتصر في نفيه لمظالم الزهراء على إنكار حديث كسر ضلعها بل تعدى ذلك إلى التشكيك في جميع ما جرى عليها. ولم يعترف إلا بالتهديد بالإحراق، مع تأكيده على أن المهددين كانوا يحبون الزهراء، بل كانت قلوبهم مملوءة بحبها، مما يعني: أن التهديد كان صورياً وليس حقيقياً.

---

(١) تهذيب الاحكام م ج ٤ ص ١٤٩ ومعادن الحكمة ج ٢ ص ١٢٢ و ١٢٣ عنه، وعن من لا يحضره الفقيه (ط النجف) ج ٢ ص ٣٦٦.

## ١٣ - وأما قوله:

«إنه سئل عن موضوع كسر الضلع في مجتمع نسائي صغير، فأجاب بأن الرواية ضعيفة الخ..».

فهو غريب، إذ إنه قد ذكر ذلك في نفس الخطبة الطويلة التي أوردها في مسجد بئر العبد، أمام كاميرات الفيديو وقبل أن يوجه إليه أي سؤال..

١٤ - إن ما ذكره هذا البعض من أن المسألة محل خلاف في روايتها التاريخية، لا يصح، لأن الخلاف إنما هو في التفصيل والإجمال، وفي الاختصار على ذكر بعض الحوادث من هذا الراوي، وتعرض الراوي الآخر لذكر التفاصيل، ولرواية الأحداث التي يراد التعظيم عليها، وتجاهلها..

## ١٥ - وأخيراً.. ألا يعتبر قول هذا البعض:

«إن أشد الناس انحرافاً ووحشية لا يجروء على ضرب الزهراء..»  
ألا يعتبر دليلاً قاطعاً على نفي تعرضها «عليها السلام» للضرب؟!!

فكيف يقول: «إنني لم أنف، بل طرحت علامات استفهام، لأن النفي يحتاج إلى دليل»؟!!

## الفصل الثالث

ومن أدلته الواهية أيضاً



## بداية:

إننا نذكر في هذا الفصل أيضاً طائفة أخرى من أدلته الواهية، الرامية إلى إشاعة حالة الريب والشك فيما جرى على الصديقة الطاهرة «صلوات الله وسلامه عليها» بعد وفاة أبيها «صلوات الله وسلامه عليه وآله»..

وقد كنا نحب لهذا البعض: أن لا يتخذ سبيل الإصرار على هذه المقولات وغيرها مما ذكرناه في هذا الكتاب، وكذلك ما عرّفنا عن ذكره رغبة منا في التفرغ إلى معالجة أمور أخرى لا زالت تنتظر المعالجة؛ خصوصاً وأنا أصبحنا نشعر أن هذا البعض ممعن في هذا النهج الذي اختاره لنفسه، ونشعر كذلك بأن هذا الذي ذكرناه كاف وشاف وواف، بإبراز معالم الطريق التي يسلكها.. فإن لم يكن هذا مقنعاً وكافياً، فأى شيء بعد هذا يمكن أن يقنع وأن يكفي.. نسأل الله أن يجعلنا من الذين ينصفون الناس وأنفسهم، ولا يستكبرون عن الحق، إنه ولي قدير.

٦٩٠ - لم يكن للبيوت في المدينة أبواب.

٦٩١ - كان للأبواب ستائر فقط.

٦٩٢ - إذا لم يكن أبواب فكيف عصرت الزهراء بين الباب والحائط؟!

٦٩٣ - إذا لم يكن أبواب فكيف اشتعلت النار في باب بيت الزهراء؟!

(١) ينقل البعض عن أستاذ لمادة التاريخ في جامعة دمشق : أنه يقول:

«لم يكن لبيوت المدينة المنورة في عهد رسول الله أو بعده، أبواب ذات مصاريع خشبية، بل كان هناك ستائر فقط توضع على الأبواب. وهذا له شواهد».

ثم قال: «أنا ناقشته: لكن هو لديه دليل!

فكيف عصرت الزهراء إذن بين الباب والحائط؟! وكيف اشتعلت النار في خشب الباب؟! »

ثم استدل هذا الناقل بأمرين مؤيداً بهما صحة هذا القول:

الأول: حديث رجوع النبي من سفر فوجد على باب بيت فاطمة ستراً، فأزعجه ذلك. فرجع «صلى الله عليه وآله»، فعرفت فاطمة «عليها السلام» السبب، فأعطت الكساء للحسين، فأوصله إليه، ليتصدق به.

---

(١) وقد سمعنا مؤخراً : أن أستاذ مادة التاريخ هذا ينكر صحة ما ينسب إليه بشدة.

فقال «صلى الله عليه وآله»: فداها أبوها..

**الثاني:** حديث زنا المغيرة، حيث رفعت الريح الستر، فنظر إليه الشهود وهو يفعل الفاحشة.

وهذان الأمران يدلان على أن الأبواب كانت عبارة عن ستائر، ولم يكن ثمة مصاريع خشبية.

**وقفة قصيرة:**

**ونقول:**

إن استدلاله هذا لا يصح باي وجه. ونكتفي هنا بتسجيل الحقائق التالية:

١ - إنه يحيل دعوى عدم وجود أبواب خشبية لبيوت المدينة على غائب لا نعلم إن كان يرضى بهذه الإحالة أم لا.. وقد بلغنا أنه يرفض ذلك ويستنكره بشدة ومع ذلك نقول:

إنه إن كان هذا البعض قد ناقشه كما صرح به وأقنعه بفساد قوله هذا، فلماذا يستدل بدليل اثبت هو نفسه فسادة؟!!

وإن كان أستاذ التاريخ هو الذي اقنع هذا البعض، فلماذا ينسب هذا الرأي إلى غيره؟!!

وإن كان قد بقي شاكاً، فلماذا يستدل بكلام مشكوك في صحته؟!!

٢ - إننا قد جمعنا عشرات أو مئات النصوص الدالة على وجود أبواب ومصاريع خشبية لبيوت المدينة، وقد ذكرناها في كتاب: مأساة

الزهراء، وأواخر المجلد الثاني، فراجع.. وقلنا: إنه قد كان لها مفاتيح، وأقفال، ورتاج، وقد يكون خشبها من عرعر أو ساج، أو جريد. وغير ذلك من خصوصيات.

٣ - أما بالنسبة للاستدلال بحديث: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قدم من سفر، فوجد على باب بيت فاطمة سترًا، فلم يعجبه ذلك. فيرد عليه:

**ألف:** إن وجود الباب لا يمنع من وجود الستر، ولا سيما في البلاد الحارة، والمحافظة التي يطلب فيها الستر والهواء معًا، فيفتح الباب، ويجعل على الباب ستار يمنع من الرؤية..

**ب:** قد روي عن علي «عليه السلام»: أنه كره أن يبني الرجل في بيت ليس له باب ولا ستر .

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: <sup>(١)</sup>هل منكم رجل إذا أتى أهله، فأغلق عليه بابيه، وألقى عليه ستره الخ.. .

**ج:** وفي رواية أخرى عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إنه سئل عن رجل طلق امرأته ثلاثًا، ثم تزوجها رجل، فأغلق الباب، وأرعى

(١) قرب الإسناد (ط مؤسسة آل البيت) ص ١٤٦ والكافي ج ٦ ص ٥٣٣ وبحار

الأنوار ج ٧٣ ص ١٥٧ والوسائل ج ٥ ص ٣٢٥.

(٢) سنن أبي داود (ط دار احياء التراث العربي) ج ١ ص ٢٣٤ و ٢٣٥.



الستر، ثم طلقها الخ.. .

د: وفي أخرى عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث جاء فيه: «وفاطمة فيما بين الستر والباب» .

وثمة أحاديث أخرى تدل على ذلك أيضاً.

هـ: إننا قد تحدثنا عن موضوع الستارة والقلادة في فصل: الجراءة على مقام الزهراء، وأبيها..

**وذكرنا هناك:**

أولاً: إن هذه القضية إنما كانت للنبي «صلى الله عليه وآله»، مع بعض نسائه ..

ثانياً: إن الزهراء «عليه السلام» لم تكن لتقدم على عمل يكرهه الرسول، وهي المعصومة الطاهرة بنص القرآن الكريم.

ثالثاً: إن الزهراء لم يكن لها تعلق بالدنيا، وما كانت لتميل إلى

(١) مسند أحمد ج ٢ ص ٦٢ وراجع: سنن النسائي ج ٦ ص ١٤٩.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٨١ و ٢٨٢ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٧٩ و ٤٨٠.

(٣) تاريخ الأمم والملوك (ط دار سويدان) ج ٤ حوادث سنة ١٧ هـ. وبحار

الأنوار ج ٣٠ ص ٦٤ وراجع: فتوح البلدان ج ٣ ص ٣٥٢ وسنن البيهقي

ج ٨ ص ٢٣٥ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥٤٠ و ٥٤١ ووفيات الأعيان

ج ٢ من ٤٥٥ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٨١ وعمدة القاري ج ٦ ص ٣٤٠

وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣٤ و ٢٣٧ والأغاني (ط

دار إحياء التراث العربي) ج ١٦ ص ٣٣١ و ٣٣٢ وكنز العمال..

زخارفها، التي ورد التحذير منها بكثرة.

٤ - أما بالنسبة لقضية زنا المغيرة فنقول:

**ألف:** لقد صرحت بعض نصوصها بأن الشهود كانوا في البيت المقابل لبيت المغيرة، ففتحت الريح باب الكوة بينهما، فقام أحدهما ليصفقه، فإذا به يرى ذلك المشهد القذر.

**ب:** قد تقدم أن وجود الستار لا ينافي وجود الباب أيضاً.

٦٩٤ - بعض الروايات تقول لم يدخلوا البيت، فكيف يصح قولهم إنهم ضربوها؟!

٦٩٥ - بعض الروايات تقول: لم يدخلوا البيت فكيف اسقطوا جنينها؟!

٦٩٦ - سلمنا دخولهم البيت فلماذا هاجموا خصوص الزهراء وتركوا عليها؟.

٦٩٧ - المفروض مهاجمة غرفته التي كان يجلس فيها مع بني هاشم.

٦٩٨ - بيت الزهراء ليس عشرة كيلو مترات، هو عشرة أمتار فقط.

٦٩٩ - أحاديث إحراق البيت في الامالي والاختصاص وتلخيص الشافي متعارضة.

٧٠٠ - أحاديث الإحراق تعارض أحاديث التهديد به.

٧٠١ - روايات تقول: دخلوا البيت وروايات تقول: لم يدخلوا..

### يقول البعض:

«إن بعض الروايات تقول: إن المهاجمين لبيت الزهراء «عليها السلام» لم يدخلوا البيت، فكيف يصح قول من يقول: إنهم ضربوها «عليها السلام»، واسقطوا جنينها، وغير ذلك؟!»

### ويقول البعض:

«سلمنا أنهم دخلوا البيت، فلماذا يهاجمون خصوص الزهراء، ويضربونها، ويتركون علياً؟! فإن المفروض هو: أن يهاجموه هو في غرفته التي يجلس فيها مع بني هاشم، فإن البيت ليس عشرة كيلو مترات، بل هو عشرة أمتار فقط».

### ويقول في مورد آخر :

«وفي هذا المجال هناك روايات مختلفة، فبعضهم يقول: دخلوا المنزل، والبعض الآخر يقول: لم يدخلوا».

### ويقول:

(٢) «المسألة محل خلاف من جهة الروايات التاريخية» .

### ويقول أيضاً:

«إن هناك كثيراً من الارتباك في الروايات، حول وقوع

(١) الزهراء المعصومة نموذج المرأة العالمية ص ٥٥ و ٥٦.

(٢) أجوبة البعض على آية الله التبريزي، الجواب رقم ١٧.

(١)

الإحراق، أو التهديد به» .

**ثم هو يقول:**

«إن أحاديث إحراق البيت المذكورة في تلخيص الشافي والاختصاص، والأمالى للمفيد متعارضة، بين ما يذكر فيه التهديد من دون الإحراق، وهي كثيرة، وبين ما يذكر فيه الإحراق».

**وقفة قصيرة:****ونقول:**

١ - إن ضرب الزهراء، وإسقاط جنينها لا يحتاج إلى دخول البيت، فقد تعصر الزهراء بين الباب والحائط، وقد تضرب دون أن يدخل المهاجمون بيتها.. وذلك لقربها من الباب، أو لوجودها في خارج الدار، وذلك حين أخذوا عليها مُلبياً للبيعة، وفي حالات أخرى..

٢ - هناك نصوص صرحت بدخول المهاجمين إلى البيت أيضاً.. وقد قال الخليفة الأول: وددت أني لم أكشف بيت فاطمة، وهو قول معروف ومشهور عنه. وقد ذكرناه مع مصادره في كتابنا مأساة الزهراء، فراجع إن شئت.

٣ - ليت هذا البعض ذكر لنا الرواية المصراحة بعدم دخول المهاجمين للبيت، وعين لنا مصدرها، ورواتها وبين لنا قيمتها في

---

(١) من رسالة أرسلها البعض إلى قم بتاريخ ١٤١٤/٦/٣ هـ. وهي مطبوعة ومتداولة.

ميزان الاعتبار.. ثم وازن بينها وبين سائر الروايات، الصحيحة، والمتواترة..

٤ - إنه لا توجد رواية تصرح بعدم دخولهم البيت، بل الموجود هو سكوت بعض الروايات عن التصريح بالدخول.. وعدم التصريح بذلك، لا يعني التصريح بالعدم.

**ومن الواضح:** أن مصلحة الحكام تقضي بالتعقيم على تلك الجرائم الهائلة، وعدم الجهر بها..

٥ - من أين عرف هذا البعض مساحة بيت علي «عليه السلام»، وإذا كانت مساحة البيت هي عشرة أمتار فقط، فكيف اتسع لبني هاشم، بالإضافة إلى أهل البيت!!؟

٦ - إنهم إنما هاجموها لأنها صدتهم عن الوصول إلى علي «عليه السلام» في اللحظات الأولى، ولم يدم الهجوم عليها مدة طويلة. وقد فرغوا منها وتركوها عند الباب، ودخلوا البيت.

**وبتعبير أوضح:** إن القوم بمجرد أن أحسوا بوجود علي والزهراء «عليهما السلام» في داخل البيت.. بادروا إلى الهجوم، وحاولوا دخول البيت فتصدت لهم الزهراء، وخلال لحظات - ربما ثوان يسيرة - حصرت «عليها السلام» بين الباب والحائط وأسقط الجنين، وحصل ما حصل، فسمع «عليه السلام» الصوت فبادر إليهم، وقد وصلوا إلى داخل البيت، فواجههم، وأخذ أحدهم فجلد به الأرض، وانشغل «عليه السلام» بالزهراء.. فوجدوا الفرصة للفرار إلى

الخارج، وصاروا يجمعون الحطب ويستعدون لجولات جديدة، فأحرقوا الباب، واستخرجوا علياً «عليه السلام» للبيع عنة، ولحقته الزهراء «عليها السلام»، فنالها منهم مرة أخرى ما نالها من ضرب واعتداء. ثم كانت بعد ثمانية أيام قصة فذك، وضربت الزهراء أيضاً فيها مرة أخرى وجرى ما جرى مما لا مجال للإفاضة في تفاصيله..

٧ - عن الارتباك والتعارض المدعى بين الروايات نقول:

إن أحاديث التهديد بالإحراق لم تنف وقوع الإحراق. بل إن كلا من النقلة ينقل من الحدث بالمقدار الذي ينسجم مع أهوائه، ومراداته. والخلاصة إنه لا مانع من أن تذكر هذه الرواية أمراً، وتذكر تلك أمراً آخر، ولا تكونان متعارضتين.

٨ - ومن جهة أخرى من الذي قال: إن بني هاشم كانوا موجودين مع علي «عليه السلام» في البيت في هذا الهجوم الأول فلعلهم التحقوا بمن في البيت بعد حصول الهجوم الأول..

٩ - هذا لو صح قولهم: إن بني هاشم كانوا في داخل البيت، الذي لم يكن ليسع كل هؤلاء بالإضافة إلى ساكنيه، وهو لا يزيد - حسب دعوى هذا البعض نفسه - عن عشرة أمتار..

١٠ - على أن ما وجدناه في التاريخ يقتصر على ذكر أن الزبير خرج شاهراً سيفه، فأخذ منه ولم يصف لنا أي نص تاريخي آخر دور أي من رجال بني هاشم الذين يدعي أنهم كانوا في داخل ذلك البيت..

٧٠٢ - لعل سقوط محسن قد حصل في حالة طبيعية طارئة.

٧٠٣ - لعل سقوط المحسن لم يكن نتيجة اعتداء.

وحين يسأل البعض عن سقوط المحسن يقول:

«إن سقوط الجنين محسن يمكن أن يكون قد حصل في حالة طبيعية طارئة، ولم يكن نتيجة اعتداء!!»

**وقفة قصيرة:**

**ونقول:**

لا يمكن قبول هذا الأمر منه، لأمر عديدة.. نذكر منها:

١ - قد دلت النصوص الكثيرة، ومنها ما هو صحيح سنداً، وكثير منها مروي عن أهل البيت «عليهم السلام».. وكثير غيره مروي في كتب الحديث والسيرة وغيرها عن الشيعة وعن غيرهم من فرق المسلمين. وهو في مجموعه أيضاً يفوق حد التواتر.. نعم.. إن ذلك كله قد دل على أن سقوط المحسن كان نتيجة اعتداء.. ولو كان يسعهم - أعني أتباع الذين اعتدوا على الزهراء - أن ينكروا ذلك، لم يتوانوا عنه..

٢ - إن الشيخ الطوسي قد ذكر إجماع الشيعة على أن ضربها «عليها السلام»، وإسقاط جنينها قد كان نتيجة - اعتداء.

٣ - إنه إذا كان النفي يحتاج إلى دليل. وكان الدليل لا بد أن يكون موجباً لليقين والقطع، كما يقول ذلك البعض، فنحن نطالبه بما ألزم به نفسه.. ولا نرضى منه بالتشكيك مع وجود الأدلة القاطعة على

الإثبات، وراجع ذكرناها في كتابنا مأساة الزهراء.

٧٠٤ - إذا كانت الزهراء مخدرة لا تقابل أحداً فكيف تفتح

الباب؟!

**ويقول البعض:**

«إذا كانت الزهراء مخدرة، فكيف تبادر هي إلى فتح الباب، فان التي لا ترى الرجال، ولا تقابل أحداً، لا تفعل ذلك».

**وقفة قصيرة:**

**ونقول:**

قد اتضح مما سبق عدم صحة هذا القول. ولكننا مع ذلك نذكر القارئ بما يلي:

١ - إن الباب لم يفتح من قبل الزهراء. وإنما هي قد أجابت الطارق. لأنها كانت قريبة منه، فلما عرفوا بوجود أناس في داخل البيت بادروا هم إلى فتحه عنوة. فلاذت خلف الباب، فعصروها بينه وبين الحائط. وكان ما كان..

٢ - إن المخدرة تفتح الباب، كما تفتح غير المخدرة أيضاً. وأي محذور في أن تفتح المخدرة الباب مع مراعاة حالة الستر والحجاب؟! فإن إجابتها لا تستلزم رؤية الرجال لها.

٣ - إن المخدرة قد تضطر للدفاع عن نفسها، وعن زوجها، وأولادها، وعن دينها ورسالتها، وهذا هو حال الزهراء «عليها



السلام».

٤ - ان زينب العقيلة كانت مخدرة أيضاً، وقد أخرجها الإمام الحسين معه إلى كربلاء، مع علمه بأنها سوف تسبى، وتواجه المصائب والبلايا، وسوف تضطر للخطابة أمام الرجال في شوارع الكوفة، أو في قصر الإمارة أمام ابن زياد، وأمام يزيد في دمشق.

٥ - إن هذا البعض نفسه يقول: إن الزهراء قد خطبت في المسجد في المهاجرين والأنصار. ولم يمنعها خدرها من الدفاع عن الدين وعن الحق، حين كان لا بد لها من ذلك. وكانت هي القادرة على الجهر بالمظلومية، وعلى تعريف الناس بالحق. فهل خطبتها بهم في المسجد تجوز، ولا يجوز لها أن تجيبهم من خلف الباب؟!

٧٠٥ - ترك علي لفاطمة لتفتح الباب ينافي غيرته وحميته.

٧٠٦ - هل يقبل احدكم بان تهاجم امه أو زوجته وهو قاعد في البيت يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؟!

٧٠٧ - هل يقول الناس عن من يترك زوجته تجيب: إنه بطل؟!

٧٠٨ - من يفعل ذلك جبان.

٧٠٩ - كيف تنسبون لعلي ما لا ترضونه لأنفسكم؟!

٧١٠ - علي شجاع دؤخ الابطال فكيف لا يدافع عن زوجته؟!

**ويرى البعض:**

«أن جلوس علي «عليه السلام» في داخل البيت، وتركه زوجته تبادر لفتح الباب يتنافى مع الغيرة والحمية، وهل يمكن ان يصدر مثل

ذلك من علي «عليه السلام»..؟!؟

ويقول أيضاً:

«هل يقبل أحدكم ان تهاجم زوجته، أو أمه، أو أخته، وهو قاعد في البيت يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؟!؟

وماذا يقول الناس عنه لو فعل ذلك؟!؟

هل يقول الناس عنه بطل؟! أم هو جبان؟!؟

فكيف تنسبون لعلي «عليه السلام» مجنل الابطال، ما لا ترضونه لأنفسكم؟!؟

ثم يؤكد قوله هذا فيقول:

«لقد عقد في «دبي» مجلس عزاء حول الزهراء، وذكر القارئ هذه القضية، وكان أحد أهل السنة حاضراً، فقال لرجل شيعي كان هناك: أنتم تقولون: إن علياً بطل شجاع وقد «دوّخ» الأبطال؛ فكيف لم يدافع عن زوجته، وهي وديعة رسول الله عنده؟!؟

وقفة قصيرة:

١ - إن الحسين «عليه السلام» هو إمام الغيارى، كما أن علياً «عليه السلام» كذلك، فلماذا حمل الحسين «عليه السلام» نساءه معه، وهو يعلم أنهن سيتعرضن للسبى، ويقول: «إن الله شاء أن يراهن سبايا»؟! فكن ينقلن من بلد إلى بلد، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن..

٢ - لم يكن هناك أغير من رسول الله، ويذكر الحديث والتاريخ: أنه كان يأمر نساءه بإجابة الطارق حين يقتضي الامر ذلك.

٣ - إن علياً «صلوات الله وسلامه عليه» لم يصدر منه خلاف، وإنما المهاجمون هم الذين خالفوا أوامر الله سبحانه.. ومجرد إجابة الطارق على الباب بكلمة: من الطارق ليس فيه ما ينافي الغيرة، فإن الاقرب إلى الباب يجيب الطارق بحسب العادة خصوصاً عندما يكون صاحب البيت مشغولاً، ومن الذي قال: إن علياً «عليه السلام» لم يكن في وضع يمنعه من المبادرة لإجابة الطارقين؟!

٤ - ومن الذي قال: إن علياً قد سمع الطريقة، ثم طلب من الزهراء أن تجيب، ثم انتظر لسمع منها النتيجة؟! فقد كان يجلس في الداخل مع بني هاشم حسبما يقوله هذا البعض نفسه. والزهراء كانت الأقرب إلى الباب حيث كانت تجلس عند قبر أبيها الذي دفن قبل لحظات.

٥ - من الذي قال: إن الزهراء قد فتحت الباب؟! فقد سألوها أن تفتح الباب لهم، فأجابتهم، فهجموا على الباب بمجرد سماعهم لصوتها، ومعرفتهم بوجودها.. محاولين فتحه عنوة، فلاذت وراء الباب، فأحسوا بها، فعصروها بالباب.. ولا تستغرق هذه العملية أكثر من ثوان معدودة. فلما سمع علي «عليه السلام» الجلبة بادر إليهم. فهربوا، وأدرك الزهراء وهي في تلك الحال، فحاول إسعافها..

فلم يطلب «عليه السلام» من الزهراء أن تفتح الباب، ولا طلب

منها مواجهة الرجال ومحادثتهم، بل جرت الأمور بسرعة، ولا دليل على أنه قد سمع أو علم بما جرى، قبل ارتفاع الأصوات.

٦ - وبعد التوضيح المتقدم يتضح: أنه لا معنى لقول البعض: هل يقبل أحكم بأن تهاجم زوجته، أو أمه، أو أخته، وهو قاعد في البيت يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله..

### ولا معنى لقوله:

«هل يقول عنه الناس: إنه بطل أو جبان»؟!

كما لا معنى للمحاوراة التي نقلها عن سني وشيعي.

٧ - إن القضية هنا ليست قضية بطولة، وشجاعة شخصية.. إنها قضية الدين، والعمل بما هو مصلحة له.. وإن كان ذلك على حساب الراحة والرضى الشخصي.. فالمهم هو رضى الله لأنه «عليه السلام» لا يقدم غضباً، ولا يحجم جبناً، بل يعمل بالتكليف الشرعي.. وليس الإقدام دليلاً على حق أو باطل، ولا الإحجام دليلاً على جبن، فقد يكون العكس هو الصحيح في بعض الأحيان.

٧١١ - لماذا لا يفتح الباب أحد من بني هاشم، أو فضة، أو علي.

٧١٢ - كان جميع بني هاشم مع علي «عليه السلام» في البيت.

### ويقول البعض أيضاً:

«كل الروايات تقول: لم يكن علي «عليه السلام» وحده في البيت حينما هاجموه ليخرجوه، ليباع أبا بكر بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كان معه «جميع بني هاشم» وكان معهم فضة،

والزبير، والعباس، فلماذا لم يفتح أحدهم الباب دونها؟!؟

### ويزعم هذا البعض:

«أنه قد كان على علي «عليه السلام» ان يفتح الباب، أو تفتحه فضة أو غيرها. أما الزهراء «عليها السلام» فلا مبرر لمبادرتها هي لفتح الباب دونهم».

### وقفة قصيرة:

إن ما ذكره هذا البعض لا يمكن قبوله، ذلك لما يلي:

١ - إن دعواه: أن جميع بني هاشم كانوا عند علي «عليه السلام» في بيته، أثناء هجومهم على ذلك البيت موضع شك. وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، ونعود فنذكر القارئ هنا بما يلي:

**ألف:** إنهم يقولون: إن عمر «كان يصيح أحرقوا دارها بمن فيها» وما كان في الدار غير علي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم سلام الله .

**ب:** إن الهجوم على بيت الزهراء كان أكثر من مرة، كما دلت عليه النصوص .

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص ٨٤ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٧١ وراجع: بيت الأحزان ص ١٢٤ وبهج الصباغة ج ٥ ص ١٥.

(٢) راجع: الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ وبمراجعة الروايات والنصوص في الجزء الثاني من كتاب مأساة الزهراء يتضح ذلك أيضاً.

ج: إن قوله: إن جميع بني هاشم كانوا مع علي في البيت، لا ندري مصدره ومعتمده، فإن قعودهم عن البيعة تضامناً مع علي لا يعني أنهم كانوا معه في بيته.

(١) نعم قد صرحت بعض الروايات بوجود الزبير وبعضها أشار إلى وجود جمع أو عدة من بني هاشم. فمن أين جاء هذا البعض بهذا التعميم؟!

د: إن هذا البعض يقول: إن مساحة البيت هي عشرة أمتار فقط، فهل يتسع بيت صغير كهذا لجميع بني هاشم، بالإضافة إلى سكان البيت؟! خصوصاً بعد دفن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذلك البيت، ولا بد من مراعاة حرمة قبره الشريف.

٢ - إنه لا معنى لقول البعض لماذا لا يفتح الباب علي «عليه السلام»، أو فضة أو الزبير، أو غيرهم، فإن فاطمة لم تفتح الباب بل أجابت الطارق.. على أن اغلاق الباب لا يعني اقفاله بالرتاج أو المفتاح.

٣ - إنه قد يكون كل هؤلاء في موضع بعيد عن الباب أو قد يكون له مانع يشغله عن فتح الباب.. والسيدة الزهراء «عليها السلام» هي الأقرب منهم جميعاً.. فنتولى هي الإجابة دونهم بصورة طبيعية. وقد

(١) الأمل للمفيد ص ٤٩ و ٥٠.

(٢) الجمل للمفيد (الطبعة الجديدة) ص ١١٧ و ١١٨.

كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» حسبما أشرنا إليه يأمر بعض نسائه بإجابة الطارق، ربما حين لا تنهي له المبادرة للإجابة لأمر يشغله.

٤ - قد ذكرنا حين الحديث عن أن فاطمة وديعة رسول الله عند علي «عليه السلام»، وفي كتاب مأساة الزهراء أيضاً<sup>(١)</sup> : أن إجابة علي «عليه السلام» أو فضة أو أي شخص آخر سوى الزهراء للمهاجمين لا يمكن افتراضها، لأن ذلك يضيع الحق، ويشير الالتباسات والشبهات. فنحن نطلب من القارئ الكريم مراجعة ذلك في تلك الموارد إن أحب.

٧١٣ - إذا جاؤا ليعتقلوك هل تقول لزوجتك: افتحي الباب؟!

٧١٤ - جاؤا لاعتقال علي فلماذا تفتح الزهراء الباب؟!

٧١٥ - الموجودون في البيت مسلحون، فهل يخافون من مواجهة

المهاجمين؟!

**يقول البعض:**

«إذا جاؤا ليعتقلوك فهل تقول لزوجتك: افتحي الباب أم تبادر أنت إلى فتحه؟! والجماعة جاؤا ليعتقلوا علياً فلماذا تفتح الزهراء الباب؟! خصوصاً وأن الذين في داخل البيت كانوا مسلحين، فهم لا يخافون من المواجهة مع المهاجمين. وقد خرج الزبير مصلاً سيفه، فكسروا

---

(١) مأساة الزهراء ج ١ ص ٢٧٦ فما بعدها.

سيفه».

### وقفه قصيرة:

إن ما ذكره هذا البعض غير مقبول، وذلك لما يلي:

١ - إن هذا الإشكال الذي أخذه هذا البعض من الفضل بن روزبهان.. هو مجرد مغالطة؛ فقد ذكرنا أكثر من مرة: أن الزهراء لم تفتح الباب. بل أجابت الذين جاؤا على سؤالهم.. ربما لأنها كانت أقرب إلى الباب من غيرها ممن كان في داخل البيت من الذين قد تكون هناك انشغالات منعتهم من المبادرة إلى فتحه أيضاً.

كما أن إغلاق الباب لا يعني أن يكون مقفلاً.

٢ - إن علياً ومن معه ربما لا يكونون قد عرفوا بوجود أناس على الباب إلا بعد فوات الأوان، وبعد حصول ما حصل، وهو لم يستغرق إلا لحظات يسيرة.

٣ - إن فتح غير الزهراء للباب - لو سلم - فإنه لا يمكن أن يكون عن رأي علي، وبتخطيطه، لأنه سيكون غلطة كبيرة، لا يمكن أن تصدر منه، حيث إن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تضييع الحق، وإعطاء الآخرين الفرصة للتزوير وللتشويه، أما حين أجابت الزهراء، فقد ضاعت الفرصة على المهاجمين في ذلك.

٤ - ما الدليل على أن الموجودين في داخل البيت مع أمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا مسلحين؟! فإنه ليس ثمة ما يدل على ذلك سوى ما ذكره عن الزبير من أنه خرج مصلاً سيفه، وقد أخذ



منه ذلك السيف ، ولم يفد شيئاً، فأين هي النصوص التي تثبت وجود سلاح آخر في حوزة بني هاشم، حين كان بعضهم في بيت أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!

**٥ - لنفترض:** أنك جاء من يعتقلك، وكان طلبك من زوجتك فتح الباب يفوت الفرصة على المهاجمين، أو أن ذلك يؤدي إلى فضحهم، وإلحاق الضرر بخططهم، فلماذا لا تفعل ذلك، وتطلب من زوجتك أن تفتح الباب في هذه الحالة؟!

وقد ذكرنا: أن فتح علي «عليه السلام» للباب غير صالح في جميع الأحوال..

هذا لو صح افتراض أن تكون «عليها السلام» قد فتحت الباب فعلاً، وأن علياً كان قد علم مسبقاً بمجيئهم، وفرضنا أيضاً أن يكون هو الذي طلب منها ذلك، رغم أننا قد قلنا: إن ذلك كله ليس له ما يثبتته..

---

(١) راجع: الاختصاص ص ١٨٦ و ١٨٧ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٢٩

وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٠٢.

لكن اليعقوبي حكى قصة السيف وأخذ عمر له وكسره. حكاها عن علي «عليه السلام».

## الفصل الرابع

ويزيد الطين بلة..

---

## بداية:

نذكر في هذا الفصل طائفة أخرى من مقولات هذا البعض حول القضايا والمصائب والبلايا التي واجهت السيدة الزهراء.

ولا نشك في أن تضييع الحقيقة وتعمية الأمور على الناس أشد على الزهراء من كل الآلام والمصائب التي واجهتها.. لأنها إنما تحملت ذلك كله من أجل تعريف الناس بالحق، فإذا ضاع هذا الهدف وتلاشى فان آلامها أيضاً تكون قد ضاعت بضياعه.. وضياع الحق سيكون أشد عليها من كل ما تحملته من آلام.

ونذكر فيما يلي بعضاً من الجهد الذي يبذله البعض في هذا السبيل ليضيفه القارئ الكريم إلى ما قدمناه.

٧١٦ - علي «عليه السلام» وبنو هاشم معارضة للحكم.

٧١٧ - علي «عليه السلام» متمرّد على الحكم.

٧١٨ - إخضاع المتمرّد على الحكم امر طبيعي.

٧١٩ - أرادوا اعتقال علي كي تنتهي المعارضة.

٧٢٠ - معنى كلمة: «وإن»: أنه لا شغل لنا بفاطمة نريد اعتقال

علي..

٧٢١ - هناك رأي عام يمنع من إرادتهم فاطمة بسوء.

### يقول البعض:

«إن المجتمعين في بيت الزهراء، وهم علي «عليه السلام» وبنو هاشم هم معارضة للحكم؛ فطبيعة الأمور تقتضي أنه إذا اجتمعت المعارضة ليتمردوا على الخلافة: أن يبادر الحكام لمواجهتهم، وإخضاعهم، فهم قد جاؤا لاعتقال علي كي تنتهي المعارضة.

وأما فاطمة، فلا شغل لهم بها، لأن هناك رأي عام موجود، فقول عمر: «وإن» جواباً لمن قال له: إن فيها فاطمة، يكون طبيعياً. ومعناه: ما لنا شغل بفاطمة نحن نريد القضاء على المعارضة باعتقال علي؛ فان كانت الزهراء موجودة، فنحن لا نقصدها بشيء، وقصدنا هو اعتقال علي فقط».

### وقفه قصيرة:

### ونقول:

١ - إن وصف علي «عليه السلام» بأنه متمرّد غير مقبول، وكذا وصفه ومن معه من بني هاشم بأنهم معارضة. وذلك يوحي بأن الغاصبين هم الشرعية، ومن غصب منه الحق هو المعارضة، فإن ذلك يحمل في طياته درجة من عدم الاحترام لمقام سيد الخلق بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله». ما دام أنه «عليه السلام» منصوب إماماً للأمة من قبل الله سبحانه وعلى لسان رسوله.

٢ - إن هذا التعبير ليس له ما يبرره من ناحية واقعية، إذ متى استقر للغاصبين حكم، واستقام لهم سلطان ليوصف أصحاب الحق بانهم معارضة.. إذ إن العدوان على بيت السيدة الطاهرة المعصومة قد حصل فور عودة أبي بكر وحزبه من سقيفة بني ساعدة.

وحتى بعد إمساحهم بأزمة الأمور، وإقصاء صاحب الحق الشرعي، والذي يعمل المعتدون على ابتزازه منه بالقوة والقهر، وبالحيلة والدهاء - هل يصح وصفه بأنه متمرّد، لا بد من إخضاعه؟!.. ليكون الطرف المعتدي والغاصب -، هو الشرعية، وهو المبغي عليه؟!..

٣ - إن قول عمر: لتخرجن، أو لأحرقن البيت بمن فيه، فقالوا له: إن فيها فاطمة. فقال: وإن..

صريح في أنه يريد إحراق فاطمة أيضاً.. لأنه يريد إحراقه بمن فيه، وفاطمة موجودة فيه.

فمعنى كلامه: «أنه حتى لو كانت فاطمة موجودة في البيت، فإنه سيحرق البيت بمن فيه..».

**فكيف ادعى هذا البعض:**

«أن المعنى: أن لا شغل لنا بفاطمة نحن نريد اعتقال علي؟!»

**فهل ذلك معناه:** أن عمر سينفذ فاطمة قبل أن تصل النار إليها، أو أنه سوف يأمر النار بأن تلتهم عليا «عليه السلام» فقط، وتترك فاطمة. لأنها كانت مبدلة ومحترمة عنده؟!..

٤ - ما معنى نجاة فاطمة، وإحراق علي والحسين، وفضة وجميع بني هاشم.. فهل إن إحراق هؤلاء جميعاً سوف يرضي فاطمة؟! وسيكون تبجيلاً واحتراماً لها، وإدخالاً للسرور والبهجة على قلبها؟!..

٥ - إن الرأي العام لا يسمح - حسب زعم هذا البعض - بإحراق الزهراء «عليها السلام»، فهل يسمح بإحراق علي «عليه السلام»؟! وهل يسمح بإحراق الحسين «عليهما السلام»؟!.. وهل يسمح بإحراق فضة؟!..

وبإحراق جميع، أو أكثر، أو بعض بني هاشم؟! فإن كان الداعي لرفض الرأي العام لإحراق الزهراء هو قرباها من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإن الحسين، وعلياً وبني هاشم كانوا من ذوي قرباه «صلى الله عليه وآله» أيضاً.. وإن كان الداعي لرفضهم.. هو أنهم لا يريدون الإساءة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهل يكون إحراق علي، والحسين وغيرهم من بني هاشم إحساناً ومحبة للرسول «صلى الله عليه وآله» أم إساءة وجريمة - ولا أعظم منها؟!..

وإن كان الداعي لرفضهم ذلك هو التزام أحكام الدين، والورع، والتقوى، وإرادة تطبيق أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» في حق الزهراء «عليها السلام».. فإن أقواله في حق علي، والحسين، لا يجهلها أحد.. فلماذا لا يهتمون بتطبيق توجيهات رسول الله «صلى الله

عليه وآله» في حق هؤلاء، ولا يلتزمون أحكام الدين، ولا يمنعهم الورع والتقوى من الاعتداء على هؤلاء، وإحراقهم؟!

هذا، ولا ندري أين كان هذا الرأي العام حين قال قائلهم: إن النبي ليهجر؟! ولماذا لم نسمع أن أحداً منهم اعترض على هذا القائل، أو عبس في وجهه على الأقل؟!

٦ - إن من الواضح: أن كلمة «وإن» وصلية يعاد ما قبلها إلى ما بعدها ليوصل به. فيصير المعنى: وإن كان في البيت فاطمة، فسأحرقه بما فيه.. هذا هو معناها في اللغة العربية في مثل هذا السياق، فإن كان لها معنى آخر فليدلنا هذا البعض عليه.

٧ - وإذا كانت كلمة «وإن» قد أخرجت فاطمة.. فبأي شيء خرج الحسان «عليهما السلام» وفضة وسائر بني هاشم؟! إذ إن هذا البعض قد صرح: بأن المقصود هو خصوص علي، فكيف أخرجت كلمة «وإن» كل هؤلاء.. والتصقت واختصت بعلي «عليه السلام» دون سواه؟!

٨ - إنه إذا كان المهاجمون يسعون للاستدراج، أو لإثارة الأحاسيس بطريقة تمكن ذلك المهاجم من تحقيق مآربه في تمييع الأمور، وتضييع الحق. فإنه لا يصح الاستجابة له، لأن في ذلك تقيطاً بالقضية الأساس، وتضييعاً لفرصة معرفة الحق. وتمكيناً للمهاجمين وأتباعهم من ممارسة التزييف والتشويه للحق. وقد نهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» عن التوسل



بالقوة، فما معنى أن يتوقع منه ذلك البعض أمراً قد نهاه عنه رسول الله؟! الله!

فبطولة علي «عليه السلام» - والحالة هذه - هي بصبره على الأذى، وعدم استجابته لما يريدون استدراجه إليه.

٩ - ولنفترض صحة ما يدعيه هذا البعض، من أن القوم المهاجمين كانت قلوبهم مملوءة بحب الزهراء، وأنهم كانوا يحترمونها ويكرمونها.. فلماذا لا يفترض أيضاً أن علياً «عليه السلام» كان يسعى من وراء تقديم الزهراء لإجابتهم، إلى الاستفادة من موقعها ومكانتها لدفع غائلتهم بأسهل الطرق وأيسرها؟! لو صح أنه «عليه السلام» هو الذي طلب منها ذلك وصح أنه كانت هناك فرصة لها لإعلامه بما تتعرض له «عليها السلام».

٧٢٢ - لم يقل النبي لعلي: لا تدافع عن زوجتك.

٧٢٣ - ضرب الزهراء لا علاقة له بالخلافة.

٧٢٤ - ضرب الزهراء مسألة شخصية.

٧٢٥ - الزهراء نفسها لا علاقة لها بالخلافة.

**ويقول البعض:**

«إن قلت: إن علياً لم يدافع عن الزهراء، بسبب وصية النبي صلى الله عليه وآله»: «قيدته وصية من أخيه».

قلنا: إنما أوصاه أن لا يفتح معركة من أجل الخلافة، ولم يقل له: لا تدافع عن زوجتك. لأن ضرب الزهراء لا علاقة له بالخلافة، لأنها

مسألة شخصية. كما أن.. الزهراء نفسها لا علاقة لها بالخلافة. أما مسألة الخلافة فهي تتعلق بالواقع الإسلامي كله».

**وقفه قصيرة:**

**ونقول:**

إن هذا كلام لا يصح، لأمر عديدة:

١ - إن مسألة الزهراء مع القوم هي مسألة الخلافة والإمامة، وهذا هو السبب في أنها تصدت لهم، ومنعتهم من الدخول، وهو السبب في إصرار القوم على تحقيق أهدافهم.. والإمامة مقام إلهي، والخلافة هي أحد شؤون الإمامة.

فالقوم يخوضون معركة ضد علي. والزهراء تساعد علياً «عليه السلام» عليهم، لأنهم يريدون إجباره على التخلي عن أمر الخلافة وحمله على البيعة لهم. وهذا البعض يعترف بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوصى علياً بأن لا يخوض معهم معركة من أجل الخلافة.

إذن، فما معنى قول هذا البعض: إن ضرب الزهراء مسألة شخصية لا ربط له بالخلافة، حتى يصل إلى نتيجة تقول، إن قتال علي لهم من أجل ذلك لا يعد إخلالاً بوصية الرسول؟!!

**إن الحقيقة هي:** أن ما جرى على الزهراء «عليها السلام» يتعلق بالواقع الإسلامي كله.. فأى ردة فعل من علي «عليه السلام» انتقاماً للزهراء ستفسر على أنها من أجل الخلافة التي يدور الصراع

حولها.

٢ - كيف يقول هذا البعض: إن ضرب الزهراء مسألة شخصية، مع أن النص قد سجل لنا: أنها قد ضربت وهي تدافع عن علي، حينما أنجده، ولم تضرب لأجل أمر شخصي يرتبط بها هي. فهي قد أنجدت علياً حين أرادوا أخذه، «فحالت فاطمة» «عليها السلام» بين زوجها وبينهم عند باب البيت، فضربها قنفاً بالسوط الخ..»<sup>(١)</sup>.

٣ - إن إنجاد علي «عليه السلام» للزهراء «عليها السلام» إن كان بمستوى الدخول مع القوم في معركة، فإن ذلك إذا كان يوجب تفاقم الأمر، وتعرض القضية للخطر، فإن هذا الانجاد يصبح معصية، لما يتضمنه من التفريط العظيم بأمر الدين..

وأما إن كان بحيث لا يوجب ذلك، فإننا نجد النص يقول: إنه «عليه السلام» قد أنجدها، ودافع عنها، ففرّ المهاجمون لها، ولم يقووا على مواجهته، فراجع .

ويجد القارئ في الجزء الثاني من كتاب مأساة الزهراء الكثير من التفاصيل في هذا المجال..

٤ - لو كان ضرب الزهراء مسألة شخصية، فقد كان عليها أن تنتهي الأمر بمجرد مجيئهم للاعتذار منها فلماذا أصرت على عدم

(١) الإحتجاج ج ١ ص ٢١٢.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٩٣ و ٣٩٥.

الرضا؟! أليس لأجل أنهم لم يصلحوا ما أفسدوه من أمر الأمة؟!!

٥ - لو كانت مسألة ضرب الزهراء من المسائل الشخصية لكان ينبغي أن تطالبهم بهذا الأمر، وتتفاوض معهم وتقدم شروطها لتسويته، ولكنها لم تطالبهم بشيء من ذلك.

٧٢٦ - فاطمة وديعة رسول الله عند علي فكيف لم يدافع علي

عنها؟!!

**ويقول البعض:**

«فاطمة وديعة رسول الله عند علي فكيف لا يدافع علي عنها؟!!

ألا يجب حفظ الوديعة»؟!!

**وقفة قصيرة:**

**ونقول:**

١ - إن دين الله كان أعظم وديعة عند علي وفاطمة «عليهما السلام»، فلا بد من حفظها.

٢ - إن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يتوانَ عن حفظ الوديعة. بل عمل بما يجب عليه، والذين فرطوا في حفظ الوديعة هم المهاجمون. وبمجرد أن سمع علي «عليه السلام» الصوت بادر لنجدة وديعة رسول الله، فوجد أن الأمور قد انتهت منذ اللحظات الأولى..

٣ - إن من واجب علي «عليه السلام» هو أن لا يمكّن الغاصبين من تمرير مخططاتهم، وأن يحفظ للناس فرصة تمييز الحق من الباطل، فكانت إجابة الزهراء لهم على الباب هي الطريق الأكثر أمناً،

والأصلح لتحقيق هذا الهدف.. لأنه لو بادر هو «عليه السلام» لإجابتهم.. خصوصاً، وأن من اجتمع في المسجد هم هؤلاء الغاصبون وأعوانهم. وأما الباقون من أهل المدينة من ذوي النفوذ، فكانوا لا يزالون مجتمعين في السقيفة..

فإن كان ثمة من أحد من أهل المدينة في المسجد، فإنما هم بعض من لا حول لهم ولا قوة، من الفقراء والضعفاء الذين جاؤا للصلاة، أو لتمضية الوقت، والذين يناون بأنفسهم عن المشاكل والمتاعب.

فإذا خرج «عليه السلام» إلى القوم. وهم وأعوانهم في المسجد، دون سواهم، فإما أن يستجيب لمطالبهم. فيضيع الحق بذلك.. وإما أن يرفض فتثور الثائرة. ولا يوجد أحد ينقل الحقيقة للناس.. بل الموجودون هم خصوم علي ومناوئوه فقط..

فهل تراهم سوف ينقلون للناس حقيقة ما جرى. وسيعرفون الناس بأنهم هم المعتدون الغاصبون الظالمون لعلّي؟!!

وإذا كان الحكم والاعلام بيدهم، فكيف سينقلون الصورة للأجيال، وما هي طبيعة الشائعات التي سيطلقونها، والأعداء التي سيتذرعون بها؟!!

إن الأجيال التي ستأتي سوف تعتبر أن السلطة أمر تهفو له النفوس، ويتنافس عليه الطامحون. ومن الذي سيعلمها ويبيّن لها: أن علياً لم يكن طالب سلطة كغيره من الناس وبذلك ينسد باب المعرفة للحق.. على جميع الأجيال..

وأما إذا أجابت السيدة الزهراء الطاهرة، والتي كانت مفجوعة بأعظم إنسان خلقه الله، والذي أخرجهم من الظلمات إلى النور والذي دفن للحظات خلت.. فمن المناسب هو أن يعاملوها معاملة تليق بها، وبموقعها، وتتناسب مع الظرف الذي تعيشه..

فإذا عاملوها بضد ذلك.. فان الناس كلهم سوف يدركون أنهم معتدون ظالمون، وأنهم قد أتوا ليغتصبوا أمراً خطيراً هو أهم في نظرهم من كل شيء، لا سيما وان هذا الحدث قد حصل في مكان هو من اقدس الأمكنة وهو مسجد الرسول وحصل عند قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» مباشرة وفي بيت الزهراء، بالذات.. ولم يحصل في الشارع.. وقد حصل أيضاً بعد دفن الرسول مباشرة..

ومع البنت الوحيدة لهذا الرسول.

ومع امرأة لا تقوى على الدفع عن نفسها أمام جماعة كبيرة من الرجال..

ومع من يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها..

إلى غير ذلك من خصوصيات.. من شأنها أن تزيد الأمر وضوحاً لمن يريد أن يفكر بالامر بأناة وتجرد..

٤ - قد قلنا إن القوم حين خرجوا من السقيفة كان أكبر همهم هو حسم الأمر مع علي «عليه السلام» الذي يرون أنه الأخطر على طموحاتهم. وهو الوحيد القادر على إحباط كل جهودهم.

فأسرعوا إلى بيت علي «عليه السلام» لينالوا بغيتهم قبل أن

يعرف علي بالأمر، وقبل أن يستعد لأي تحرك..

وإذا كان علي «عليه السلام» قد فرغ لتوه من دفن الرسول، فإن من الطبيعي أن تأتي الزهراء لتودع أباهما، فتجلس إلى القبر الشريف - وهو في بيتها - وينصرف علي «عليه السلام» لبعض شأنه كالصلاة، أو تبديل الثياب، أو أي شيء آخر..

فجاء القوم إلى بيت الزهراء في المسجد، وبمجرد أن عرفوا أن علياً «عليه السلام» داخل البيت بادروا لاقتحامه بسرعة فائقة. وكان من الطبيعي أن تلوذ الزهراء بالباب لتتخذ منه ساتراً وحافظاً لها.

وحين أحسوا بها خلف الباب، فقد ضغطوها خلفه، وأردوا فتحه عنوة ورأوا أنها تمثل عائقاً قد يضيع عليهم الفرصة. وصرخت الزهراء فبادر علي «عليه السلام» لانجادهما، ولكن الأمر كان قد قضي فقد نالوا من الزهراء «عليها السلام» ما أرهاقها، وقتل جنينها.

وبعد أن هاجم «عليه السلام» المعتدين، وجلد بأحدهم إلى الأرض. وانشغل «عليه السلام» بالزهراء «عليها السلام» فر المعتدون إلى خارج البيت.

ولم يستغرق هذا الأمر منهم وقتاً طويلاً. بل حصل ما حصل - ربما - خلال ثوان قليلة.

وبقي المعتدون خارج البيت يعلنون بالتهديد والوعيد، ويجمعون الحطب لإحراق البيت.

وفي هجوم لاحق لهم استطاعوا أن يدخلوا البيت من جديد، وأن

يأخذوا علياً بالقوة ولحقتهم الزهراء «عليها السلام» رغم جراحها  
والآلامها فضربوها من جديد.  
ثم ضربوها مرة أخرى في قضية اغتصاب فدك بعد ثمانية أيام  
إلخ.. القصة.

## الفصل الخامس

هل من مزيد؟!



---

## بداية:

إننا على يقين: من أن القارئ الكريم قد أصبح يملك حصيلة كبيرة يستطيع من خلالها الحكم على أفكار هذا البعض ومقولاته. ويعرف إن كان يستطيع أن يتبنى أي شيء من هذه المقولات أو لا يستطيع..

كما أن عليه أن يعرف أنه هو المسؤول عند الله في هذه الأمور، ولا بد له من أن يأتي بالإجابة الصحيحة والصريحة أمام علام الغيوب، وأن يقدم العذر المقنع والمقبول عن أي موقف يتخذه.. ولكي

نكون قد قمنا بواجبنا لجهة إتمام الحجة، فإننا نقدم في هذا الفصل بعضاً آخر من مقولات ذلك البعض، فنقول:

٧٢٧ - شهيدة بمعنى شاهدة على الناس لا مقتولة..

### يقول البعض:

«ورد في الحديث عن الإمام موسى الكاظم «عليه السلام»: «إن فاطمة صديقة شهيدة»..» .

إننا نستوحي من هذا الحديث الشريف: أن سيدتنا فاطمة الزهراء «عليها السلام» وصلت إلى مقام الصديقين الذين يعيشون الصدق مع النفس ومع الله ومع الناس من حولهم، وقد عرفت أنها كانت الأصدق بعد أبيها كما روت عائشة.

ونستوحي منه أيضاً: أنها وصلت إلى مقام الشهداء الذين يشهدون على الأمة يوم القيامة، كما هو شأن الأنبياء الذين اصطفاهم الله سبحانه واختارهم لمقام الشهادة.

إنّ ضم كلمة «الشهيدة» إلى كلمة «الصديقة» هو الذي يوحي لنا بهذا التفسير لكلمة الشهيدة، لأنه يلتقي مع الإشارة القرآنية لذلك في قوله تعالى (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ

(١) رَفِيقًا) (٢) قوله تعالى: (وَيَوْمَ نُبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ..). وغيرها من الآيات القرآنية التي تتحدث عن مقام الشهادة على الأمة.

ولا ريب أن موقع الشهادة على الأمة هو أعظم من موقع الشهادة بمعنى القتل في سبيل الله، لأن الشهادة بالمعنى الأول (٣) هي صفة الله سبحانه (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). وهي أيضاً صفة أنبياء الله (٤) (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا).

وعندما يختار الله أحداً للاصطفاء ولمقام الشهادة، كما اختار سيدتنا الزهراء «عليها السلام» لذلك، فإن هذا الاصطفاء لا ينطلق من فراغ، بل هو ينطلق من الخصائص التي تحبب هؤلاء إلى الله، وتجعلهم في مستوى حمل الرسالة، وتجسيد قيمها في الحياة».

(١) الآية ٦٩ من سورة النساء.

(٢) الآية ٨٩ من سورة النحل.

(٣) الآية ٥٣ من سورة فصلت.

(٤) الآية ٤١ من سورة النساء.

(٥) الزهراء القدوة ص ١٨٣ و ١٨٤ وبيان الحق ص ٣٥ وشريط مسجل

بصوته في مكة بتاريخ ١٤١٨/١٢/٦. وشريط آخر مسجل بصوته بتاريخ

١٩٩٨/١٠/١.

## وقفه قصيرة:

إن هذا الذي ذكره هذا البعض، والذي أراد من ورائه إنكار استشهاد الزهراء، يحتاج لإيضاح مغازيه ومراميه إلى مجال آخر..

### ولكننا نقتصر هنا على النقاط التالية:

١ - قال ابن الأثير: إن كلمة «شهيد» و «شهيدة» في الأصل: «من قتل مجاهداً في سبيل الله، ويجمع على شهداء، ثم اتسع فيه فاطلق على من سَمَّاه النبي «صلى الله عليه وآله» من المبطلون، والغرق، والحرق» (١).

(٢)

وقال الزبيدي: «الشهيد في الشرع القتل في سبيل الله» .

واستعمال هذه الكلمة في غير هذا المعنى.. يقترن بالقرينة التي تعين وتبين.. فقد تكون (٣) القرينة هي اقترانها بكلمة (على كذا) كقوله: (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) . أو (عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) (٤) . وقد تكون القرينة غير ذلك..

٢ - ولأجل ما ذكرناه آنفاً احتاج هذا البعض إلى تلمس القرينة الدالة على ذلك، وهي ضم كلمة الشهيدة إلى كلمة الصديقة، استناداً

(١) تاج العروس ج ٢ ص ٣٩١ والنهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٥١٣.

(٢) تاج العروس ج ٢ ص ٣٩١.

(٣) الآية ٧٨ من سورة الحج.

(٤) الآية ١٥٩ من سورة النساء.

إلى آية:

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) (١).

ولا ندري كيف أصبحت هذه الآية إشارة إلى ان المراد بكلمة «شهادة» في الرواية هو الشهادة على الناس، كما هو شأن الأنبياء الذين اصطفاهم الله، واختارهم لمقام الشهادة؟! ولماذا لا يكون المراد هو الشهداء بمعنى الذين يقتلون في سبيل الله؟!.. فإن كلمة «الشهداء» قد اقترنت مع كلمة «النبيين، والصديقين، والصالحين»، فليس المراد بها الأنبياء الذين يشهدون، ولا الصالحون الذين يشهدون، بل هي إلى إرادة المقتولين في سبيل الله أقرب، وبهم أنسب.

٣ - وحتى لو غرضنا النظر عن ذلك، فإن جزمه ويقينه بأن المراد بالآية هو مقام الشهادة على الناس بلا جهة، لأن إرادة هذا المعنى من آية أخرى لا يعني أنه هو المراد في هذه الآية وفي تلك الرواية أيضاً..

٤ - على أن هذا البعض يشترط في مثل هذه الأمور الدليل المفيد لليقين، فأين هو هذا الدليل الذي أفاده اليقين بإرادة الشهادة على الناس يوم القيامة؟..

٥ - أما بالنسبة للآية الثانية التي استشهد بها وهي قوله تعالى:

---

(١) الآية ٦٩ من سورة النساء.

(١)

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)

فإن الاستشهاد بها أغرب وأعجب، وذلك، لأنها تحمل في داخلها قرينة صريحة على أن المراد بها الشهادة على الناس. وهي قوله: (عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ).

إذن.. فما معنى جعلها شاهداً ودليلاً على إرادة الشهادة على الناس في مورد آخر، مع أن هذا المورد الآخر ليس فيه هذه القرينة الصريحة؟! ويكون تجرده عن القرينة داعياً إلى حمله على إرادة المعنى الأصلي، وهو الشهادة بمعنى القتل في سبيل الله.

٦ - إنه إذا كان ما ذكر في القرآن من آيات تتحدث عن مقام الشهادة على الأمة قرائن على المراد من كلمة: «إن فاطمة صديقة شهيدة»، فلماذا لا يكون ما جرى على الزهراء، من ضرب وقهر، وإسقاط جنين، واعتلال، ومرض مستمر وكسر ضلع، وبقاء آثار الضرب إلى حين الوفاة، حتى إن في عضدها كمثل الدمج.. نعم.. لماذا لا يكون ذلك كله قرينة على إرادة المقتولة ظلماً من كلمة «الشهيدة»؟!!

ولماذا لا تكون كل الأحاديث التي تتحدث عن الشهادة بمعنى القتل في سبيل الله، حتى لقد أصبحت هي المقصودة في العرف الشرعي، قرينة على إرادة خصوص هذا المعنى دون غيره؟!!

٧ - إن كون موقع الشهادة على الأمة أعظم من موقع الشهادة بمعنى القتل، لا يعني عدم حصول القتل أيضاً، ولا يعني ذلك: أن لا يتحدث النبي والأئمة عن الاستشهاد بهذا المعنى.

٨ - إن الحديث عن مقام الاستشهاد بمعنى القتل قد ورد في ما يرتبط بالإمام الحسين «عليه السلام» أيضاً. مع ان الحسين «عليه السلام» شاهد على الأمة في يوم القيامة، كما أنه شهيد مقتول في سبيل الله.. فلماذا لا يصرف الأحاديث التي تحدثت عن قتله شهيداً عن معناها ليصبح المراد بها الشهادة على الناس ويجعل الآيات المذكورة شاهداً على ذلك؟!

٩ - إن الحديث عن استشهادهم «عليهم السلام» مقتولين. هو حاجة للأمة تماماً كما هو الحديث عن مقام شهادتهم على الناس.. بل ربما يكون هذا الحديث هو الأهم بالنسبة للناس الذين يفهمون الأمور من خلال تجسدها في وجدانهم، وتأثيرها في مشاعرهم.

**ولأجل ذلك:** كان التأكيد على مصيبة كربلاء، وإثارتها من خلال المأساة والشهادة.. وكان لا بد من الاستمرار على ذلك مر الدهور والعصور.

١٠ - لا ندري إن كان القارئ قد أدرك أمراً لم يزل يثير لدينا أكثر من سؤال، وهو أننا نجد البعض لا يهتم بمناقشة ما عند الآخرين من أفكار، ومن توجهات.. بل هو يتغاضى عن ذلك بصورة باتت تلفت النظر.. بل إنه ربما يقف بطريقة أو بأخرى موقف التأييد



والتسديد..

أما فيما يرتبط بمذهب أهل البيت وبمفرداته، ورموزه، وشعائره، وعلمائه وأعلامه، فإننا نشعر: أنه يكاد يكون شغله الشاغل هو البحث عن نقاط يزعم هذا البعض أنها نقاط ضعف، ويجهد لتلمس المسارب والمهارب للتخلص منها، أو على الأقل زعزعة الثقة بها، ووضعها في دائرة الشبهة، وإثارة الريب فيها. ولعل هذا الكتاب بجميع فصوله يصلح لأن يكون شاهداً على ما نقول:

وقد كنا ولا زلنا نرغب بأن تسير الأمور في غير هذا الاتجاه.. ولكن ليس باليد حيلة، وليس أمر ذلك بيدنا، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

٧٢٨ - قضية الزهراء مع أبي بكر وعمر قد انتهت في حينها.

٧٢٩ - الزهراء رضيت على أبي بكر وعمر حين استرضياها.

**ويقول البعض:**

«إن القضية قد انتهت في حينها، فإنها «صلوات الله عليها» قد رضيت على أبي بكر وعمر، حينما استرضياها قبل وفاتها».

**وقفة قصيرة:**

**إننا نشير هنا إلى ما يلي:**

١ - إن إصرار الزهراء «عليها السلام» على أن تدفن ليلاً، ولا يحضر هؤلاء جنازتها، دليل على أن القضية لم تنته في حينها..

وقد صرح البخاري وغيره: أن الزهراء ماتت مهاجرة لأبي

بكر.. كما أن خفاء موضع قبرها إلى يومنا هذا يبقى هو الشاهد الحي على أن الزهراء لم ترض عنهما حينما جاءا لاسترضائهما..

**إذ من غير المعقول..** أن ترضى عنهما، ثم تمنعهما من حضور جنازتها. وتمنعهما حتى من معرفة قبرها خوفاً من أن يتظاهرا بالحزن عليها، حينما يأتیان إلى قبرها، ويظهران التفجع والأسى عليها أمام الناس. فأرادت «عليها السلام» أن تفوت عليهما حتى فرصة الشائعة بأنها قد رضيت عنهما.. أو حتى أن يتمكن من إظهار الحزن عليها بعد وفاتها.

٢ - إن هناك روايات تصرح بأنها لم ترض عنهما حينما جاءا لاسترضائهما.. بل قررتهم فأقرا بما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقها، بأن من آذاها فقد آذاه، ثم أخبرتهما أنها لا ترضى عنهما حتى تلقى أباهما رسول الله، فتخبره بأفاعيلهما، ويكون هو الحكم بينها وبينهما.

وقد روي هذا المعنى في كتب الشيعة والسنة على حد سواء (١) فراجع .

---

(١) راجع: كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ج ٢ ص ٨٦٩ وجلاء العيون ج ١ ص ٢١٢ و ٢١٣ و راجع: بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٩٧ و ٢٠٣ و ١٧٠ و ١٧١ و ج ٢٨ ص ٣٥٧ و ج ٣٦ ص ٣٠٨ و ج ٧٨ ص ٢٥٤ و علل الشرايع ج ١ ص ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٩ والإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤ و ١٥ و عوالم العلوم ج ١١ ص ٤١١ و ٤٤٥ و ٤٩٨ و ٤٩٩

وأما رواية بعض محبي أولئك القوم - وهو الشعبي -: أنها رضية عنهما، فيكذبها ما رواه البخاري بأنها ماتت وهي مهاجرة لهما.. وكذلك سائر الروايات الأخرى، بالإضافة إلى أنها رواية موقوفة لا مجال للاعتماد على سندها .

٣ - إن مما لا شك فيه: أنه لم يكن في مصلحة القوم أن يظهر للناس أن السيدة الزهراء «عليها السلام» كانت غاضبة عليهما، لأن ذلك معناه أن يراها الناس في جملة من آذى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأغضبه. فكان من الطبيعي أن يسعي لاسترضائها. ولكنهما لم يقدم أي تنازل، ولم يتراجعا عن أي شيء مما اقترفاه في حقها.

إنها مجرد توبة صورية هي بمثابة السخرية بالطرف الآخر، والاستخفاف بعقله.. وهي ستكون أوجع للقلب، وأقبح من ذنب.

فهما لم يرجعا فداكاً، ولا غيرها مما اغتصباه من إرث رسول الله

---

و ٥٠٠ وكفاية الأثر ص ٦٤ و ٦٥ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٦٥ والشافعي ج ٤ ص ٢١٣ والجامع الصغير للمناوي ج ٢ ص ١٢٢ والرسائل الاعتقادية ص ٤٤٨ ومراة العقول ج ٥ ص ٣٢٣ و ٣٢٢ وضياء العالمين (مخطوط) ج ٢ ق ٣ ص ٨٥ - ٨٧ وأهل البيت لتوفيق أبي علم ص ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٤.

(١) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٧ ص ٢٨١ وبقية المصادر في مأساة الزهراء ج ١ ص ٢٣٩.

«صلى الله عليه وآله» وغيره، ولم يقرأ بجريمتها النكراء في حق الله والأمة باغتصابهما الخلافة من صاحبها الشرعي.

ولم يظهر الاستعداد لتقديم من ارتكب جريمة هتك حرمة بيتها، وجريمة ضربها، ومن قتل ولدها محسناً، وأحرق بابها، وكسر ضلعها، للقصاص، أو للاقتصاص منه.. فلم يعاقب أبو بكر قنفاً، ولا المغيرة، ولا عمر بن الخطاب، ولا غيرهم ممن هتك حرمة بيتها، ولا حاول حتى أن يلومهم، أو يظهر العبوس في وجوههم، بل كان هو الراعي والرامي لهم، والمدافع عنهم، وقد أشار علي «عليه السلام» إلى أنه كان راضياً بفعلهم أيضاً. فراجع ما رواه المفيد في أماليه حول هذا الموضوع وراجع غير ذلك من مصادر عدة.

وكذلك لم يظهر من قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن النبي ليهجر.. أي ندامة على قوله، فضلاً عن إظهار الاستعداد للتكفير عن هذا القول الشنيع..

بل كان الذين فعلوا ذلك وسواه هم أركان الحكم وأعوانه، وكانت سيوفهم مسلولة على كل من يعترض أو يشكو..

كما أنهم إلى آخر لحظات حياتها لم يسمحوا لها حتى بالبكاء على مصائبها، وما ألم بها بعد وفاة أبيها.

بل إنهم قد كافأوا من أساء إليها، وهي الصديقة الطاهرة المعصومة، بإعفائهم من أي إجراء كانوا يتخذونه تجاه الآخرين، فولوهم الولايات وأعطوهم المناصب، ولم يشاطروا حتى قنفاً في

أمواله التي كدسها في ولاياته لهم. وكان ذلك منهم كما روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام» مكافأة له على ما صنعه بسيدة نساء العالمين.

بل إنني أكاد أجزم أن لو حاولت الزهراء استعادة ما اغتصبوه منها، فإنهم سوف يضربونها من جديد، ربما اشد من ضربهم السابق لها، فقد أصبحوا يشعرون بالهيمنة والسيطرة والقوة. هذا إن لم نقل: إنهم سوف يصدرون عليها حكمهم بالقتل بصورة علنية وظاهرة.

٤ - إن استرضاء الزهراء على النحو الذي أسلفناه، ثم رضاها - لو أنها رضيت - سوف يفهمه الناس على أن المسألة قد كانت مسألة حنق شخصي، دون أن يكون للزهراء أي حق فيما كانت تدعيه.. بل كان الحق كله لهما، وهي الظالمة والمعتدية، والطالبة لما ليس لها حق فيه.

ويصبح ضربها من قبلهم مجرد تسرع هي التي استدرجتهم إليه، وحملتهم عليه، حيث فرضت عليهم أجواء ظالمة، دفعتهم لبذل المحاولة لحفظ الحق.. ولربما يكون تسرع الزهراء، وإثارتها لهم في كلماتها، أو بغير ذلك هو الذي أثار حفيظتهم، وأخرجهم عن خط التوازن والاعتدال.

إذن.. فما على الزهراء إلا أن تسمح وتسامح، وذلك هو ما تقرضه تعاليم الدين، وتقتضيه القيم الأخلاقية والإنسانية في حالات كهذه، بل إن طلبهما المسامحة لم يكن لأجل ذنب اقترفاه، بل كان كرم

أخلاق منهما، وتواضعاً وأريحية..

وبذلك تكون «عليها السلام» قد أعطت صك الشرعية للعدوان، ولا غتصاب الحق، والاستئثار بإرث الرسول، وتكون هي وعلي «عليهما السلام» مصدر الخطأ، والتقصير، والعدوان..

نعم.. إن ذلك قد يكون هو أو بعض ما كانا يرميان إليه من محاولتهما استرضاءها «عليها السلام».

ولكن إصرارها على عدم قبولهما، ورفضها حضورهما جنازتهما، وعدم تعريفهما حتى بموقع قبرها. قد احبط خطتهما هذه. وأفهمت كل أحد، إلى يوم القيامة: أن القضية لم تكن شخصية، وإنما هي قضية الإسلام كله.. ولا تملك هي أي حق في التفريط في هذه القضية، ولذلك فإنها قد قامت بواجبها في هذا المجال، على أفضل وجه، وأتمه وأكمله..

٧٣٠ - قبر الزهراء قد عرف الآن.

إن هذا البعض حين تحدث في ذلك المجتمع النسائي في مسجد بئر العبد، وأطلق تشكيكاته، ومقولاته حول الزهراء.. تلك المقولات التي كانت سبباً في انكشاف أمور كثيرة، سألتها إحدى النساء، في تلك المناسبة بالذات السؤال التالي:

لماذا أصرت الزهراء على أن يبقى قبرها غير معروف، مع أنها كانت قمة في التسامح؟!

**فأجاب:**

«كانت المسألة احتجاجية.. وقد عرف قبرها بعد ذلك».

### وقفه قصيرة:

- ١ - إننا بالنسبة لقوله: «إن قبرها» «عليها السلام» قد عرف».
- الآن نطلب منه: أن يدلنا عليه، ويقول لنا: هذا هو قبرها «عليها السلام» بالتحديد..
- ٢ - ليته إلى جانب ذلك يدلنا على الأدلة القاطعة التي استند إليها في تحديده لموضع القبر، والتي قطعت عنده كل شك وشبهة.
- ٣ - إنه لا بد أن تكون الأدلة على هذا الأمر - حسب قرار هذا البعض - أدلة توجب اليقين والقطع، ولا يكفي فيه أخبار الآحاد، بل لا بد من التواتر، أو الخبر المحفوف بالقرينة القطعية، كما يقول..
- ٤ - كيف نجمع بين قوله:
- «إن الزهراء أصرت على إبقاء قبرها غير معروف؟! مع أنها كانت قمة في التسامح، من أجل أن المسألة كانت احتجاجية..».
- وبين قوله: «إن أبا بكر وعمر قد جاءا لاسترضائها قبل وفاتها، فرضيت عنهما».





## الفصل السادس

### بيت الأحران..



## بداية:

إن هذا البعض يحاول أن ينكر وجود بيت الأحران، الذي اتخذته السيدة الطاهرة المعصومة الزهراء «عليها السلام»، بعد منعها من قبل السلطة من البكاء، لأن ذلك يحرجهم، ويذكر الناس بأحداث يحبون أن لا يتذكروها أحد..

وقد بذل طاقات وجهوداً كبيرة، للاستدلال على نفي حصول حزن بمستوى يجعل الآخرين يتضايقون منه، ويلجئونها - من ثم - إلى الخروج من بيتها، ومن عند قبر أبيها، لتتخذ بيتاً عرف ببيت الأحران.

وفيما يلي نماذج من جهوده التي بذلها في هذا السبيل..

٧٣١ - لا حاجة إلى بيت الأحران لتبكي الزهراء فيه.

٧٣٢ - التاريخ الصحيح وغير الصحيح أفاض في الحديث عن أحرانها، وربما كان بعض هذا الحديث غير دقيق.

٧٣٣ - حزنها القريب من الجزع على الرسول ينافي عصمتها.

٧٣٤ - بكائها الشديد ينافي مكانتها وعظمتها.

٧٣٥ - النبي أوصى فاطمة بالابتعاد عن الحزن الشديد.

### يقول البعض:

«إنه لا حاجة إلى بيت الأحران لتبكي فيه الزهراء، إذ لا يتصورها تبكي بحيث تزعج أهل المدينة ببكائها، ليطلبوا منها السكوت، لأن ذلك يعني أنها كانت تصرخ في الطرقات. والصراخ والإزعاج لا يتناسب مع مكانتها «عليها السلام»...».

### وقال أيضاً:

«التاريخ الصحيح وغير الصحيح أفاض في الحديث عن أحزانها، وربما كان بعض هذا الحديث غير دقيق» .

### ويقول:

«يقول الإمام الصادق «عليه السلام» في ما رواه الكليني بسنده الصحيح عنه: عاشت بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» خمسة وسبعين يوماً لم تُرَ كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل أسبوع مرتين، الاثنين والخميس، فتقول: ههنا كان رسول، وههنا كان المشركون .

وفي رواية أخرى، عن الصادق «عليه السلام»: أنها كانت تصلي هناك، وتدعو، حتى ماتت . وهذا المقدار من الحزن والبكاء

(١) من شريط مسجل بصوته.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٥٦١ بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٩٥ وعوالم الزهراء ص ٤٤٧.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٥٦١.

يليق بمكانة الزهراء «عليها السلام»، ولا غضاضة فيه، لأنه حزن القضية الذي لا يلغي قيمة الصبر.

(١) وأما ما أفاضت به بعض المرويات ، التي يقرأها بعض قراء العزاء، والتي تصور الزهراء وكأنها لا شغل لها إلا البكاء، فهذا ما نرسم حوله بعض علامات الاستفهام، لأنني لا أتصور الزهراء «عليها السلام» إنسانة لا شغل لها في الليل والنهار إلا البكاء، ولا أتصور الزهراء، وهي المنفتحة على قيم الإسلام وعلى قضاء الله وقدره، إنسانة ينزعج منها أهل المدينة لكثرة بكائها كما تصور هذه الروايات حتى لو كان الفقيد على مستوى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن ذلك لا يلغي معنى الصبر، لأن الصبر قيمة إسلامية تجعل الإنسان يتوازن ويتماسك في أشدّ الحالات قساوة وصعوبة. وهذا ما يجعلنا نعتقد أن حزن فاطمة «عليها السلام» كان حزن القضية وحزن الرسالة أكثر مما هو حزن الذات، لأنها كانت تستشعر بفقدائها أبيها محمد «صلى الله عليه وآله» أنها فقدت الرسول الذي انقطعت بموته

---

(١) جاء في مرفوعة محمد بن سهل البحراني عن أبي عبد الله «عليه السلام» في حديث البكاؤون الخمسة: «وأما فاطمة، فبكت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها قد آذيتنا بكثرة بكائك فكانت تخرج إلى المقابر. مقابر الشهداء. فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف». عوالم الزهراء ص ٤٤٨.

(١)

أخبار السماء، كما جاء في بعض كلماتها» .

### مشروعية البكاء وحدوده:

وزيادة في توضيح هذا الأمر، ودفعاً لبعض الالتباسات والاعتراضات نقول:

إن فراق رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن بالأمر الهين، لا سيما على ابنته السيدة الزهراء «عليها السلام»، التي أحست أكثر من غيرها بعظيم الفادحة وثقل المصيبة التي امت بالمسلمين بوفاة رسول الله ولهذا كان حزنها عليه أعظم الحزن، وبكاؤها عليه أعظم البكاء، وكانت تخرج إلى قبره الشريف مصطحبة ولديها الحسنين «عليهما السلام» لتبكي أباهما، وكل الشهداء الذين سقطوا معه، لتذكّر المسلمين من خلال ذلك برسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى لا ينسوه في غمرة الأحداث الكبيرة التي عاشوها، ولكنها لم تكن تستغرق وقتها في الليل والنهار في البكاء، ولا أنها كانت كل هذه المدة «يغشى عليها ساعة بعد ساعة» .. وذلك:

٢ - لأن الصبر كما أشرنا قيمة إسلامية كبرى. ومن الطبيعي أن تمثل الزهراء «عليها السلام» أعلى درجات الصبر من خلال مقامها

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٠٧ وجاء فيها: «يا أبتاه انقطع عثاً خبر السماء».

(٢) كما جاء في بعض الروايات، راجع: بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٨٧ وعوالم

الزهراء ص ٤٥١.

الرفيع عند الله، فهي ككل أهل البيت «عليهم السلام» قدوتنا في الصبر، كما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قدوة الناس كلهم في هذا المجال، وكما كان الرسل من قبله (١) **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** .

وهذا هو معنى التأسي بهم، فالحزن على المصاب، لاسيما إذا كان أليماً له دوره في رقة القلب. ولكن للصبر عليه درجة عظيمة لا مخصص لها.. فإن قوله تعالى: **(وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)** (٢) . وقوله: **(وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)** (٣) ، لا يقبل التخصيص، والتقيد، فهو من العمومات الآتية عن ذلك، وكذلك قول الصادق «عليه السلام»: «الصبر رأس الإيمان».

وقوله الآخر: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان» (٤) . فإن هذا اللون من البيان يأبى التخصيص والتقيد كما يقول علماء الأصول.

٢ - ولأن الزهراء «عليها السلام» كانت مشغولة في معظم وقتها

(١) الآية ٣٥ من سورة الأحقاف.

(٢) الآية ١٤٦ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٤٦ من سورة الأنفال.

(٤) أصول الكافي ج ٢ ص ٨٧.

بالدفاع عن حق علي «عليه السلام» في الخلافة، ومن أبرز مظاهر تحركها خطبتها في المسجد، وكلامها مع نساء المهاجرين والأنصار ورجالهن، وإذا صح الحديث بأنّ علياً «عليه السلام» كان يطوف بها على بيوت المهاجرين والأنصار أو جموعهم كما جاء في بعض الروايات. فهذا يعني: أنها كانت تتحرك بشكل يومي نحو تحقيق هذا الهدف الكبير، مما لا يترك لها مجالاً واسعاً للانصراف إلى البكاء والاستغراق فيه.

٣ - إنّنا لا ننكر مشروعية البكاء إسلامياً، فقد بكى رسول الله (ص) على ولده إبراهيم ، وبكى يعقوب على يوسف «عليه السلام» . ومن الطبيعي: أن تبكي الزهراء «عليها السلام» لأنها بشر، والبشر من طبعه البكاء عند فقد الأحبة، لكننا ننكر أن يتحول البكاء إلى حالة من الجزع أو ما يشبه الجزع بحسب الصورة التي تتلى في المجالس، ومفادها: «أن أهل المدينة ضجّوا من كثرة بكائها» . وأنهم شكوا الأمر إلى علي «عليه السلام» وقالوا له: «إما أن تبكي أباهاً ليلاً أو نهاراً»، لأن هذه الصورة لا تليق بمكانة الزهراء في الواقع العام، ولا تنسجم مع عصمتها وعظمتها. كيف والجزع مذموم شرعاً وعقلاً.

---

(١) إقناع اللائم على إقامة المآتم (ط مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - إيران

١٤١٨هـ) ص ١١٤.

(٢) م.ن ص ٨٦.

(٣) تقدم الحديث في الهامش رقم ١ من الصفحة ٦٤.



يقول أمير المؤمنين لبعض أصحابه وقد فقد ولداً: «إن صبرت جرى عليك القدر (١) وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور (٢)» .

وقال أيضاً وهو يلي غسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتجهيزه: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والإنباء، وأخبار السماء. ولم (٣) لا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤون» .

«وأما ما جاء في بعض النصوص، مثل ما روي عن أمير المؤمنين عندما وقف على قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ساعة دفنه أنه قال: «إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقيح (٤) إلا عليك، وإن المصاب بك لجليل، وإنه قبلك وبعدك لجلل» ، فمحمول على شدة الحزن وعظيم الفاجعة والمصيبة، وإلا فحسن الصبر وقبح الجزع لا يقبلان الاستثناء والتخصيص كما أشرنا.

إن هناك وصية خاصة من رسول الله لابنته فاطمة في هذا الخصوص، وهي ما رواه الصدوق بإسناده عن عمرو بن أبي المقدام، قال سمعت أبا الحسن وأبا جعفر «عليه السلام» يقول في هذه

---

(١) الوزر: الإثم.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ١٣٤.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٥ والشؤون منابع الدمع في الرأس.

(٤) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ١٣٤.

(١) الآية: (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) ، قال: «إن رسول الله قال لفاطمة «عليها السلام»: «إذا أنا مت فلا تخمشي عليّ وجهاً، ولا ترخي عليّ شعراً، ولا تنادي بالويل ولا تقيمي عليّ نائحة».

ثم قال: هذا المعروف الذي قال الله عز وجل في كتابه: (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) .

«ونستوحي من هذا الحديث التحفظ عما نسب إلى سيدتنا فاطمة الزهراء من الحزن الذي يقرب من الجزع، لأن هذه الوصية تدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد لها أن تبتعد عن مظاهر الحزن الشديد.

٥ - إن الزهراء «عليها السلام» نفسها أمرت نساء بني هاشم اللاتي جنن يساعدها عند وفاة أبيها «صلى الله عليه وآله» بأن يقتصرن على الدعاء، ففي الكافي بإسناده عن أبي عبد الله «عليه السلام»، عن أمير المؤمنين قال: «مروا أهاليكم بالقول الحسن عند موتاكم، فإن فاطمة «عليها السلام» لما قبض أبوها «صلى الله عليه وآله» أسعدتها بنات هاشم فقالت: اتركن التعداد وعليكن بالدعاء»..» .

(١) الآية ١٢ من سورة الممتحنة.

(٢) معاني الأخبار للشيخ الصدوق (منشورات جماعة المدرسين - قم - إيران) ص ٣٩.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٢١٧ رواية ٦ ورواه الصدوق في الخصال ص ٦١٠ رواية

ونستوحي من هذا الحديث: أن الزهراء «عليها السلام» كانت متوازنة إيان وفاة أبيها، رغم فداحة المصيبة.

وأما ما قد يقال: بأنها كانت تبكي إظهاراً لمظلوميتها ومظلومية زوجها، وتنبيهاً على غصب حق أمير المؤمنين «عليه السلام» في الخلافة، وحرناً على المسلمين بعد انقلاب جملة منهم على أعقابهم، فيرد عليه:

**أولاً:** إن إظهار ذلك لا ينحصر بالبكاء، بل يتحقق في خطبتها في المسجد، وفي أحاديثها الصريحة مع المسلمات والمسلمين، وفي حديثها مع أبي بكر وعمر اللذين تحدثت<sup>(١)</sup> معهما عن غضبها عليهما من خلال غضبهما فدكا وغضبهما للخلافة .

**وثانياً:** إن الأحاديث الواردة في كلامها أو التي تحدثت عن بكائها استهدفت ذكرى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

إننا نرى: أن أهل البيت «عليهم السلام» قمة في العطاء والصبر، وفي مقدمتهم السيّدة الزهراء «عليها السلام»، التي تمثل القدوة في الصبر حتى في طريقة بكائها، فهي تبكي بكاء الصابرين الرساليين الشاكين إلى الله سبحانه وتعالى.

نعم.. إن بكاء علي بن الحسين «عليه السلام» كان إظهاراً

لمظلومية أبيه الإمام الحسين «عليه السلام»، لأن زين العابدين «عليه السلام» كان يتحدث عن مظلومية أبيه، وهو يبكيه، لكي يتذكر الناس الواقعة ويدفعهم ذلك إلى الثورة على بني أمية.

### الحزن الرسالي:

ومحصل ما نريد قوله: إن الزهراء «عليها السلام» لم تعرف الفرح في الفترة القصيرة التي قضتها بعد وفاة أبيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»<sup>(١)</sup>. لكن حزنها كان حزناً إسلامياً.. لم يكن جزعاً ولا ابتعاداً عن خط التوازن.

والرواية التي يمكن الوثوق بها في هذا المقام هي التي تقول: إنها كانت تخرج في الأسبوع مرة أو مرتين إلى قبر النبي «صلى الله عليه وآله» وتأخذ معها ولديها الحسن والحسين «عليهما السلام»، وتبكيه هناك، وتذكر كيف كان يخطب هنا، وكيف كان يصلي هناك، وكيف كان يعظ الناس هنالك.

وأرادت بذلك أن تعيد للأمة الغارقة في متاهات الدنيا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في معناه الرسالي، ولذا لم تتحدث عنه «صلى الله عليه وآله» في ما نقل في الروايات الموثوقة حديثاً عاطفياً

(١) وقد مرّ أنها لم تر كاشرة ولا ضاحكة. راجع: بحار الأنوار ج ٤٢ ص ١٨٥

والكافي ج ٤ ص ٥٦١.

(٢) م. ن.

### وقفه قصيرة:

إننا قبل كل شيء نذكر القارئ بما أوردناه في كتابنا: مأساة الزهراء ص ٣٣٦، فليراجعه القارئ الكريم إن أحب.. ثم نقول:

١- إن من يقرأ هذا البحث الطويل العريض يشعر بمدى اهتمام هذا البعض في إسقاط الحقيقة التاريخية التي تقول: إن فاطمة كانت تظهر الحزن الشديد على أبيها، وإن السلطة قد تضايقت من ذلك، لأنه يذكر الناس بمقامها منه، ويذكر الناس أيضاً بما جرى عليها من ضرب وإهانات، وإسقاط جنين، ومن هتك لحرمتها..

نعم.. لقد تضايقت السلطة من ذلك فبادرت إلى منعها من البكاء بحجة واهية، وغير صحيحة، وهي أن بكاءها يؤذي الناس الذين يزورون المسجد الذي هو النقطة المركزية للمدينة كلها. وفيه يجتمع الناس للعبادة وللسياسة، وللحديث في مختلف الشؤون..

ونتيجة هذا الجهد المبذول منه هي تبرئة السلطة من هذا العمل الذي لا يرضاه وجدان أي إنسان، وإن الإطلاع عليه، من قبل أي كان من الناس، يفتح باباً واسعاً امام كل أحد لمعرفة المحق من غيره، والمعتدي من المعتدى عليه..

٢ - إن جميع ما استدل به هذا البعض هنا لا يصلح (حسب

قواعده هو) لإثبات ما يريد إثباته. لأنه يعتمد على روايات لا تستطيع أن تكون دليلاً قاطعاً، ومفيداً لليقين في هذا الأمر التاريخي الذي يشترط هو فيه اليقين والقطع على أساس الدليل اليقيني، ولا يكتفي فيه بخبر الواحد، ولا بمطلق ما هو حجة عنده.

٣ - إن أدلته التي ساقها لإثبات ما يرمي إليه تخالف ما حكاه لنا القرآن الكريم عن يعقوب «عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام»، فإنه قد بكى على ولده حتى ابيضت عيناه من الحزن، وكان مثابراً على ذكره حتى قال له أبناؤه:

(قَالُوا يَا لَهِ تَفْتًا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)<sup>(١)</sup>.

وكان يعقوب معزراً مكرماً، لم يتعرض لأي إساءة من أحد.. بخلاف الزهراء، المقهورة المظلومة التي تعرضت للضرب وللإهانة، والاضطهاد ساعة دفن أبيها صلوات الله عليه وآله.

كما أن يعقوب «عليه السلام» لم يكن يملك دليلاً على موت ولده، بل ربما كان يعلم أنه لا يزال حياً .. أما رسول الله «صلى الله عليه

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف.

(٢) فإنه قال: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا) [الآية ٨٣ من سورة يوسف].

وقال: (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون) [الآية ٩٤ من سورة

يوسف]. وقال: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْسَّرُوا مِنْ

رَوْحِ اللَّهِ) [الآية ٨٧ من سورة يوسف].

وآله» فقد مات مهموماً مغموماً، يرى ما آلت إليه الامور في تجهيز جيش اسامة، ويسمع وهو في مرض موته مقولة من قال: إن النبي ليهجر، ويعلم ماذا سيجري على وصيه وعلى ابنته بعد وفاته، وقد تضافر الحديث عنه بأنه لم يزل يخبر علياً به، ويأمره بالصبر..

٣ - إن دعبل الخزاعي ينشد قصيدته الثائية بحضرة الإمام الرضا «عليه السلام»، وقد ورد فيها:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً      وقد مات عطشاناً بشط فرات  
إذن للطمت الخد فاطم عنده      وأجريت دمع العين في  
الوجنات

وقد أقره الإمام الرضا على قوله، ولم يعترض، ولو بأن يقول له: إن جدتي فاطمة لا تفعل ذلك بل نجد أنه «عليه السلام» - حسبما ورد في نصوص هذه الحادثة - قد زاد بيتين في هذه القصيدة وهما:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة      ألحت على الأحشاء بالزفرات  
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً      يفرج عنا الهم والكربات

---

بل في الروايات ما يدل على أنه كان يعلم أنه حي، فقد روي: أن بعضهم سأل الإمام زين العابدين «عليه السلام»: يا بن رسول الله إلى متى هذا البكاء؟!

فقال «عليه السلام»: إن يعقوب بكى على يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن وهو يعلم أنه حي، وأنا رأيت أبي وسبعة عشر من أهل بيتي ليس لهم على الأرض شبيه يذبحون كما تذبح النعاج الخ..

٤ - إن هذا البعض يصوّر القضية، وكأن أهل المدينة قد انزعجوا حقاً من بكاء الزهراء.. ويجعل ذلك مبرراً لنفيه أن يكونوا قد منعوها من البكاء وإظهار الحزن، بحجة أن بكاء كهذا لا ينسجم مع شخصية الزهراء.. ومع اهتماماتها «عليها الصلاة والسلام».

**مع أن الحقيقة هي:** أن السلطة هي التي انزعجت من بكاء الزهراء، وهي ترى أن الناس حين يأتون إلى المسجد، فانهم يبادرون إلى السلام على رسول الله، وما إلى ذلك، فيرون هناك ابنته الحزينة المقهورة، ويتذكرون ما جرى عليها من ضرب، وهتك لحرمة بيتها، ومن إسقاط جنين واقتحام وغيره..

فأعلنت هذه السلطة - وربما تكون حرصت بعض أتباعها - على إعلان الشكوى، والمطالبة بإخراج من يزعجهم من هذا المكان الحساس جداً بالنسبة إليهم، والذي لو استمر الحال على ما هو عليه، فلربما يؤثر في تغيير مجرى الأمور في غير صالحهم..

٥ - وعلى هذا الأساس نقول:

إنه لم يكن ثمة جزع مذموم، ولا مخالفة لفضيلة الصبر، كما لم يكن ثمة نواح ونحيب، أو ولولة، ولا كانت الزهراء تجوب الشوارع والأزقة صارخة باكية، بحيث ينزعج الناس منها، وإنما كانت تجلس في بيتها؛ وإلى جنب قبر أبيها، ومن كان يدخل، يجد ابنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» هناك. فيرى حالها، ويتذكر ما جرى لها، حسبما ألمحنا إليه.



٦ - وبعد ما تقدم، وبعد أن علمنا: أنها «عليها السلام» كانت الصابرة المجاهدة التي لم يخرجها غضبها وحزنها عن صراط الطاعة لله نقول:

إن حزن الزهراء إنما كان على الإسلام، كما أن ما جرى عليها وما نالها من أذى لم يكن يؤذيها من حيث ما نشأ عنه من آلام جسدية.. بقدر ما كان يؤذيها بما كان له من آثار على الدين، وعلى الأمة.. ومن جراحة على الله ورسوله..

٧ - وما هو الضرر بعد هذا في أن يستغرق هذا الحزن ليلها، ونهارها، أو أن يُغشى عليها ساعة بعد ساعة، كما ورد في الأحاديث؟! فإن ذلك لم يكن جزءاً على شخص، بل كان حزناً على ما أصاب الدين من وهن، وما ألم به من انتكاسات خطيرة..

٨ - إذن، فلا معنى لتصوير هذا الحزن على أنه حزن بنت على أبيها، من خلال علاقة البنوة بالأبوة. لكي نطالبها بالتزام الصبر على المصاب بالشخص.

٩ - إن القول بأن الصبر على المصاب درجة عظيمة، وأن أوامر الصبر غير قابلةٍ للتخصيص، يصبح بلا مورد، فإن الحزن لم يكن على الشخص بما هو أب وفقيد.. بل كان الحزن على الإسلام بما هو مطعون وقتيل وشهيد..

١٠ - إن انشغال الزهراء «عليها السلام» في معظم وقتها بالدفاع عن علي «عليه السلام».. لا يشغلها عن الحزن حيث يجب أن تحزن،

كما يريد البعض أن يدعي..

كما أن حق علي في الخلافة لا يدل على أن حزنها لم يكن شديداً وشاملاً، فإن حزنها كان اعظم وسائل الدفاع عن هذا الحق. وحفظه، وبيان أنهم قد أخذوا ما أخذوه ظلماً وعدواناً..

١١ - إن بكاء الزهراء لم يكن من خلال أنها بشر تبكي عند فقد الأحبة كما يقول البعض.. بل من خلال: أن رسالتها هي الإعلان بهذا الحزن، وإظهار الرفض لما جرى من عدوان عليها. وهتك حرمتها من أجل اغتصاب حق الأمة الذي جعله الله لها، بأن تكون الخلافة لأمر المؤمنين «عليه السلام»..

إذن، فما معنى الحديث عن الجزع في هذا المقام؟! فإنها لم تجزع على شخص، بل كان حزنها على الرسالة، وعلى الدين، وعلى الأمة..

١٢ - وحتى لو كان جزعها على شخص أبيها، فانه ليس كل جزع مذموماً، بل المذموم منه هو الذي يمثل اعتراضاً على قضاء الله وقدره، وعدم الرضا به..

وأما الجزع الذي يعبر عن الحب للرسول. وعن الحزن على ما أصاب الدين ورموزه، فانه يمثل أقصى حالات الطاعة لله، والانقياد إليه، والحب له. وهو من العبادات التي ورد الأمر بها، ووعد الله بالثواب الجزيل عليها.

وقد ورد ذلك في روايات كثيرة، منها ما هو صحيح ومعتبر.. فما

معنى الخلط بين ذاك الجزع المذموم، وهذا الجزع المحبوب والمطلوب.

١٣ - وأما ما نسب إلى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، من أنه قال، وهو يلي غسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتجهيزه: لولا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع لا نفذنا عليك ماء الشئون<sup>(١)</sup>.

### فيرد على الاستدلال به:

أولاً: إن هناك ما يعارض هذه الرواية، وهو ما ذكره هذا البعض نفسه أيضاً، حيث ذكر ما روي من أنه «عليه السلام» وقف على قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ساعة دفنه، فقال: «إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلا عليك»<sup>(٢)</sup>.

### والملفت للنظر هنا أمران:

أحدهما: أن هذا البعض قال عن النص الأول: «وقال أيضاً، وهو يلي غسل رسول الله إلخ..».

### ولكنه بالنسبة لهذا النص الثاني قال:

---

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ٢٣٥ وأمالى الزجاج ص ١١٢ وأمالى المفيد ص ٦٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ١٣٤ ونهج البلاغة الحكمة رقم ٢٩٢ وراجع دستور معالم الحكم ص ١٩٨ وغرر الحكم ص ١٠٣ ونهاية الأرب ج ٥ ص ١٩٦ وتذكرة الخواص.

«وأما ما جاء في بعض النصوص، مثل ما روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»..».

فتراه يرسل الأول إرسال المسلمات، ويتحدث عن الثاني بطريقة أخرى، تقلل من قيمته بالمقايضة مع النص الأول..

**الثاني:** أن النصين معا موجودان في نهج البلاغة، ولكن المذكور في هامش الكتاب الذي يمثل كل فكر البعض عن الزهراء.. هو الإشارة إلى أن مصدر الأول هو نهج البلاغة.. وكلنا يعلم مدى اهتمام الناس بنهج البلاغة، وخضوعهم لمضامينه، وانقيادهم لها.

والإشارة إلى أن مصدر الثاني هو البحار.. الذي لم يزل يواجه حملات التوهين لمضامينه، والتشكيك بما فيه، من قبل هذا الفريق الذي يدين بالولاء لهذا البعض الذي نحن بصدد تعريف الناس بمقولاته..

**ثانياً:** من الذي قال: إن وجه الجمع بين حديثي: «نهيت عن الجزع - وإن الجزع لقبيح إلا عليك» هو حمل الثاني على انه كناية عن شدة الحزن، كما قال البعض؟!

ولماذا لا يكون العكس، فيقال: إن الحزن الذي نهى عنه هو الحزن الذي يسقط معه الجازع أمام المصاب.. إذ ليس ثمة مصاب يستحق السقوط امامه، إلا إذا كان برسول الله «صلوات الله وسلامه عليه وآله»، أو بمثل فاجعة الحسين «عليه السلام» في كربلاء..

أو يقال: إن الجزع على غير الرسول ص حين يستبطن

الاعتراض على قضاء الله، فانه يصبح مذموماً..

أما حين يكون حزناً على الرسول بما هو رسول، فذلك عبادة وتقرب إلى الله سبحانه كما كان حزن يعقوب عليه وعلى نبينا وآله السلام على ولده النبي يوسف «على نبينا وآله، وعليه صلوات الله وسلامه». فإنه إنما حزن عليه بما أنه رسول اصطفاه الله، لا يصح أن يصاب بما أصيب به من كيد من قبل إخوته.. فإن ما حدث قد كان في مستوى الكارثة التي استهدفت نبياً من الأنبياء بعثه الله لهداية الأمة بأسرها.

**ثالثاً:** ما ادعاه من أن قبح الجزع وحسن الصبر لا يقبلان التخصيص والاستثناء، غير مقبول..

**فإن..** الجزع إن كان على الرسول بما هو رسول، وعلى الإسلام، كان طاعة ومحوباً لله سبحانه..

والذي لا يقبل الاستثناء هو ذلك الذي يستبطن الاعتراض على الله سبحانه في قضائه وقدره..

**رابعاً:** قد وردت روايات صحيحة وصريحة في حسن الجزع على مصاب الإمام الحسين «عليه السلام». فلو كان قبيحاً ذاتاً، كالظلم لم يكن معنى لهذا الاستثناء.. كما أنه لو كان كذلك لا ستهجنه الناس ورفضوه. ورفضوا روايته عنهم «عليهم السلام». وقد تقدمت قصيدة دعبل التي أنشدها بحضرة الإمام الرضا عليه الصلاة والسلام..

**كما أننا قد ذكرنا هناك:** أنه «عليه السلام» قد زاد بيتين في قصيدته يرتبطان بالبكاء عليه «صلوات الله وسلامه عليه». فراجع..

بل هذا البعض نفسه يشترط كون حكم العقل قطعياً، فهو يقول:

«عندما ندعو إلى قراءة التاريخ بموضوعية، ندعو قبل ذلك إلى تنمية الذهنية الموضوعية، التي تتحرك بدون أفكار مسبقة، بل تلاحظ ما يقوله العقل القطعي لتأخذ به. وليس كل ما يعتبره البعض حكماً عقلياً فهو في الحقيقة حكم عقلي.. لا بد أن نعتمده، ونؤول النصوص على ضوءه. بل إن تصوراتهم قد يعتبرونها حكماً عقلياً..» .

فنحن نلزم هذا البعض هنا بما ألزم به نفسه. ونعتبر أن حكمه بإباء حكم العقل عن التخصيص في مورد الجزع غير دقيق..

**خامساً:** من أين ثبت لهذا البعض: أن حزن فاطمة «عليها السلام»، الذي نهاها الحكام عنه، قد بلغ إلى درجة الجزع، ليستدل بالروايات الناهية عن هذا الأمر، وبالروايات الآمرة بالصبر عند المصاب؟!!

**سادساً:** إن هذا البعض نفسه يقول عن حزنها: «الحزن الذي يقرب من الجزع»، فهل الحزن الذي يقرب من الجزع حرام؟! وما الدليل على ذلك؟!!

١٤ - وأما عن وصية النبي «صلى الله عليه وآله» للزهراء: لا

تخمشي علي وجهاً الخ.. التي استدلت بها البعض..

**فإننا نقول:**

**أولاً:** إن الزهراء حين بكت بعد رسول الله، وطال حزنها، وأظهرت هذا الحزن.. لم تخالف وصية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهي:

**ألف:** لم تخمش عليه وجهاً.

**ب:** ولم ترخ عليه شعراً.

**ج:** لم تتاد بالويل.

**د:** لم تقم عليه نائحة..

فما معنى الاستدلال بهذه الرواية؟!

**ثانياً:** لا معنى لاستيحاء هذا البعض من هذه الوصية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد لفاطمة أن تبتعد عن مظاهر الحزن الشديد..

فإن الوصية قد ذكرت أموراً محددة أمرها بالابتعاد عنها، وكل ما عدا ذلك مما جاء به هذا البعض فهو رجم بالغيب، ومخالف لإطلاق النص.

**ثالثاً:** إن هذه الوصية - لو صحت سنداً - فإنما هي تاريخ وهي خبر واحد، لا يفيد اليقين الذي يشترطه هذا البعض في غير الأحكام..

**رابعاً:** إن الوصية قد ذكرت كلمة «عليّ» ثلاث مرات. فالنهي

إنما هو عن ممارسة هذه الأمور بعنوان كونها عليه كشخص، لا مطلقاً حتى ولو كان الحزن على الإسلام، وعلى الأمة..

**خامساً:** إن حزن يعقوب.. الذي بلغ إلى درجة أنه قد عمي بسببه خير شاهد على مشروعية هذا المستوى من الحزن، إذا كان على الرسالة والرسول.

١٥ - وأما بالنسبة لأمرها نساء بني هاشم اللواتي جنن يساعدها بالاختصار على الدعاء كما يستدل به هذا البعض فيرد على الاستدلال به:

**أولاً:** أنه لا يفيد اليقين الذي يشترطه هذا البعض - حتى لو فرض أن سنده صحيح.

**ثانياً:** أنهن جنن ليساعدها على النواح على أبيها كشخص، وأين بكاؤهن من بكائها هي الذي كان بكاء على الرسالة؟! وقد أشار علي «عليه السلام» إلى أن هدفهن كان البكاء على الشخص، فقال: مروا أهاليكم بالقول الحسن عند موتاكم، فإن فاطمة الخ..

**ثالثاً:** إن هذا الذي يفعله في بكائهن هو أحد مفردات الوصية التي تحدثنا عنها آنفاً، فلا مجال لأن تسمح لهن بأكثر من ذلك..

١٦ - وقد ذكر البعض:

«أن إظهار مظلوميتها لا ينحصر بالبكاء، بل يتحقق في خطبتها في المسجد، وفي أحاديثها مع الناس. وفي حديثها مع الشيخين حين جاءا ليسترضياها».



## ونقول:

**ألف:** إن عدم انحصاره بالبكاء لا يعني أن لا تلجأ إلى البكاء، باعتبار الوسيلة الأشد تأثيراً..

**ب:** إن استعمالها للبكاء لا يعني إلغاء غيره من الوسائل، فهي تستعمل كل وسيلة ممكنة من أجل الدفاع عن الحق والدين..

**ج:** إن إتمام الحجة إذا تحقق، فإن الكلام يكون قد استنفذ أثره. أو كاد.. وإذا كان الجميع يعلم بما جرى، فإن إدراك عمق الجرح وإدراك استمرار حالة الألم والمرارة في نفس وقلب بضعة المصطفى «صلى الله عليه وآله»، هو الذي يحرك معرفتهم بما جرى لتزحف نحو أحاسيسهم ومشاعرهم، وتثيرها. لتتجسد موقفاً رسالياً صلباً، في الموقع المناسب..

وهذا بالذات هو ما كانت السلطة تخشاه، وتحاذر منه، وتعمل على التخلص منه، فكان أن أخرجتها من بيتها، ومنعتها من البكاء.

١٧ - إن تكذيب هذا البعض حقيقة أن يكون حزنها على الرسالة، استناداً إلى أنها هي نفسها قد صرحت: بأن بكاءها كان لأجل الرسول، لا لأجل الرسالة..

## غريب وعجيب..

**فأولاً:** إن البكاء على الرسول بكاء على الرسالة، وإعلام للناس بأن ما أصاب الرسالة قد كان حين فقده. ولو أنه كان موجوداً فلن يجرؤ أحد على القيام بأي شيء مما قاموا به ضدها وضد علي «عليه

السلام» من أجل اغتصاب الحق.

**وثانياً:** هل ثبت له أنها قالت ذلك بطريقة أفادته اليقين والعلم بصدور ذلك منها، وفقاً لشروطه هو في أمثال هذه الموارد؟!!

**ثالثاً:** إن من يراجع ما جرى عليها يجد: أنها كانت تستتجد بأبيها، وتلهج باسمه في أشد الحالات، وفي أحلك الظروف التي تواجهها.. ولعل بعض ما تهدف إليه من ذلك هو أن يتذكروا أقواله لها وفيها، وأن يعرفوا حجم الجريمة التي يرتكبونها، لأنها في كل أبعادها ومختلف مظاهرها تستهدف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهي عدوان صريح عليه هو قبل أن تكون عدواناً عليها، ولأجل ذلك نجد أنها كانت في الأزمات تنادى أباه، ولا تنادي علياً.

فحين وجأ عمر جنبيها نادت: وا أبتاه.

وحين ضرب ذراعها نادت: «يا رسول الله لبئس ما خلفك به الخ..»

وفي نص آخر صاحت: يا أبتاه..

وحين دخلوا عليها بغير إذن، وما عليها خمار نادت بنفس هذا النداء..» .

وحين ضربها على خدها حتى بدا قرطاهها تحت خمارها وهي تجهر بالبكاء وتقول:

(١) راجع: بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٩٩ و ج ٤٣ ص ١٩٧.

«واأبتاه، وا رسول الله، ابنتك تكذب وتضرب، ويقتل جنين في  
(١) بطنها» .

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: «كأنني بفاطمة بنتي، وقد  
ظلمت بعدي، وهي تنادي يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي» .

وأنشدت مخاطبة أباها:

قد كان بعدك أنباء وهنبئة      لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب  
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها      واختل قومك فاشهدهم ولا  
تغب

وأنشدت أيضاً:

ضافت عليّ بلالٍ بعدما رحب      وسيم سبطاك خسفاً  
(٢) فيه لي نصب

١٨ - ان هذا البعض قد ذكر:

«أن بكاء السجاد «عليه السلام» كان إظهاراً لمظلومية أبيه  
الإمام الحسين «عليه السلام»، لكي يتذكر الناس الواقعة، ويدفعهم إلى  
الثورة على بني أمية..».

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٥٦ عن المفيد.

(٣) راجع: بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٩٦ والبيتان الأولان عن الكافي والبيت  
الأخير عن مناقب آل أبي طالب.

وهذا هو عين ما نقوله عن بكاء الزهراء، فإنه كان إظهاراً لمظلوميتها التي تمثل عدواناً على رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكي يتذكر الناس الواقعة، ويدفعهم ذلك إلى الثورة على من فعل ذلك..  
١٩ - ونقول أخيراً:

إنه قد أصاب حين قال: إن حزن فاطمة الذي منعت منه «كان حزناً إسلامياً.. لم يكن جزءاً، ولا ابتعاداً عن خط التوازن».  
**لكنه أخطأ حين قال:**

«إن الرواية التي يمكن الوثوق بها في هذا المقام هي التي تقول: إنها كانت تخرج في الأسبوع مرة، أو مرتين إلى قبر النبي «صلى الله عليه وآله»، وتأخذ معها ولديها الحسن والحسين، وتبكيه هناك، وتذكر كيف كان يخطب هنا، وكيف كان يصلي هناك، وكيف كان يعظ الناس هنالك».

**إذ يرد عليه:**

**أولاً:** إننا فيما تتبعناه من روايات لم نجد ما ذكره في أي مصدر من المصادر، إلا ما رواه الكليني: من أنها «عاشت بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» خمسة وسبعين يوماً لم تُرَ كاشرة، ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل أسبوع مرتين: الاثنين والخميس، فنقول: ها هنا كان رسول الله، وها هنا كان المشركون» .

وهذه الرواية تختلف كثيراً عما ذكره، واعتبره الرواية التي يمكن الوثوق بها، فمن أوجه الاختلاف بينهما:

**ألف:** ليس فيها هذا التردد: مرة أو مرتين.

**ب:** ليس فيها: أنها تأخذ معها الحسن والحسين.

**ج:** ليس فيها: أنها تبكي رسول الله هناك.

**د:** ليس فيها: أنها تتذكر: كيف كان يخطب، وكيف كان يصلي، وكيف كان يعظ الناس.

**هـ:** ليس فيها: أنها كانت تخرج إلى قبر النبي «صلى الله عليه وآله».

فمن أين أتت هذه المعلومات، وفي أي خبر قرأها، وفي أي كتاب.. لا ندري!! نعم، لا ندري!!.

**ثانياً:** إن بيت الزهراء كان في المسجد، وقد دفن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفس ذلك البيت..

**فما معنى قوله في روايته:**

«إنها كانت تخرج، وتأتي قبره، وتأخذ معها ولديها الحسن والحسين.. وتبكيه (هناك)؟!!

**ثالثاً:** إن هذا الخبر الذي اعتبره موثقاً.. وفيه كل هذه التفاصيل كيف ثبتت له وثاقته.. وهل هو - لو صح - إلا خبر واحد لا يفيد أكثر

من الظن.. وهو يشترط اليقين والقطع في الاخبار التاريخية وغيرها، باستثناء الاحكام الشرعية.

**وقد قلنا:** إن هذا الإشتراط معناه إسقاط ما لدى هذا البعض من معلومات تاريخية وعقائدية وكونيات ووو الخ.. إسقاطها - عن الاعتبار، وليصبح من ثم عاجزاً عن إثبات أكثر القضايا، والأحداث والمعارف الإيمانية.. بل إن ذلك يجعله عاجزاً عن الحديث وعن الخطابة التي يشرح فيها للناس تاريخ الإسلام وحقائقه وما إلى ذلك.

## الفصل السابع

وعصمتها أيضاً؟!!!





## بداية:

لم تقتصر مقولات هذا البعض على التشكيك والنفي لما جرى على سيدة النساء فاطمة الزهراء «عليها السلام» من مصائب وبلايا بعد أبيها المصطفى «صلى الله عليه وآله» ، بل طالت حتى مقامها ومكانتها الدينية ومنزلتها عند الله تعالى، فهي هو بعد كل ما تقدم من تشكيك ونفي يتعرض لكلام حول عصمتها «عليها السلام» بما لا يمكن أن ينسجم مع ما هو المعروف من مذهب الإمامية قاطبة «رضوان الله تعالى عليهم» في مكانتها ومنزلتها عند الله تعالى وعصمتها، والنماذج التالية من كلمات البعض سوف تظهر هذا الأمر بجلاء ووضوح، فإلى بعض من تلك العبارات، ومن الله السداد والتوفيق.

٧٣٦ - تكذيب السيدة الزهراء في تفسير آيات الإرث.

٧٣٧ - سليمان يرث أباه في امتداد حركة النبوة فيأخذ موقعه.

٧٣٨ - وراثة سليمان لداود لا بمعنى الإرث المادي.

**يقول البعض:**

(١) (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) كما يرث الابن أباه، في ملكه وماله، وكما يرث الأشخاص الموقع والدرجة وكما يرث الأنبياء الرسالة ممن تقدمهم، لا بمعنى الإرث المادي لأن الله هو الذي يعطي الرسالة والموقع والدرجة العليا، للمتأخر من الأنبياء، وليس هو النبي المتقدم، بل بمعنى الامتداد الذي يجعل من كل واحد مرحلة متصلة بالمرحلة السابقة فيما هو امتداد حركة النبوة في الحياة وهكذا أخذ سليمان موقع أبيه.. وأراد أن يعلن القوة التي يملكها في مواقع المعرفة، ليعرف الناس من قوته الجانب الذي يربطهم به ليزدادوا التصاقا بشخصيته (٢) واتباعا لرسالته .

### ونقول:

سيأتي الحديث عن ذلك في تعليقنا على الفقرة التالية.

٧٣٩ - المال ليس هو المشكلة المعقدة لدى زكريا في من يملكه بعد موته.

٧٤٠ - يرثني ويرث من آل يعقوب، ليكون امتدادا لخط الرسالة.

٧٤١ - ليس المقصود بالآية هو ارث المال.

٧٤٢ - المال ليس هو الأساس في الإرث في تفكير زكريا.

٧٤٣ - زكريا يريد من يرث موقعه (أي بالنسبة إلى الرسالة).

(١) الآية ١٦ من سورة النمل.

(٢) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ١٧ ص ٢١٧ .

## يقول البعض:

«... (وَكَاثَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا) مما يجعل المسألة صعبة أو مستحيلة على مستوى الوضع الطبيعي - فأراد<sup>(١)</sup> أن يلتمس لنفسه الأمل من خلال قدرة الله (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا) فيما تعنيه الكلمة من الشخص الذي يلي أمر الإنسان فيعينه في حياته، ويخلفه بعد موته، وربما كان في التعبير بكلمة (مِنْ لَدُنْكَ) ما قد يوحي بأن المسألة لا تتصل بالحالة الطبيعية للسبب، بل بالحالة الغيبية التي لا سبب فيها إلا للقدرة الإلهية المباشرة (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ)<sup>(٢)</sup> ليكون امتداداً للخط الرسالي الذي يدعو إلى الله، ويعمل له، ويجاهد في سبيله، ولتستمر به الرسالة في روحه وفكره وعمله.

## ما هو المراد بالإرث؟!

وقد أثيرت في هذه الفقرة مسألة إرث المال، وهل هو المقصود بكلمة الإرث؟! أو أن المقصود به إرث العلم والرسالة؟! لأن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، بل ورثوا شيئاً من علومهم.. وربما اتصل هذا الحدث بمسألة إرث السيدة العظيمة فاطمة الزهراء فدكاً من أبيها محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومدى صحة الحديث الذي واجهها به أبو بكر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نحن

(١) الآية ٥ من سورة مريم.

(٢) الآية ٦ من سورة مريم.

معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة». وغير ذلك من التفاصيل. وقد أشرنا - فيما تقدمنا من حديث -: أن المال لم يكن هو الأساس في الإرث في تفكير زكريا، لا من جهة أن الأنبياء لا يورثون، بل لأن المال لم يكن في مستوى المشكلة المعقدة لديه، فيمن يملكه بعده موته.. وذلك انطلاقاً من خلو الساحة من بعده، من شخص يحمل (١) الرسالة مما يجعل القضية في دائرة الخطورة فيما يتطلع أبوه زكريا من مستقبل الرسالة، لأن الذين يأتون من بعده ويرثون موقعه، ليسوا في مستوى المسؤولية لترك الأمر لهم فيما يقومون به في حركة الواقع.. ولعل الحديث عن إرث آل يعقوب، الذي هو خط الرسالة يؤكد هذا المعنى، والله العالم» .

### وقفة قصيرة:

### ونقول:

لقد احتجت السيدة الزهراء (عليها السلام) على أبي بكر بقوله تعالى: (وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) ، كما استدلت بهذه الآية بالذات في قضية فدك على اعتبار أنهما تتحدثان عن إرث المال. وهذا البعض - كما ترى - يذهب إلى أن المراد بهذه الآية وتلك هو إرث النبوة فقط،

(١) الظاهر أن الصحيح : إليه .

(٢) من وحي القرآن ج ١٥ ص ١٤ و ١٥ .

(٣) الآية ١٦ من سورة النمل.

من دون نظرٍ إلى إرث المال!!

ومما قالته السيدة الزهراء «صلوات الله وسلامه عليها» في احتجاجها على أبي بكر:

«..يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً..

أفعلى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) (١).

وقال - فيما اقتصّ من خبر زكريا - إذ قال: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) (٢).

وقال: (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) (٣).

وقال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ) (٤).

وقال: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) (٥).

وزعمتم: أن لا حظوة لي، ولا أرث من أبي. افخصكم الله بآية

(١) الآية ١٦ من سورة النمل.

(٢) الآيتان ٥ و ٦ من سورة مريم.

(٣) الآية ٦ من سورة الأحزاب.

(٤) الآية ١١ من سورة النساء.

(٥) الآية ١٨٠ من سورة البقرة.

أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إنَّ أهل ملتين لا يتوارثان؟! أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟!

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي، وابن عمي؟!  
(١) فدونها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك الخ..» .

ومما قالتها «صلوات الله عليها» أيضاً: في احتجاجها عليهم في المسجد: «سبحان الله، ما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن كتاب الله صادفاً ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره. أفجتمعون إلى الغدر، اعتلاؤاً عليه بالزور؟! وهذا بعد وفاته شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته.

هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) و (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) .

فبين عز وجل فيما وزَّع عليه من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح علة المبطلين،

(١) راجع: بغداد لطيفور ص ١٢ - ١٩ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٥٢ و ٢٤٩ و ٢١٠ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٤٧٩ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢٢٧ وأعلام النساء ج ٤ ص ١١٦ ودلائل الإمامة ص ٣٠ - ٣٩ والإحتجاج ج ١ ص ٢٦٨ وكتاب الشافي للسيد المرتضي ج ٤ ص ٧٥ .

(٢) الآية ٦ من سورة مريم.

(٣) الآية ١٦ من سورة النمل.

وأزال التظني والشبهات في الغابرين؛ كلا، (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ  
أَمْرًا فُصِّيرَ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (١) «.

ومن الواضح: أن هذا البعض قد سجل رأييه هذا وهو على علم  
تام بموقف الزهراء «عليها السلام» من هذا الموضوع، كما هو  
صريح من كلماته المنقولة عنه آنفاً. بل هو يصرح بتوازن مضمون  
خطبة الزهراء «عليها السلام» وبصحتها والالتزام بها، فهو يقول:

«الظاهر: أن اهل البيت «عليهم السلام» كانوا يتناقلونها كابراً  
عن كابر، بحيث كانت معروفة حتى عند صبيانهم؛ مما يدل على أنها  
من المسلمات عندنا. أما من ناحية المتن، فالظاهر أنها متناسبة مع  
التوازن الفكري في المضمون» (٢).

ولكنه - مع ذلك كله - يتبنى الموقف الآخر، ثم يستدل له بما  
رأينا، ثم يضيف إلى ذلك قوله: لعل الحديث عن إرث آل يعقوب،  
الذي هو خط الرسالة يؤكد هذا المعنى.

فأقرأ واعجب، فما عشت أراك الدهر عجباً.

٧٤٤ - لا خصوصيات غير عادية في شخصية الزهراء «عليها  
السلام».

٧٤٥ - لا توجد عناصر غيبية تخرج الزهراء «عليها السلام»

(١) الآية ١٨ من سورة يوسف.

(٢) الندوة ج ١ ص ٤٢٩ .

عن مستوى المرأة العادي.

٧٤٦ - «الروح» لطف وجّه مريم «عليها السلام» عمليا وثبتها روحياً.

٧٤٧ - «الروح» لا يمثل حالة غيبية في الذات.

٧٤٨ - نقاط الضعف الإنساني في شخصية مريم «عليها السلام».

### يقول ذلك البعض:

«نلاحظ، في المقارنة بين الرجل والمرأة اللذين يعيشان في ظروف ثقافية واجتماعية وسياسية متشابهة، أنه من الصعب التمييز بينهما؛ إذ ليس من الضروري أن يكون وعي الرجل للمسألة الثقافية والاجتماعية والسياسية أكثر من وعي المرأة لها، بل قد نجد نماذج متعدّدة لتفوّق المرأة على الرجل في سعة النظرة، ودقّة الفكر، وعمق الوعي، ووضوح الرؤية، وذلك من خلال ملاحظة بعض العناصر الداخلية أو الخارجية المميّزة لها بشكل خاص. وهذا ما نلاحظه في بعض التجارب التاريخية التي عاشت فيها بعض النساء في ظروف متوازنة من خلال الظروف الملائمة لنشأتها العقلية والثقافية والاجتماعية. فقد استطاعت أن تؤكد موقعها الفاعل ومواقفها الثابتة المرتكزة إلى قاعدة الفكر والإيمان، وهذا ما حدّثنا الله عنه في شخصية مريم، وامرأة فرعون، وما حدّثنا التاريخ عنه في شخصية خديجة الكبرى (رض) وفاطمة الزهراء «عليها السلام» والسيدة



زينب ابنة علي «عليه السلام».

إن المواقف التي تمثلت، في حياة هؤلاء النسوة العظيمات، تؤكد الوعي الكامل المنفتح على القضايا الكبرى التي ملأت حياتهن على مستوى حركة القوة في الوعي والمسؤولية والمواجهة للتحديات المحيطة بهن في الساحة العامة.. وقد لا يملك الإنسان أن يفرّق بأيّة ميزة عقلية، أو إيمانية، في القضايا المشتركة بينهن وبين الرجال الذين عاشوا في مرحلتهم.

وإذا كان بعض الناس يتحدّث عن بعض الخصوصيات غير العادية في شخصيات هؤلاء النساء، فإننا لا نجد هناك خصوصية إلا الظروف الطبيعية التي كفلت لهن إمكانيات النمو الروحي والعقلي والالتزام العملي بالمستوى الذي تتوازن فيه عناصر الشخصية بشكل طبيعي في مسألة النمو الذاتي. ولا نستطيع إطلاق الحديث المسؤول القائل بوجود عناصر غيبية مميزة تخرجهن عن مستوى المرأة العادي، لأن ذلك لا يخضع لأي إثبات قطعي، مع ملاحظة أن الله، سبحانه وتعالى، تحدّث عن اصطفاء إحدى النساء، وهي مريم، «عليها السلام»، من خلال الروحانية التي تميّزها والسلوك المستقيم في طاعتها لله. وهذا واضح في ما قصّه الله من ملامح شخصيتها، عندما كفلها زكريّا، وعندما واجهت الموقف الصعب في حملها لعيسى «عليه السلام»، وفي ولادتها له.

وإذا كان الله قد وجهها من خلال الروح الذي أرسله إليها فإن

ذلك لا يمثل حالة غيبية في الذات بل يمثل لطفاً إلهياً في التوجيه العملي والتثبيت الروحي، على أساس ممارستها الطبيعية للموقف في هذا الخط من خلال عناصرها الشخصية الإنسانية التي كانت تعاني من نقاط الضعف الإنساني في داخلها، تماماً كما هي المسألة في الرجل في الحالات المماثلة.. وهذا يعني أننا لا نجد فرقاً بين الرجل والمرأة عند تعرض أيٍّ منهما للتجربة القاسية في الموقف الذي يرفضه المجتمع من دون أن يملك فيه أي عذر معقول؛ الأمر الذي يخرج فيه الموقف عن القائمة المتمثلة فيه من حيث القيمة الاجتماعية السلبية في دائرة الانحراف الأخلاقي»<sup>(١)</sup>.

وحين أثير النقد القوي ضد هذا التصريح الذي يشمل فاطمة ومريم «عليهما السلام» وغيرهما، وكتب المرجع الديني الشيخ التبريزي حكمه القاطع ببطلان هذا القول، وقال: «ما يكتب وينشر في إنكار خصوصية خلقها وظلامتها، فهو داخل في كتب الضلال».

### أجابه ذلك البعض بقوله:

«إن المقصود من الظروف الطبيعية التي كفلت النمو الروحي والعقلي للسيدة الزهراء «عليها السلام» وغيرها من النساء الجليات

(١) تأملات إسلامية حول المرأة (ط سنة ١٤١٣ هـ) ص ٨ - ٩.

(٢) الجواب الخامس من الاستفتاءات المقدمة للتبريزي حول مقولات البعض، كما كتب ما يشبه ذلك كل من آية الله الشيخ بهجت وآية الله الشيخ فاضل اللنكراني.

هو مثل تربية النبي «صلى الله عليه وآله» للزهراء «عليها السلام» وتربية زكريا لمريم «عليها السلام».

أما المقصود من عدم وجود عناصر غيبية، فهو أن أخلاقياتها، وعناصر العظمة فيها كانت باختيارها، ولم تكن حاصلة من أمر غيبي غير اختياري.

ولا ينافي ذلك حصول بعض الكرامات لها، وهي ما زالت جنينا في بطن أمّها، أو بنزول الملك عليها. ثم إننا ذكرنا في ختام الحديث الذي ذكره السائل: أن الله أعطى هؤلاء النساء - وكان الحديث عن مريم - لطفاً منه، بحيث يرتفع بهن إلى الدرجات العليا. وهذا هو معنى «العصمة»<sup>(١)</sup>، ولكن السائل حذف ذلك، واقتطع من النص ما يناسب سؤاله» .

### ونقول:

١ - إن هذا الاعتذار من البعض لا يتلاءم مع قوله: لا نستطيع إطلاق الحديث المسؤول القائل بوجود عناصر غيبية مميزة تخرجهن عن مستوى المرأة العادي.

إذ إن حصول بعض الكرامات لها وهي ما زالت جنينا في بطن أمّها، وكذلك كونها نوراً، وكونها حوراء إنسية، وكونها لا تبتلئ

---

(١) أجوبة ذلك البعض على المرجع الديني الشيخ التبريزي، الجواب الخامس

بالطمث، وكونها قد ولدت من ثمرة الجنة، ونزول الملك ليحدثها، وكذلك مريم، التي كانت (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) <sup>(١)</sup> ، وغير ذلك أمور غيبية وميزات وكرامات لا تتلاءم مع القول بأنها: لم تخرج عن مستوى المرأة العادي.

٢ - وأما ما ذكره من أنه قد ذكر في الفقرة الأولى: أن الله أعطى مريم لطفاً منه بحيث يرتفع بها إلى الدرجات العليا.. وهذا هو معنى العصمة.. وأن السائل قد حذف ذلك، واقتطع من النص ما يناسب سؤاله..

أما هذا الذي ذكره.. فلا يصلح الإعتماد عليه، لأن الفقرة التي تحدثت عن مريم ليس فيها: أن الله أعطاه لطفاً منه يرتفع بها إلى الدرجات العليا.. بل فيها ما يظهر منه النفي لهذا الأمر؛ لأنها قد ذكرت: أن الله وجهها بواسطة الملك «الروح» الذي أرسله إليها - وجهها - كيف تتصرف وثبتتها حين واجهت المشكلة فيما يرتبط بولادتها عيسى «عليه السلام»، أي أن الملك قد ثبتها وعلمها كيف تمارس الموقف بصورة طبيعية لتخرج من المأزق الذي وجدت نفسها فيه..

---

(١) الآية ٣٧ من سورة آل عمران.

فأراد لها أن تتصرف بصورة طبيعية من خلال عناصرها الشخصية الإنسانية التي كانت تعاني من نقاط الضعف الإنساني في داخلها.

٣ - إذن قد أصبح واضحاً: أن وجود ملك يرشد مريم «عليها السلام»، ويثبتها في أزماتها لا ربط له بعصمتها وإن كانت العصمة لطفاً - على بعض الأقوال - كما لا يعني أن غيرها من النساء اللواتي ذكرهن قد كان لهن ملك يرشدهن ويثبتهن.

٤ - إن هذا الاعتذار لو صح، فإن على هذا البعض أن يلتزم بوجود ملك يرشد ويثبت زينب ابنة علي «عليه السلام» وكذلك سائر النساء اللواتي ذكرهن في حديثه في الكلام المذكور آنفاً.

٥ - وأخيراً.. فإن تربية النبي «صلى الله عليه وآله» للزهراء «عليها السلام»، وزكريا لمريم «عليهما السلام»، لا يصح الاعتماد عليه في إعطاء الضابطة التي نشأ عنها استبعاد الحديث المسؤول القائل بوجود عناصر غيبية مميزة تخرجهن عن مستوى المرأة العادي، على حدّ تعبير ذلك البعض.

إذ إن ذلك لا يشمل خديجة بنت خويلد، ولا آسية بنت مزاحم، إلّا إذا قيل أن أبويهما كانا من الأنبياء، أو الأوصياء أيضاً.. ولو سلمنا ذلك بالنسبة لآسية، ولم نناقش في الرواية التي تحدثت عن ذلك، فلا شك في أن خويلداً لم يكن نبياً ولا وصياً.. كما هو معلوم..

## كلمة أخيرة:

وأخيراً.. فقد انتهى تعداد مقولات هذا البعض في شأن سيدة النساء «عليها السلام» إلى هذا العدد الكبير وقد حاولوا عن طريق التلفيق والتزوير، والإفتراء على العلماء ان يجيبوا على عدد يسير جداً جداً منها، مع الإبتعاد قدر إمكانهم عن الموارد الأكثر شناعة، وصراحة، وحساسية. ومع الانتقال للقارىء الكريم من البحث حول النقاط التي اثرتها إلى نقاط لم نشر إليها، أو لم نهتم بالحديث عنها.

ومع ذلك فقد حمدنا الله وشكرناه على أن هذا البعض الذي ما فتئ يتهمنا بالافتراء عليه، وبتقطيع كلامه، وبأننا لا نفهم كلامه، وبأننا.. وبأننا.. وبأننا.. قد أعلن على الملأ تأييده لكتاب يدافع عنه، بهذه الطريقة المشار إليها.. حيث إنه في هذا الكتاب أصبح يعترف: بأن هذه هي مقولاته..

وبأننا قد فهمناها بصورة سليمة.

وبأنها غير مقطعة..

ولكن هروبهم من الإشكال أصبح يتمثل في محاولات التخيل للقارىء الكريم بأن العلماء كلهم أو جلهم، أو طائفة منهم يذهبون إلى نفس هذه المقولات. فكان أن ألجأهم ذلك إلى أن زوروا، وكذبوا، وحرفوا كلام العلماء ليتوافق مع مقولات هذا البعض.

فنحن إذ نشكرهم على اعترافهم الصريح هذا، فإننا نأسف

لأمرين:

**أحدهما:** أن همهم قد انصرف لاثبات مقولات تطعن في الأنبياء والأوصياء، وفي مقاماتهم، وفي عصمتهم. وتصغر من شأنهم، وتحط من قدرهم. وتشكك في فضائلهم. إلى جانبها مقولات تستهدف حقائق الدين، وعقائده، وتاريخه، ومناهجه، وشعائره، ورموزه.. وو.. وبالانتقاص، وبالتشكيك، وبالطعن، وبغير ذلك مما تضمنته كل تلك المقولات..

**الثاني:** إننا نأسف لتناولهم على علماء الأمة، وخيانتهم لهم، وذلك بتحريف كلامهم، وبنسبة أمور مكنوبة عليهم، وبغير ذلك من أمور..

**ولا يفوتنا أخيراً..** أن نسجل إدانة للحالة التي تساعد على ممارسة هذا الأسلوب من التجني على الحق، وعلى الحقيقة، وعلى أهل الحق.. وهي حالة الإنسان المسلم، الذي يتعامل مع هذه القضية بسلامة نية، وحسن طوية تصل إلى درجة التغافل؛ فلا يراجع، ولا يقارن، ولا يتعامل مع هذا الأمر بإنصاف، بل يتعامل معه ببساطة وبانفعال. وتغره شعارات براءة ولا يفكر باختبار تلك الشعارات، وبأحجام تبهره، ولا يتلمس تلك الأحجام، ليتعرف على مواقع الانتفاخ، الكاذب، ليميزها عن مواقع الصلابة المستندة إلى واقع ثابت وقائم وقوي وحصيف..

نسأل الله سبحانه أن يوفق القارئ الكريم لكل خير وسداد، وصلاح ورشاد، إنه ولي قدير، وبالإجابة حري وجدير.

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين  
٢٨ شهر رجب ١٣٢١ هـ. جعفر مرتضى الحسيني العاملي..



## القسم الثالث

### الآيات النازلة في أهل البيت ٨

---

## بداية:

إننا نذكر في هذا القسم، العديد من الموارد التي تظهر كيف يحاول البعض التشكيك في نزول الآيات في أهل البيت «عليهم السلام»، رغم أن العدو يروي ويعترف، فضلاً عن الصديق، بنزولها فيهم «عليهم السلام».

هذا عدا عن أنه في العشرات من الآيات الكريمة يتجاهل حتى الإشارة إلى أن نزولها في أهل البيت مروي عند السنة والشيعة فيمر عليها بدون أدنى اعتناء بذلك.. رغم إظهاره اهتماماً ظاهراً بتسطير ما يقوله الآخرون عن نزول آيات في من عداهم، مع انصرافه عن التصدي للتأييد أو للتنفيذ، الأمر الذي يختزن معنى القبول، والتسليم.

وقد تحدث أخوة اعزاء عن إنكاره نزول آيات كثيرة في أهل البيت «عليهم السلام» مثل نزول آية: (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (١) .. في علي «عليه السلام» وغيرها، فلم نتعرض لها مما ذكرنا هنا بعضاً آخر من تلك الموارد التي يحاول فيها التشكيك في نزول آيات

---

(١) الآية ٤٣ من سورة الرعد.

كريمة في أهل البيت «صلوات الله وسلامه عليهم»..

### فنقول:

٧٤٩ - التشكيك بروايات أن في القرآن حديثاً عن أهل البيت وأعدائهم.

٧٥٠ - هذه الأحاديث تبعد القرآن عن كونه الكتاب المبين.

٧٥١ - الأحاديث المذكورة جو خاص يضرّ بحجية القرآن.

٧٥٢ - أجواء الروايات الخاصة تجعله لا يمنح الوعي الفكري.

٧٥٣ - هذا الجو الخاص للقرآن جعله لا يمنح الوعي الشرعي.

٧٥٤ - هذا الجو الخاص للقرآن يجعله لا يمنح الوعي الروحي.

٧٥٥ - هذا الجو الخاص للقرآن يضر بفهمهم له حسب القواعد التي تركز الطريقة العامة للفهم العام.

### يقول البعض:

«هذه أسئلة توقف عندها الكثيرون في حركة التفسير، وأثاروا الكثير من الجدل حولها، حتى خيل للبعض أن القرآن كتاب رمزي لا يعلمه إلا الفئة التي جعل الله لها الميزة في فهم وحيه، فأنكروا حجية ظواهره إلا بالرجوع الى أئمة أهل البيت «عليهم السلام»، وانطلق البعض ليتحدث عن تعدد المعاني للكلمة الواحدة بطريقة عرضية أو طولية، واستفاد آخرون من الروايات أن القرآن، في مجمل آياته، حديث عن أهل البيت بطريقة إيجابية، وعن أعدائهم بطريقة سلبية، ليبقى للأحكام وللقضايا العامة وللقصص المتنوعة مقدار معين..

وهكذا كان التصور العام للقرآن خاضعاً للأجواء الخاصة التي تبعد به عن أن يكون الكتاب المبين الذي أنزله الله على الناس ليكون حجة عليهم، من خلال آياته الواضحة التي تمنحهم الوعي الفكري والروحي والشرعي، على أساس ما يفهمونه منها، بحسب القواعد التي تركز الطريقة العامة للفهم العام» .

### وقفه قصيرة:

### ونقول:

إننا نسجل هنا ما يلي:

١ - أنظر كيف يورد الكلام حول أمور وردت في الأحاديث الشريفة، عن المعصومين «عليهم الصلاة والسلام» بطريقة تظهر سخفها وسقوطها.. موحياً بأن الناس هم الذين استفادوا ذلك من الروايات الصحيحة.. أو المعتبرة، مثل ما روي بسند معتبر عن الإمام الجواد «عليه السلام»، قال: «نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام» .

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية دار الملاك) ج ١ ص ٦.

(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٢١ والكافي ج ٢ ص ٤٥٩ وتفسير الصافي ج ١ ص ٢٤ ومصابيح الأنوار ج ٢ ص ٢٩٤ وعدة رسائل للمفيد (المسائل السروية) ص ٢٢٥ وتفسير العياشي ج ١ ص ٩ وفي هامشه عن بحار

(١) وقريب منه روي عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» أيضاً .  
 (٢) وعن النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً .  
 وعن أبي جعفر «عليه السلام»: «يا خيثمة نزل القرآن ثلاثاً: ثلث فينا وفي أحبائنا، وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا، وثلث سنة ومثل الخ..» .  
 وثمة روايات أخرى عن الأصمغ بن نباتة عن أمير المؤمنين «عليه السلام» فراجع .  
 ولعل الفرق بين الثلث والربع قد نشأ من ملاحظة أن ربع آيات القرآن قد نزل فيهم حقيقة..  
 أما الرواية التي حددت الثلث فقد لاحظت بالإضافة الى ما نزل فيهم «عليهم السلام» ما كان عاماً لكنهم «عليهم السلام» كانوا أبرز وأجلى، وأفضل مصاديقه، فصار المجموع ثلث القرآن.  
 ٢ - وما الذي يمنع من صحة هذه الأحاديث، فإن أهل البيت

الأنوار ج ١٩ ص ٣٠.

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٢١.

(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٢١.

(٣) تفسير البرهان ج ١ ص ٢١.

(٤) تفسير البرهان ج ١ ص ٢١ والكافي ج ٢ ص ٤٥٩ ومصابيح الأنوار ج ٢

ص ٢٩٥ وتفسير العياشي ج ١ ص ٩ وعن بحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٠

وعن تفسير الصافي ج ١ ص ٢٤.

«عليهم السلام» هم مثال الإنسان الإلهي المؤمن، الجامع لكل صفات الخير، والكمال، والذي هو محل الكرامة الإلهية..

وعدوهم «عليهم السلام».. هو على النقيض من ذلك، فكل ما ورد من أحاديث تلامس هذا النوع من الناس أو ذاك فهو حديث عنهم، وعن عدوهم، سواء أكان حديثاً عن الماضي، أو عن الحاضر أو عن المستقبل..

ولا ضير بعد هذا في أن يكون ما بقي، سنناً وأمثالاً، وفرائض، وأحكاماً.

٣ - لا ندري كيف تتسبب هذه الأحاديث في إبعاد القرآن عن أن يكون كتاباً مبيناً؟!.

وهل إن الأخذ بهذه الأحاديث، واعتبار أهل البيت «عليهم السلام»، وأعدائهم أجلى مصاديق دينك الصنفين من الآيات يسقطه عن الحجية على الناس؟!.

ولماذا كان خضوع القرآن لهذا الجو الخاص - يجعله غير قادر على أن يمنح الوعي الفكري، والروحي، والشرعي - على حد تعبير هذا البعض - الذي اختار أن يطبق كلامه هذا على آية: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) <sup>(١)</sup>. وما شابهها من آيات نزلت في أهل البيت «عليهم السلام»؟!.

---

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

وكيف ينشأ عن الأخذ بهذه الروايات التغيير فيما يفهمونه من آياته، بحسب القواعد التي تركز الطريقة العامة للفهم العام؟!!

٤ - إن كل هذا الكلام الذي ساقه هذا البعض مجرد تهاويل لا أساس لها.. فإنه لا شك في أن هناك مناسبات اقتضت نزول كثير من الآيات في الحروب، وفي الأشخاص، وفي الأحداث.. وغير ذلك.. ولم يضر ذلك بالفهم العام للآيات وفق القواعد التي تركز الطريقة العامة للفهم العام.

**إذ لا فرق بين أن يقال: إن الآيات قد نزلت لمعالجة هذه الحادثة أو تلك، وبين أن يقال إنها نزلت في هذا الفريق أو ذاك الفريق..**  
فإذا كان ذاك مضرًا.. فهذا مثله.. وإذا كان غير مضر في فهم القرآن فهذا أيضاً كذلك.

٧٥٦ - وردت عدة روايات في هذا الرأي أو ذاك الرأي. (الظاهر: أن مراده بذاك الرأي هو الخلفاء).

٧٥٧ - لا يقبل بتفسير الأئمة للآية بالإمام المهدي ويتبنى رأي المخالفين.

٧٥٨ - ينسب إلى نهج البلاغة ما ليس في نهج البلاغة.

٧٥٩ - لا بد من إدخال «المرحلة» الأولى للدعوة في مضمون الآية.

(١) إضافة اقتضاها سياق كلامه.



ويقول البعض في تفسير قوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) ما يلي:

«..وقد اختلف المفسرون في تطبيق الآية على الواقع التاريخي أو المستقبلي فيمن هم المقصودون بالذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين وعدهم الله بالإستخلاف.

فهناك من قال: إن المراد بهم أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» الذين كانوا يعيشون الخوف والضغط والاضطهاد من قبل المشركين الذين كانوا يملكون السيطرة المطلقة على المؤمنين، فوعدهم الله أن يجعلهم الخلفاء على الناس من بعدهم، يمكنهم في الأرض ويبدلهم من بعد خوفهم أمناً، وهذا ما حدث في سيطرة النبي «صلى الله عليه وآله» ومن بعده، وسيطرة المسلمين على المنطقة كلها..

وهناك من قال: بأنها تعمّ الأمة كلها فيما أفاء الله عليها من الانتصارات والفتوحات التي جعلتها في مدة طويلة من الزمن، مهيمنة على الامر كله، حتى استطاع الاسلام أن يكون القوة الكبيرة في العالم بحيث شعر المسلمون بالعزة والكرامة والأمن والقوة

## والسيطرة.

وهناك من قال: بأن المراد بها الخلفاء الراشدين، ومن قال بأن المراد المهدي المنتظر، وقد وردت هناك عدة روايات في هذا الرأي أو ذاك الرأي..

وإننا نعتقد أن الآية جاءت من أجل أن تثير في نفوس المسلمين الثقة الكبيرة بالله وبأنفسهم، من خلال ذلك وتكشف لهم الغيب الالهي الذي يتحرك في سنن الله في الكون فيما يمنحهم الله من لطفه وفيما يأخذ به الناس من أسباب النصر، في الدعوة والحركة والجهاد، في كل ما تحتاجه الحياة من عناصر القوة للرسالة وللإنسان.. لئلا يتساقطوا تحت تأثير الضغوط الصعبة الكبيرة التي تطبق عليهم، وتحيط بهم من كل جانب، ولئلا يضعفوا أمام نوازع الضعف الكامنة في شخصياتهم فيما تشدهم الرواسب اليه، وفيما تطبق لديهم الظروف عليه، ليستمروا في التحرك، وليتابعوا المسيرة بقوة وجد وإخلاص..

ولم تكن لتقتصر على مرحلة من المراحل، أو جيل من الأجيال، لأنها تؤكد الموقف على أساس الأحياء برعاية الله للإسلام والمسلمين في امتداد مسيرتهم في خط الحياة الطويل.. ولذلك فمن الممكن تطبيقها على كل مرحلة استطاع الإسلام فيها أن يحكم ويمتد ويهيمن، واستطاع المسلمون أن يعيشوا فيها الطمأنينة والقوة والثبات، وعلى كل مرحلة مستقبلية تتصف بهذا الوصف ولكن.. مهما اختلفت التطبيقات، فلا بد من إدخال الأولى للدعوة التي كان الله يريد

للمسلمين أن لا يخضعوا للاهتزازات التي كانت تتحرك في حياتهم، وللضغوط المحيطة بهم.. ليثبتوا على المبدأ، ويلتزموا بالاسلام.

وقد جاء في نهج البلاغة، كلام لعلي «عليه السلام» لعمر، لما استشاره لانطلاقه لقتال أهل فارس حين تجمعوا للحرب قال «عليه السلام»: إن هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة، وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعزه وأيده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع ونحن على موعود من الله حيث قال عز اسمه: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) ، والله تعالى منجز وعده وناصر جنده.

(٢)

فلننطلق مع وعد الله ليكون عنواناً لكل مسيرتنا» .

**وقفة قصيرة:**

**ونقول:**

إن لنا هنا ملاحظات عدة، نختصر القول فيها على النحو التالي:

١- قوله: «وهناك من قال: بأن المراد بها الخلفاء الراشدين ومن قال بأن المراد المهدي المنتظر (عج). وقد وردت هناك عدة روايات

(١) الآية ٥٥ من سورة النور.

(٢) من وحي القرآن ج ١٦ ص ٣٩٠ - ٣٩٢.

في هذا الرأي..» غير دقيق، وذلك لما يلي:

**ألف:** إن هذا القول ليس دقيقاً، فإنه لم ترد روايات تقول إن المراد بالآية هم الخلفاء الراشدون.

**ب:** إن القول بأن المراد بهذه الآية الامام المهدي (عج) إنما يستند إلى الروايات الكثيرة الواردة عن أهل البيت «عليهم السلام» في هذا الشأن.

**ج:** قال الطبرسي: «وعلى هذا إجماع أهل العترة الطاهرة، وإجماعهم حجة لقول النبي «صلى الله عليه وآله»<sup>(١)</sup>: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله، وعترتي أهل بيتي إلخ..» .

وقال الشيخ الطوسي وهو يرد على الجبائي ومن تابعه: «وقال أهل البيت «عليهم السلام»: إن المراد بذلك المهدي (عج)» .

٢ - إننا لا ندري كيف يتجرأ أحد - مهما بلغ من القوة والشوكة - على أن يقول بمقالةٍ يخالف فيها صراحةً ما ثبت عن أهل البيت «عليهم السلام».

ونجد هذا الرجل لا يلتفت إلى ما ثبت عن أهل البيت هنا ويقول:  
«إن الآية لا تقتصر على مرحلة دون مرحلة بل هي تشمل ما

---

(١) مجمع البيان (ط مؤسسة التاريخ العربي سنة ١٤١٢ هـ بيروت لبنان) ج ٧ ص ٢٠١.

(٢) التبيان ج ٧ ص ٤٥٧.

كان في الماضي حيث استطاع الاسلام فيها أن يمتد ويهيمن، تشمل على كل مرحلة مستقبلية تتصف بهذا الوصف، لكن في جميع الأحوال لا بد من إدخال المرحلة الاولى للدعوة..».

٣ - إن هذا الرجل يذكر رواية عن أمير المؤمنين «عليه السلام» ناسباً لها إلى نهج البلاغة، فلما راجعنا نهج البلاغة وجدنا أن الاستشهاد بالآية غير موجود في هذا الكتاب، فكيف أقحم هذا الرجل هذا الاستشهاد، وهذه الآية بالذات؟! ولماذا؟! وكيف نفسر دعوته إلى التحقق من النصوص والتثبت فيها؟! و٧٦٠ - آية البلاغ في فضل علي «عليه السلام».

٧٦١ - نرجح أن الصحيح نزول آية البلاغ في «فضل» علي «عليه السلام».

يقول البعض عن آية: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ <sup>(١)</sup> وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) بعد أن ناقش الأقوال فيها:

..مع أن الآية توحى بأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد بلغ الكثير من الرسالة، أو بلغ كل تفاصيلها كما تشير إليه كلمة (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) أي فكأنك لم تبلغ الرسالة التي بلغتها.. لأن النتيجة ستكون بهذه المثابة من حيث الخطورة..

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وبهذا نرجح أن يكون الوجه الصحيح هو الوجه الآخر وهو أنها  
(١) نزلت في فضل علي .

### وقفة قصيرة:

#### اللافت للنظر هنا أمران:

إنه رجح نزول آية: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) في فضل علي «عليه السلام»، ولم يجزم بذلك، فهل نشأ موقفه هذا عن مقولته في الإمامة بأنها من المتحول، حيث يقول:

«..إن المتحول هو الذي يتحرك في عالم النصوص الخاضعة في توثيقها ومدلولها للاجتهاد مما لم يكن صريحا بالمستوى الذي لا مجال لاحتمال الخلاف فيه ولم يكن موثوقا بالدرجة التي لا يمكن الشك فيه، وهذا هو الذي عاش المسلمون الجدل فيه، كالخلافة والإمامة، والحسن والقبح العقليين» .

إنه قال: «إنها نزلت في (فضل علي)».

ولم يقل في أمر إبلاغ إمامته «عليه السلام». ولا ندري السبب في إضافة كلمة «فضل»؟!

٧٦٢ - المباهلة أسلوب تأثير نفسي.

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ٨ ص ١٧٢ .

(٢) مجلة المنهاج البيروتية الصادرة عن مركز الغدير للدراسات العدد الثاني (مقالة الأصالة والتجديد)..

٧٦٣ - النبي هو الذي أشرك أهل بيته في المباهلة.

### ويقول البعض:

«..ويظهر من الآية - ومن جو القصة - أن هؤلاء القوم لم يريدوا الاقتناع بل دخلوا في جدل عقيم لا يحقق أي هدف، ولا يصل إلى أية نتيجة.. مما دعا النبي «صلى الله عليه وآله» إلى طرح المباهلة عليهم، كأسلوب من أساليب التأثير النفسي الذي يُشعرهم بالثقة المطلقة بالعقيدة الإسلامية وبمفاهيم الدعوة الجديدة.. حتى إن النبي كان مستعداً لأن يعرض نفسه للموقف الصعب عندما يقف مع أهل بيته ليوажهوا الآخرين بالوقوف بين يدي الله.. فيما تنازعوا فيه فيطلبوا منه - سبحانه - أن يجعل اللعنة على الكافرين.

وقد أراد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يزيد الموقف تأثيراً في الإيحاء النفسي لدى الآخرين بالثقة، فلم يقتصر على تقديم نفسه للمباهلة والملاعنة، بل طرح القضية على أساس اشتراك أهل بيته - معه في ذلك - مع أن بإمكانه أن يحصر الأمر بنفسه، دون أن يترك ذلك أي تأثير سلبي في الموقف.

ولكنه - كما أشرنا - أراد أن يعطيهم الإيحاء بالاطمئنان الكامل بصدق دعواه، لأن الإنسان قد يعرض نفسه للخطر، ولكنه لا يعرض ابناءه وأهل بيته لما يعرض نفسه لما يمكن أن يتفاداه.

ولهذا أدرك القوم الموضوع وأبعاده، فاهتزت أعماقهم بالخوف من الخوض في هذه التجربة التي تستتبع اللعنة الفعلية التي تتجسد في

(١)

عذاب الله وعقابه، فأقلعوا عن الأمر وقبلوا الصلح..» .

### وقفعة قصيرة:

١ - ونريد أن نلفت النظر: إلى أن هذا البعض يرى أن إشراك أهل البيت في أمر المباهلة هو أسلوب اتبعه النبي «صلى الله عليه وآله» للتأثير النفسي على الطرف الآخر. فهل هذا يعني إبعاد قضية المباهلة عن أن تكون بمستوى الجدية الحقيقية، ومواجهة الطرف الآخر بالموقف الحاسم والحازم، وإنما هي مجرد أسلوب من أساليب المناورة للتأثير النفسي على الطرف الآخر؟!

٢ - هل يعني نسبة هذه المبادرة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه بقرار منه بتقديم أهل بيته الذي تربطه بهم رابطة المحبة والعاطفة، هل يعني ذلك محاولة إبعاد القضية عن أن تكون تدبيراً إلهياً، وقراراً ربانياً، يعطي الدلالة القاطعة على ما لأهل البيت من مقام عند الله مما لم يذكر لأحد سواهم؟!

وقد أشرنا في كتاب مأساة الزهراء «عليها السلام» إلى إخلاله بهذه المنقبة فلتراجع هناك.

وقد خرجت الروايات الكثيرة التي وردت في هذه المناسبة وأشارت إلى فضل علي ومقام هؤلاء الصفوة الذين أخرجهم رسول «صلى الله عليه وآله» لهذا الأمر العظيم والخطير.



٧٦٤ - لا فائدة من معرفة دابة الأرض.

٧٦٥ - الأئمة يفسرون الآية بالرجعة والبعض يفسرها بيوم القيامة.

قال البعض في تفسير قوله تعالى:

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ) .

«..وقد أفاض المفسرون كثيراً في الحديث عن الدابة، في طبيعتها الإنسانية، والحيوانية، وفي صفاتها الغريبة وفي كيفية خروجها.. ومضمون كلامها.. مما لم يثبت به حجة قاطعة.. وقد لاحظنا أن القرآن وضعها في موضع الإبهام.. ولم يفصل أي شيء من هذه الأمور، فلنترك الخوض في ذلك كله.. لأنه مما لا فائدة فيه على مستوى النهج القرآني في مضمونه وإيحاءاته (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا) فلا يقتنع بما تفرضه من الإيمان بالله، ورسوله، واليوم الآخر، بل يبقى مستمرا في غيه وعناده (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أي يحبسون ويوقفون، بحيث يرد أولهم على آخرهم - كما هو معنى الازدحام.. وذلك هو يوم القيامة الذي يحشر الله فيه الناس

(١) الآية ٨٢ و ٨٣ من سورة النمل.

(٢) الآية ٨٣ من سورة النمل.

(١)

كلهم، والمؤمنين منهم، والمكذبين بآيات الله» .

### وقفه قصيرة:

١- إننا إذا رجعنا إلى الأحاديث الكثيرة المروية عن أهل البيت «عليهم السلام»، ومنها ما هو صحيح سنداً، فسنجد أنهم «عليهم السلام»، قد فسروا قوله تعالى: (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) بما ينطبق على أمر الرجعة في آخر الزمان، قبل يوم القيامة، وقد تضمنت هذه الأحاديث استدلالات منهم «عليهم السلام» على هذا الأمر؛ يقول الإمام الصادق «عليه السلام»: أفيحشر الله يوم القيامة من كل أمة فوجاً؟! ويدع الباقيين! لا، ولكنه في الرجعة.

(٢)

وأما آية القيامة (وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) .

فلماذا لا يلتفت هذا البعض إلى هذه الروايات الكثيرة والمعتبرة، وإلى ما هو الحق في تفسير الآية؟ هل لأن الأمر يتعلق بالرجعة؟! التي نعرف موقفه منها. فإنه وإن كتب في أجوبته على بعض المسائل المرسلة إلى قم أن أحاديثها متواترة، لكنه في أكثر من موضع، قد حاول أن يؤولها ويشكك في معناها. وسيأتي هذا الكتاب

(١) من وحي القرآن ج ١٧ ص ٢٨٠ و ٢٨١ .

(٢) الآية ٤٧ من سورة الكهف .

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١٣٠ و ١٣١ وتفسير البرهان ج ٣ ص ٢١٠ .

كما ذكرنا في كتاب «مأساة الزهراء» في الجزء الأول في الصفحات ١٠٣ - ١٠٦ متنا وهامشاً ما يفيد جداً في هذا المقام.

واللافت للنظر هنا: أنه هو نفسه خلافاً لما يقوله أئمة اهل البيت «عليهم السلام»، يقول:

«وذلك هو يوم القيامة الذي يحشر الله فيه الناس كلهم».

مع أن الآية تتحدث عن حشر فوج من كل أمة.

٢ - هناك روايات صحيحة السند بالإضافة إلى الكثير من الروايات الأخرى مروية عن الأئمة الطاهرين «عليهم السلام» وكذلك عند اهل السنة تفيد: أن المقصود بدابة الأرض التي يخرجها الله لعباده هو علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإذا كانوا «عليهم السلام» قد تحدثوا عن هذا الأمر، وأوضحوه، فلماذا يعتبره هذا البعض مما لا فائدة فيه لا في مضمونه، ولا في إحياءاته؟!!

وإذا كان هذا الأمر قد ورد بروايات مستفيضة، وبعضها صحيح السند، فلماذا لا يشير إلى ذلك على الأقل؟!.

وإذا كان الخبر الصحيح، والمستفيض ليس حجة فما هي الحجة إذن؟ على أمر لا يثبت إلا بالنقل؟!..

وأما دعوى لزوم كون الخبر متواتراً في ما سوى الأحكام الشرعية فهي دعوى باطلة جملة وتفصيلاً وقد تقدم ما ينفع في المقام. مع أنها دعوى تؤدي إلى لزوم إلقاء القسم الأعظم من أحاديث النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام» لعدم جدواه. وذلك من

أجل أن يصبح المجال مفتوحاً أمام استيحاءات حضارية، واستحسانات تقديمية لهذا أو ذاك من الناس. أما الأحاديث عن أهل البيت، بأسانيد صحيحة، أو معتبرة أو مؤيدة بالقرائن، فلا بد من إبعادها عن حياتنا الفكرية والثقافية كما يظهر مما يقوله هذا البعض.

٣ - إننا نلاحظ: أن هذا البعض الذي تجاهل الروايات الكثيرة التي تفسر الآية وتطبقها على علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.. وعجز عن رد هذه الروايات بطريقة علمية إلى أسلوب التنفير، بالاستفادة مما ارتكز لدى العوام في معنى كلمة «دابة» حيث إنهم لا يأخذون بمعناها اللغوي، بل يقصدون بها البهائم التي اعتادوها وألفوها، مع أن الله سبحانه وتعالى قد استعمل هذه في كتابه العزيز، و أراد بها ما يمثل الإنسان، فهو يقول: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) .

وقد فسر من يمشي على رجلين بالناس، وفسرت الدابة في اللغة بكل ما يدب على الأرض..

لكن هذا الرجل يرفض تفسير الدابة بما ورد عن الأئمة «عليهم السلام»، وبما تؤيده اللغة، مستفيداً - كما قلنا - من أسلوب التنفير للناس العاديين. الذين لم يعرفوا معنى هذه الكلمة من مصادره

الصحيحة والمعتمدة، فهو يقول:

«تفسير «دابة الأرض»:

ذهب العلامة «القمي» في تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) ، على أنها تخصّ علي «عليه السلام» آخر الزمان استناداً إلى حديث مجمله أنه «صلى الله عليه وآله» دخل المسجد فوجد علياً مضطجعاً وعند رأسه كومة رمل فدفعه قائلاً: «قم يا دابة الأرض».

ثم التفت إليه وقال: يا علي، إذا كان آخر الزمان بعثك الله فليس من ينصب به عداءك؟!

يجب أن ندقق في الحديث، لأنه ليس كل حديث يجب أن نأخذ به خصوصاً إذا أردنا أن نعرضه على القرآن، فدابة الأرض هو التعبير عن الدابة بخصوص اللفظ. أما أن يعبر عن الإمام علي بالدابة فهذا تعبير لا ينسجم مع موقع الإمام «عليه السلام» لأن دابة الأرض هي حشرات الأرض وإذا أردنا أن نعظم الإمام علي «عليه السلام» فيجب أن نأتي بكلمة تليق به وحتى لو كانت استعارة لمعنى آخر فلا بد أن تتناسب مع طبيعة المعنى الجديد. إننا عندما ننطلق مع السياق القرآني نرى أنه لا ينسجم مع مقام الامام علي «عليه السلام»..» .

(١) الآية ٨٢ من سورة النمل.

(٢) الندوة ج ١ ص ٣٠٨ .

٧٦٦ - تجاهل الأحاديث المفسرة للأسماء التي علمها الله لآدم بأسماء النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام».

٧٦٧ - علم الله آدم أسماء الموجودات.

### يقول البعض:

«ما هي الأسماء التي علمها الله لآدم؟!

لقد استفاضت النصوص الدينية في الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» وعن غيرهم في أن المراد منها هي أسماء الموجودات الكونية سواء منها الموجودات العاقلة، أو غيرها، ولعل هذا هو الذي توحى به طبيعة الجو الذي يحكم الموقف في هذه الآيات، وينسجم مع مهمة الخلافة عن الله في الأرض، التي اعد لها الإنسان، فإنها تفرض المعرفة الكاملة بكل متطلباتها ومجالاتها.

جاء في تفسير العياشي عن أبي العباس عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) «عليه السلام» قال: سألته عن قول الله: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) ماذا علمه؟!!

قال «عليه السلام»: والأرضين والجبال والشعاب والأودية. وجاء في تفسير الطبري عن ابن عباس قال: علم الله آدم الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان ودابة وارض وسهل وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. وهناك اتجاه في تفسير ذلك، بأسماء الملائكة، وأسماء ذريته دون سائر أجناس الخلق، وهو الذي اختاره الطبري في تفسيره.. وذلك أن

(١) الله جل ثناؤه قال: (ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ) . يعني بذلك أعيان المسمين بالأسماء التي علمها آدم ولا تكاد العرب تكني بالهاء والميم عن أسماء بني آدم والملائكة. وأما إذا كانت عن أسماء البهائم وسائر الخلق، فإنها تكني عنها بالهاء والألف أو بالهاء والنون ولكن هذا الاتجاه لا يتناسب مع طبيعة الخلافة، لا سيما إذا فهمنا من الآية أن آدم لم يكن هو الخليفة بشخصه، بل بسبب تجسيده للنوع الإنساني - كما استقر بناه آنفاً، فإن معرفة أسماء الذرية والملائكة لا يقدم شيئاً ولا يؤخر في الموضوع.

وأما التعبير عن الأسماء بالضمير المستعمل لما يعقل، فقد اعترف صاحب التفسير المذكور بأن العرب قد تستعمل ضمير من يعقل، إذا كان عائداً على من يعقل، وما لا يعقل بفعل التغليب، وبذلك جاء القرآن الكريم: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) . قال إن الغالب المستفيض في كلام العرب ما وصفنا، ولكننا لا نعتبر الغلبة في مثل هذا - لو ثبتت - لغة مرجوحة أو غير فصيحة، لأن القرآن نزل بذلك في الآية المتقدمة مما يوحي بأنها لغة مألوفة معتبرة؛ ولعل ذهاب ابن عباس - فيما روي عنه - يقرب ما ذكرناه بأنه أعرف بكلام العرب من المتأخرين الذين عرفوه بالنقل،

---

(١) الآية ٣١ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٤٥ من سورة النور.

(١)

بينما كانت معرفته له بالسماع والممارسة» .

### وقفه قصيرة:

١ - إن هذا البعض يفسر الأسماء التي علمها الله سبحانه لآدم «عليه السلام» بأسماء الموجودات العاقلة وغيرها، ناسباً هذا التفسير للروايات المستفيضة عن أهل البيت «عليهم السلام» وغيرهم، ولم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى الروايات التي تقول: إن الأسماء التي علمها الله لآدم هي أسماء الأئمة والحجج على الخلق، مع أنها أقرب إلى الاعتبار وأصح سنداً ، وهي مروية عن الإمام السجاد؛ والصادق؛ والعسكري «عليهم السلام».

وقد ساق الحديث عن الروايات التي تفسر الآية بأسماء الموجودات بطريقة توحي أنها وحدها بين أيدينا، ولا يوجد سواها. ثم ادعى أنها منسجمة مع جو الآيات، ومع مهمة الخلافة عن الله في الأرض.

مع أن الروايات التي ذكرت: أن المراد أسماء النبي والأئمة هي

---

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ١ ص ١٦١ - ١٦٣ .

(٢) راجع: البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٧٣ ونور الثقلين ج ١ ص ٤٦

وكمال الدين وإتمام النعمة ج ١ ص ١٤ وتفسير الإمام العسكري ص ٢١٧

وتفسير فرات الكوفي ص ٥٦ - ٥٧ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٦٢ - ٦٣

وتفسير الصافي ج ١ ص ٩٦ وراجع ص ١٠١ .



الأوفق بالسياق لا سيما مع ملاحظة قوله: (ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ) <sup>(١)</sup>. حيث جاء بضمير (هم) في (عرضهم) الذي يستعمل في الأساس للتعبير عن العقلاء.

فإرادة أسماء الموجودات من هذا الضمير تحتاج إلى تصرف في الضمير بادعاء انه قد أريد تغليب العقلاء من الجن والإنس والملائكة على غيرهم، إما للتشريف، أو لغير ذلك من أمور.

أما لو كان المراد بالأسماء، النبي والأئمة، الذين هم حجج الله على الخلق، فلا يحتاج إلى هذه التأويلات والتخريجات؛ لأنهم هم اعقل عقلاء هذا الوجود.

٢ - وإذا قال: إن إرادة أسماء الموجودات هو المناسب لمهمة الخلافة عن الله.

### فإننا نقول:

إن الأنسب منه هو إرادة الهداة إلى شرع الله، والأدلاء للخلق، والقادة لهم، والمهيمنين على مسيرتهم في مجال العلم والمعرفة حيث إنه لولا وجود النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام» لكانت الكارثة الحقيقية، والمأساة الكبرى لهذا الإنسان الذي سيجر على كل هذه المخلوقات الوبال والنكال.

٣ - واللافت للنظر هنا: أنه لم يذكر من الأقوال إلا قول الطبري

(١) الآية ٣١ من سورة البقرة.

الذي اختار أن المراد هو أسماء الملائكة وأسماء ذرية آدم. مع أن القول بأن المراد بها هو اسماء الأئمة «عليهم السلام»، أكثر شيوعاً وذبوحاً بين المفسرين من أصحابنا.

٤ - أما قوله: إن ابن عباس اعرف بكلام العرب.. فيرد عليه:

أولاً: لا بد من ثبوت النقل عن ابن عباس.

ثانياً: إن هذا من الأمور النقلية، التي لا طريق للاستحسان ولا للعقل إليها. وقد منع العلماء من إثبات اللغة بالعقل، والذوق، فاذا ورد عن أهل البيت «عليهم السلام»؛ أن المراد هو كذا، وجب الأخذ به، طبعاً مع عدم مخالفته القواعد العقلية. والنقل عن ابن عباس لو ثبت فإنه لا قيمة له في مقابل كلام الأئمة الأطهار «عليهم السلام».

ثالثاً: إنه هو نفسه، يشترط الثبوت القطعي للرواية في غير الأحكام، فلا بد من تواتر الرواية عنده، فكيف أخذ بالرواية هنا في أمر توقيفي. وهي ليست قطعية عنده ولا متواترة؟! وكيف ترك غيرها من الروايات التي هي أولى بالقبول؟!

٧٦٨ - سورة المعارج مكية.

٧٦٩ - جدال المشركين كان حول الآخرة (لا في إمامة علي).

٧٧٠ - نفي ضمنى لفضيلة لأمر المؤمنين «عليه السلام».

٧٧١ - الزكاة شرعت في المدينة.

يقول البعض:

(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي

الْمَعَارِجُ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَأَصْبُرْ صَبْرًا جَمِيلًا إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا .

### هل السورة مكية أو مدنية؟!

وهذه من السور المكية - في رأي الكثيرين - إلا في بعض آياتها، فقد نقل عن الحسن - فيما ذكره صاحب مجمع البيان -: أن آية و (فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) مدنية، فإن ظاهره الزكاة التي شرعت في المدينة.

ويعلق صاحب الميزان على ذلك: بأن هذا القول يستتبع أن تكون الآيات المتصلة بها الواقعة تحت الاستثناء لما في سياقها من الاتحاد واستلزام بعضها البعض.

ويضاف الآيات الواردة في المستثنى منه، وهي قوله: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) إلى قوله: (مُنُوعًا) لنفس الحجة.

ويستطرد - في استنتاجه - ليستوحي من سياقها، أن مضامين هذا الفصل بأجمعها تناسب حال المنافقين في المدينة الذين كانوا يحيطون بالنبى «صلى الله عليه وآله» عن اليمين وعن الشمال..

(١) الآيات ١ - ١٠ من سورة المعارج.

(٢) الآيتان ٢٤ و ٢٥ من سورة المعارج.

(٣) الآيات ١٩ - ٢١ من سورة المعارج.

وقد نوقش قول الحسن -: بأن الحق المعلوم لا يراد به الزكاة فقد روي عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام»، أن المراد به حق يسميه صاحب المال في ماله غير الزكاة المفروضة.

كما ورد عن ابن عباس أن هذه السورة نزلت بعد سورة الحاقة التي هي من السور المكية. مع ملاحظة أن سياقها في بداياتها ونهاياتها التي تتحدث عن اليوم الآخر يناسب كونها مكية .

ويقول:

«... (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) (٢) هل هناك سؤال عن العذاب في طبيعته، أو في توقيته ليكون السؤال في معنى الاستفهام؟! وأن السؤال بمعنى الطلب، فتكون القضية هي في الطريقة التي كان يريد المشركون فيها مع النبي الحوار الجدلي عن الآخرة وعذابها الذي ينتظرهم فيبرزون الحديث بطريقة التحدي، كما كانت الطريقة التاريخية للأمم السابقة التي كانت تستعجل العذاب كإيحاء بعدم جديته في إظهار تكذيبهم للرسول بهذا الأسلوب.

والظاهر: أن هذا هو الأقرب من خلال السياق الذي أكد العذاب كحقيقة إيمانية ثابتة لا مجال للشك فيها» .

(١) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ٢٣ ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) الآيتان ١ و ٢ من سورة المعارج.

(٣) من وحي القرآن (الطبعة الأولى) ج ٢٣ ص ١٠٤ - ١٠٥ .

## وقفه قصيرة:

**إننا نشير هنا - باختصار - إلى أمور ثلاثة:**

**الأول:** إننا نلاحظ: أن هذا البعض لا يقبل بكون هذه السورة مدنية، مستندا إلى رواية ابن عباس الواردة في تصنيف سور القرآن إلى مكية ومدنية. مع أن ابن عباس كان له من العمر حين وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشر سنوات أو ثلاث عشرة سنة على أبعد تقدير، ثم إنه أيد كلامه بدعوى أن سياقها، في بداياتها ونهاياتها، التي تتحدث عن اليوم الآخر يناسب كونها مكية..

ولم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى أن ثمة روايات كثيرة تذكر: أن صدر هذه السورة قد نزل في قضية غدير خم، حين قدم ذلك الرجل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، معترضا على تنصيبه عليا «عليه السلام» إماماً، فلما لم يجد عند النبي «صلى الله عليه وآله» ما يوافق هواه ولّى وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء.

فرماه الله بحجر على رأسه فقتله، وأنزل قوله تعالى: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ..) وهذا المعنى مروي عند الشيعة بعدة طرق. ومروي أيضاً بطرق غيرهم .

---

(١) تفسير البرهان ج ٤ ص ٣٨١ - ٣٨٣ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٣٥٢ وقد ذكر في الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦١ و ١٦٢ وقول النضر بن الحارث دون أن

فلماذا يأخذ برواية ابن عباس الضعيفة، ويترك جميع هذه الروايات المروية من طرق الشيعة وغيرهم؟!

بل لماذا لم يشر أصلاً إلى هذه الروايات؟! رغم أنه ينقل كلام العلامة الطباطبائي «رحمه الله» الذي تضمن استدلالاً على مدنية السورة بهذه الروايات نفسها. فنجد أنه قد نقل كلامه باستثناء هذه الفقرات، التي تضمنت استدلاله هذا، فإنه اسقطها ولم يلتفت لها ولم يشر إليها. ولو أغمضنا عن كل هذا فكيف حصل له القطع الذي يشترطه دائماً في أمثال هذه الأمور من الرواية الضعيفة، ولم يحصل له مما هو اصح سنداً، وأكثر عدداً، لا قطع ولا ظن، بل حتى ولا شك أيضاً؟!

**الثاني:** إن الآية قد أخبرت عن أن ثمة من طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن ينزل العذاب عليه، وأن الذي فعل ذلك هو فرد من الناس عبّر عنه بصيغة المفرد مع تنوين التذكير «سائل» وليس هو «المشركون»، ولا طائفة منهم. لتكون القضية عبارة عن إدارة الحوار الجدلي بين النبي «صلى الله عليه وآله» وبين المشركين، كما يقول هذا الرجل.

فمن أين استنتج أن المراد هو عذاب الآخرة؟! وهل يصح أن يطلب المشركون أن ينزل عليهم عذاب يوم القيامة..

**الثالث:** قوله: إن الزكاة قد شرعت في المدينة، غير صحيح. وذلك لما يلي:

١ - إن عدة آيات قرآنية نزلت في مكة تأمر بإيتاء الزكاة، ونذكر من ذلك:

قوله تعالى: (فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) <sup>(١)</sup> وهي في سورة مكية.

وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) <sup>(٢)</sup> وهي مكية. وقوله تعالى: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) <sup>(٣)</sup> وهي مكية.

وقوله تعالى: (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) <sup>(٤)</sup> وهي مكية أيضاً.

ولنراجع سورة الروم المكية الآية ٣٩. ثم إن الله تعالى قال: عن إسحاق، ويعقوب، ولوط، وإبراهيم «عليهم السلام»: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ) .

(١) الآية ١٥٦ من الأعراف .

(٢) الآية ٤ من المؤمنون.

(٣) الآية ٣ من النمل، والآية ٤ من سورة لقمان.

(٤) الآية ٧ من سورة فصلت.

(٥) الآية ٧٣ من سورة الأنبياء.

٢ - وروي عن أبي طالب: أنه حدث عن النبي «صلى الله عليه وآله»: أن ربه أرسله بصلة الأرحام، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة

٣ - عن جرير بن عبدالله البجلي، قال: لما بعث النبي «صلى الله عليه وآله» أتيته لأبأبعه، فقال: لأي شيء جئت يا جرير؟! قلت: جئت لأسلم على يدك.

فدعاني إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة .

٤ - وقد روى الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه عن حماد عن حريز، عن محمد بن مسلم، وأبي بصير، وبريد، وفضيل، كلهم عن أبي جعفر (٣) وأبي عبد الله «عليهما السلام»، قال: فرض الله الزكاة مع الصلاة. وسند هذه الرواية معتبر.

٥ - ويرد ذلك أيضاً: أن جعفر بن أبي طالب قد ذكر الزكاة لملك الحبشة، على أنها مما أمرهم الله به .

(١) الإصابة ج ٤ ص ١١٩ وبحار الأنوار ٣٥ ص ١٥١ والطرائف ص ٣٠٤ والغدير ج ٧ ص ٣٦٨ عن نهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنبلي .

(٢) تدريب الراوي ج ٢ ص ٢١٢ عن الطبراني في الأوسط، وذكر الشطر الأول من الحديث في الإصابة ج ١ ص ٢٣٢.

(٣) الوسائل ج ٤ ص ٥ والكافي ج ٣ ص ٤٩٨ .

(٤) الثقات لابن حبان ج ١ ص ٦٥ وحلية الأولياء ج ١ ص ١١٤ - ١١٦ عن ابن



### ولكن قد جاء في رواية صحيحة السند:

أنه لما نزلت آية الزكاة، التي في سورة التوبة، وهي مدنية ومن أواخر ما نزل، أمر «صلى الله عليه وآله» مناديه في الناس: إن الله فرض عليكم الزكاة. وبعد أن حال الحول أمر مناديه فنادى في المسلمين: أيها المسلمون، زكوا أموالكم تقبل صلواتكم، قال: ثم وجه عمال الصدقة وعمال الطسوق .

ولكن هناك عشرات الآيات التي نزلت قبل سورة التوبة التي ربما تصل الى ثلاثين آية، كلها تدل على فرض الزكاة. وحملها كلها على الاستحباب، أو على خصوص زكاة الفطرة بعيداً جداً.

فلا بد من حمل هذه الرواية على أنه «صلى الله عليه وآله» إنما ألزم الناس بدفعها ووضع الجباة لها، بعد نزول هذه الآية، مع كون إيجابها قد حصل في مكة، قبل ذلك.

٧٧٢ - المراد بأولي الأمر المفهوم الأوسع.

٧٧٣ - إرادة الأئمة «عليهم السلام» «من أولي الأمر» من باب

---

إسحاق، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٠ و ٧٤ و ٦٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠ وسنن البيهقي ج ٩ ص ١٤٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣٦٠ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٧ و ٢٤ عن الطبراني، وأحمد، ورجاله رجال الصحيح، وحياة الصحابة ج ١ ص ٣٥٤ و ٣٥٧ عن بعض ما تقدم، وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٠ وحسن أسناده.

(١) راجع الكافي ج ٣ ص ٤٩٧ وتفسير البرهان ج ٢ ص ١٥٦ .

التطبيق.

٧٧٤ - إرادة المفهوم العام يمكننا من التمسك بالآية في ولاية أهل الشورى من المسلمين.

إن البعض حين يصل الى آية: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) يذكر اتجاهات عديدة في تحديد المراد من (أُولِي الْأَمْرِ).

ويذكر أيضاً قول الشيعة:

١ - إن المراد بهم الأئمة المعصومون من أهل البيت «عليهم السلام».. وحين يواجه الأحاديث التي تعد بالعشرات الدالة على أن المراد بهم خصوص الأئمة نجده يقول:

٢ - «إن من الممكن السير مع الأحاديث التي تنص على أن المراد من أولي الأمر، الأئمة المعصومون، مع الإلتزام بسعة المفهوم، وذلك على أساس الأسلوب الذي جرت عليه أحاديث أئمة أهل البيت «عليهم السلام» في الإشارة الى التطبيق بعنوان التفسير، للتأكيد على حركة القرآن المستقبلية في القضايا الفكرية والعملية الممتدة بامتداد الحياة، لأن ذلك هو السبيل الأفضل لوعي الإنسان المسلم للفكرة، على أساس التطبيق الواضح من أجل أن يرتبط بالواقع بشكل مؤكد.

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

٣ - إن هذا الاحتمال الذي يؤكد إطلاق الآية يجعلنا قادرين على التمسك بالآية، في ما يثار فيه الجدل كثيراً من أمر الولاية في حال غيبة الإمام، في ولاية الفقيه، أو في ولاية أهل الشورى من المسلمين، وذلك في الحالة التي يصدق عليهم أنهم أولو الأمر من ناحية واقعية. إن هذه الملاحظات قد تستطيع أن تثير أماننا بعض الأفكار حول الموضوع، من أجل الوصول إلى نتيجة حاسمة في مجال التطبيق والإستنتاج، والله العالم» .

### وقفة قصيرة:

### ونقول:

١ - إن هذا البعض يتحدث عن الموضوع بطريقة توحى بأن هذه الآية إن لم تتسع لتشمل غير أهل البيت «عليهم السلام»، فلسوف نقع في ورطة حيث سنفتقد الوسيلة التي تعرفنا على موقف الإسلام من حكومة الولي الفقيه، أو حكومة أهل الشورى من المسلمين حين يصدق عليهم أنهم أولوا الأمر من ناحية واقعية..

مع أن موضوع ولاية الفقيه له أدلته الواضحة، ولا يتوقف حسم الموقف فيه على عموم هذه الآية أو خصوصها..

وماذا يعني لنا التأكيد على حكومة أهل الشورى من المسلمين؟! ما دما ممن يلتزم خط الإمامة، ونيابة المجتهدين العامة عنهم «عليهم

---

(١) من وحي القرآن (الطبعة الثانية دار الملاك) ج ٧ - ص ٣٢٥ و ٣٢٦.

السلام» وفقاً لما أثبتته الأدلة..

٢ - لا ندري ماذا يقصد هذا البعض بالحالة التي يصدق على أهل الشورى من المسلمين: أنهم أولوا الأمر من ناحية واقعية.. فإن هذه الحالة تبقى من المبهمات، والتي لا نعرف حدودها ولا مناسئها.

٣ - ثم لا ندري ماذا يريد بالناحية الواقعية:

فهل يريد أنهم قد تسلطوا على الناس، وهيمنوا على أمورهم، ولو بالسلطان القاهر، وبقوة السيف الباتر، فجعلهم ذلك أولي أمر تجب طاعتهم؟ إن كان يقصد هذا فمن الواضح: أن الإسلام يرفض حكومة المتغلبين، ولا يرضى إلا بحكومة من نصبهم الله حكاماً على الناس. إما على وجه الخصوص وهم الأئمة الطاهرون «صلوات الله وسلامه عليهم» أو على وجه العموم وهم نوابهم الفقهاء، رضوان الله تعالى عليهم.

أم أنه يقصد: أن عمرهم يصل الى حد يصبحون فيه من أهل الشورى.. أم أن ثقافتهم هي التي تؤدي بهم الى ذلك.. أم نسبهم، أم مكانتهم الاجتماعية أم موقعهم السياسي، أم ماذا؟!

إن كل ذلك مما لا يقره الإسلام ولا يعترف به، بل تعيين أولي الأمر في الإسلام هو قضاء منه تعالى و (١) إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم .

(١) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

٤ - ماذا يقصد «بأهل الشورى من المسلمين»؟!؟

فهل يريد بهم نفس ما يقصد به أهل السنة من مصطلح:

«أهل الحل والعقد»؟!؟

وكيف يصبح الإنسان من أهل الشورى، ومن أهل الحل والعقد؟

وكيف يخرج عنهم؟!؟

وما هو عددهم؟!؟

وما هي مواصفاتهم؟!؟

وهل يستطيع أن يثبت شرعية إسلامية لحكومة هؤلاء؟!؟

٥ - وهل تحقق لدى هذا البعض أن نظام الحكم في الإسلام هو

نظام الشورى؟ أو نظام أهل الحل والعقد؟ أم أنه نظام الإمامة وولاية

الفقيه العادل الجامع للشرائط كما هو الحق من مذهب أهل

البيت «عليهم السلام»؟!؟

٦ - أم أنه يقصد بالترديد بين «ولاية الفقيه» وبين «ولاية أهل

الشورى» هو الترديد بين ما عند الشيعة، وما عند السنة لتكون الآية

مصححة لكلا النهجين، وبذلك يصبح الحكام، وعلى نهج أهل السنة

واجبي الطاعة، انطلاقاً من الآية الشريفة (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)؟!؟ .

٧ - إن الآية حين يتقيد مضمونها بما ورد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويتحدد المراد منها لا تعود قادرة على تأييد احتمال عموم المفهوم، فضلاً عن تأكيد، بل تصوير دليلاً على عدم صحة ذلك العموم، أو قل: على أن الشارع لا يقبل به ولا يتبناه..

٨ - إننا إذا أردنا ألا نغالي في تحديد سلبيات هذا الاتجاه فسوف تكون النتيجة هي على الأقل أنه لا يوجد نص على أمير المؤمنين - «عليه السلام» - أبداً حتى آية: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) وآية: (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) .. فإنها تكون أيضاً عامة، وإرادة علي «عليه السلام» منها من باب أنه أبرز أو أفضل المصاديق.. بل حتى آية: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) . وآيات ذم إبليس وفرعون و.. و.. إنها كلها ستتخذ صفة العموم، وتصبح إرادة إبليس وفرعون، وأبي لهب منها من قبيل الإنطباق على أبرز المصاديق أيضاً.

٧٧٥ - النبي وأهل البيت هم الصفوة العليا للراسخين، والراسخون كثيرون.

٧٧٦ - النبي وأهل البيت هم ممن أخذوا من العلم بقدر واسع.

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

(٣) الآية ١ من سورة المسد.

٧٧٧ - الراسخون في العلم لا تختص بأهل البيت «عليهم السلام».. (وهو تكذيب للأحاديث بأنها فيهم فقط).

٧٧٨ - تفسيره الراسخين بمن يفهم القرآن والدين والحياة، ولم يفسره بمن علمهم من الله.

٧٧٩ - تفسير الراسخين بمن يعرف الحكمة في التجربة العملية لا بمن يهديهم الله ويسددهم وهم المعصومون.

### يقول البعض:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا﴾ والمراد بهم: الذين يملكون رسوخاً في العلم بالمستوى الذي يستطيعون بها أن يفهموا كتاب الله ودينه وشريعته وحقائق الحياة الدالة على وجوده، وتوحيده وحركة الحكمة في تجربتهم العملية في الحياة، وقد ورد هذا التعبير في آية أخرى وهي قوله تعالى: (لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) « .

وإذا كانت بعض الأحاديث قد تحدثت عن النبي محمد «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام»، فإن ذلك وارد على سبيل أنهم

(١) الآية ٧ من سورة آل عمران.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٥٢٨.

(٣) الآية ٦٢ من سورة النساء.

أفضل المصاديق، لأن علم النبي مستمد من وحي الله، وإلهامه، كما أن علمهم مستمد من علم النبي «صلى الله عليه وآله» وقد جاء في حديث النبي محمد «صلى الله عليه وآله»: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» .

وفي حديث الإمام علي «عليه السلام» قال: «علمني ألف باب من العلم، فتح لي كل باب ألف باب» .

وقال الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» في ما روي عنه ما مضمونه: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» قول الله عز وجل».

وهؤلاء هم الصفوة العليا من الراسخين في العلم وممن أخذوا من العلم بقدر واسع (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) « .

(١) م. ن ج ١ ص ٥٢٨.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٩٠ باب ٨ رواية ١.

(٣) الآية ٧ من سورة آل عمران.

(٤) من وحي القرآن (الطبعة الثانية دار الملاك) ج ٥ ص ٢٤٠ و ٢٤١.



## وقفه قصيرة:

إن كلام هذا البعض يعطينا:

١ - إن هناك أناساً من غير أهل البيت «عليهم السلام» يملكون رسوخاً في العلم بالمستوى الذي يستطيعون به أن يفهموا كتاب الله، ودينه، وشريعته، وحقائق الحياة الدالة على وجود الله وتوحيده..

ومن الواضح: أن هذا يخالف الأحاديث الصريحة في أن من يفهم القرآن فهما حقيقياً، وعميقاً، وصحيحاً هم - فقط - النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، دون كل أحد.

٢ - إن هذا البعض يقول:

«إن أهل البيت «عليهم السلام» هم أفضل المصاديق للراسخين في العلم..».

مع أن المعروف عن مذهب أهل البيت والمروي بأسانيد كثيرة هو: أنهم «عليهم السلام» هم المعنيون بهذه الآية، دون كل أحد.

٣ - إن القول بأن هذه الآية أو تلك قد أريد بها كذا يحتاج الى اليقين، وإلى الحجة، أما إذا قال لك نفس صاحب القول مرادي من هذه الآية هو الأئمة «عليهم السلام» فليس لأحد من الناس الحق في صرف الكلام باتجاه آخر.. بأن يقول:

إن مراده من الآية هو معنى آخر، حتى لو كان هو المعنى العام الشامل لكل عالم.. وعلى رأسهم النبي «صلى الله عليه وآله»، والأئمة الطاهرون «عليهم السلام».

٤ - قد تكررت هذه المقولة من هذا البعض في موارد عديدة، مثل آية (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) .. .

وذلك معناه: فتح الباب للتشكيك في نصوص الإمامة، وفي النصوص التي تبين أن لأهل البيت مقاماً خاصاً يجعل لهم الحق دون سواهم بمقام الإمامة العظمى.

فإن لازم كلام هذا البعض هو أن آية: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) . لا تختص بعلي «عليه السلام»، بل تشمل كل من يمكن أن يتصدق وهو راکع - كما يقول ابن تيمية - ولكنه «عليه السلام» أفضل مصاديقها وهكذا الحال في أكثر الآيات المشابهة.. فهل نقبل ذلك منه؟!.

وهكذا يتضح: أن القول بعموم هذه الآيات النازلة في خصوص أهل البيت يراد به إنكار هذه النصوص الصريحة فيهم.. وإعطاء نصيب لغيرهم من الآيات الشريفة..

فهل ننتظر أن يصل الأمر الى الأحاديث الشريفة أيضاً حتى مثل حديث الغدير، وحديث إنذار العشيرة الأقربين، وحديث المنزلة.. وغير ذلك.. علماً بأنه حتى حديث الغدير قد نال نصيبه من التشكيك

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٢) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

من قبل هذا البعض. ولو أن ابن تيمية كان حياً لأفرحه كثيراً أن يرى كيف أن منهجه في التشكيك بما يعود إلى علي وأهل بيته قد عاد إلى الحياة من جديد.

٧٨٠ - لا معنى أن يكون الباطن مخزوناً عند الراسخين في العلم.

٧٨١ - لا فائدة من اختزان المعنى الباطن عند الراسخين في العلم.

٧٨٢ - الدلالة الذاتية للقرآن لا تدل على الباطن لعدم وجود ظهور في ذلك.

٧٨٣ - مفردات التفسير، وتفاصيل العقيدة تحتاج إلى اليقين.

### يقول البعض:

«ومن جهة أخرى، ما معنى أن يكون المعنى الباطن مخزوناً لدى الراسخين في العلم وما فائدة ذلك؟! فإن كان ذلك من جهة أنهم حجج الله الذين لا بد أن يقبل قولهم في أسرار الدين، حتى لو لم يكن ذلك مفهوماً من اللفظ، فإن طبيعة الحجية تفرض ذلك من دون حاجة إلى تضمين القرآن لذلك، لأن عصمتهم تؤكد صدقهم فتؤدي إلى قبول تلك الحقائق الخفية منهم، وإن كان ذلك من خلال الطبيعة الذاتية للدلالة القرآنية، فإن المفروض عدم وجود ظهور للقرآن في ذلك».

ثم أن هذا البعض يطرح سؤالاً يقول: كيف نفهم ذلك؟!

ثم يجيب عن ذلك:

«بضرورة التأكد من صحة الأحاديث المروية عن النبي، وعن الأئمة حول تفاصيل العقيدة، ومفردات الوجود، والتفسير.. سنداً ومتناً، ولزوم تحصيل اليقين أو ما يقرب منه بخلاف ما يتصل منها بالأحكام الشرعية» .

### وقفة قصيرة:

### ونقول:

١ - قد تحدثنا عن دعواه لزوم تحصيل اليقين، أو الإطمينان في تفاصيل العقيدة في قسم المنهج الإستنباطي وهو القسم الذي يتحدث فيه عن قواعده ومناهجه التي يتبناها ويلتزم بها، وقد ظهر مما ذكرناه هناك: أن هذه المقولة لا تصح، ولا يمكن قبولها، وذلك لأمر كثيرة نذكر منها هنا أيضاً:

**ألف:** إنه لا دليل لديه على لزوم تحصيل الأدلة اليقينية في الأمور الكونية، والتاريخ، وملكات الأشخاص، والتفسير، وإسرار الواقع، وجوانب الحياة، بل المهم هو أن تثبت بالحجة المعتبرة شرعاً، وعند العقلاء.

**نعم..** يجب تحصيل اليقين في خصوص الأمور العقائدية الأساسية الأولى، وهي التي يجب الاعتقاد بها على كل حال، وهي خصوص ما يتوقف عليه الإسلام، والإيمان كالتوحيد والنبوة واليوم

---

(١) تأملات في المنهج البياني ص ١١.

الآخر، وهو ما يتوقف عليه حقن دمه، والحكم بطهارته وحل ذبيحته بصورة أوليّة، بشرط أن لا يصاحب ذلك إنكار لأصل عقيدي أو لضرورة دينية، وما إلى ذلك.. وكذا يطلب اليقين في المعجزة التي يتوقف عليها ثبوت أصول العقيدة.

ويطلب اليقين أيضاً في الإمامة أما ما عدا ذلك فيجب الاعتقاد به اجمالاً على ما هو عليه وأما تفصيلاً فإنما يجب ذلك لو التفت إليه، لا مطلقاً. نعم لا يجوز له إنكاره، فلو أنكره لزمته تبعات الإنكار، وقد يكون منها خروجه عن دائرة الدين أو عن مذهب أهل البيت «عليهم السلام»، وهذا النوع من الاعتقادات لو ثبت له بحجة معتبرة وجب عليه الاعتقاد به، وإلا فإنه ليس له أن يكذبه، ويرده فقد ورد النهي الأكيد عن رد الخبر على أهل البيت «عليهم السلام»، فكيف بما يدخل في نطاق العقيدة والإيمان؟!

ب: إن إنكار هذا البعض لحجية الأخبار غير المتواترة والقطعية في ما عدا الأحكام سوف يفقده معظم معارفه الدينية، التي لم يزل يرددها هنا، وهناك، وتسقط بذلك عن الاعتبار، ويصبح بلا ثقافة دينية، وبلا معارف يعتد بها، لأنه لا يستطيع أن يدعي أنها كلها متواترة تفيد اليقين.. بل هي أخبار آحاد، فإذا كان لا يرى هو لها أي

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٢٣ وبحار الأنوار ج ٢ ص ١٨٦ وراجع: ١٨٧ و ٨٨ والمحاسن للبرقي ص ٣٠ و ٢٣١.

اعتبار فكيف يثقف بها الآخرين، ويدخلها في وجدانهم!!

**ج:** إن أدلة حجية الأخبار سواء أكانت هي الآيات أو الروايات، أو بناء العقلاء الذي أمضاه الشارع - إن هذه الحجية - لم تخصص بخصوص الأحكام.

**د:** إن من يقول بالأخذ بالخبر الموثوق - لا بخبر الثقة، لا يحق له القول بلزوم الإقتصار على الخبر الصحيح السند، هنا وعلى الموثوق ومطلق الحجة هناك.

**هـ:** إن قول هذا البعض بلزوم الإقتصار على القرآن، وعلى الأخبار المتواترة، والقطعية، وإلقاء كل خبر لا يفيد القطع أو الإطمينان معناه لزوم إلقاء كل حديث النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته «عليهم السلام»، والإقتصار على بضعة أحاديث قد لا تتجاوز عدد اصابع اليدين.

إذن، فعلى الإسلام السلام.. وهذا يتوافق بصورة واضحة مع مقولة: حسبنا كتاب الله..

٢ - إن ما ورد عن النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام» من أن علم الباطن موجود عندهم، وأنهم هم الراسخون في العلم، حتى على تقدير لزوم تحصيل اليقين أو الإطمينان بالأخبار التي تتعرض لغير التشريع، إن ذلك ليس من أخبار الأحاد، بل هو مفيد لليقين سنداً، ومتناً، وليس من حق هذا البعض أن يردده..

٣ - إننا نخشى أن يكون مقصود هذا البعض باليقين، أو الإطمينان هو خصوص الشخصي منه، وفي أي خبر كان، فإن كان هذا هو المقصود، فإن الدين يصبح ملعبة بأيدي أهل الأهواء والبدع، ولكل طامع وطامح.

٤ - إن فائدة كون العلم مخزوناً لدى الراسخين في العلم هو نفس فائدة تعليم النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب.. وهو نفس فائدة تعليم آل داود منطق الطير، وهو نفس فائدة «علم من الكتاب» الذي كان عند آصف بن برخيا، الذي جاء بعرش بلقيس من اليمن الى بيت المقدس، وهو نفس الآيات الكبرى التي رآها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في رحلة المعراج (٢) (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) و (لِثَرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا) وهو نفس فائدة الغيب الإلهي - كله أو بعضه - الذي يطلع الله عليه من يرتضيه من رسول..

وحتى لو كان هذا البعض لا يدري الفائدة من ذلك، فإن ذلك لا يبرر له رفض الحديث.

٥ - على أن من الواضح: أن هناك مرجعيات للناس يرجعون إليها في أمور دينهم، ولتحصيل معارفهم، كما أن لهم مرجعيات في

---

(١) الآية ١٨ من سورة النجم.

(٢) الآية ١ من سورة الإسراء.

سائر أمورهم الحياتية كالطب وغيره، ولو صحت مقولة هذا البعض فإنه لا تبقى فائدة من تعلم المهندس لعلم الهندسة والطبيب لعلم الطب، والرياضي لعلم الرياضيات، والفيلسوف للفلسفة، والفقير للفقير، وما إلى ذلك.. فإن المقصود - على حد قول هذا البعض - إن كان هو حفظ تلك المعارف والقواعد، فإن المعارف والقواعد موجودة في ضمن الكتب، ومحفوظة فيها.. وإن كان المقصود هو إلزام الآخرين بها، فإن ذلك حاصل حتى وهي موجودة في ضمن الكتب.

وإذا أجاب هذا البعض: بأن المهندس، والطبيب، والفقير، والفيلسوف، والرياضي.. و.. و.. يمثلون مرجعيات للناس في أوقات حاجتهم إلى علومهم، ولو لأجل تعلم جزئياتها ودقائقها لتقوية ملكات البحث العلمي في هذه الدائرة أو تلك، أو في علم هنا، وعلم هناك..

**فإن الجواب:** هو أن حفظ هذه العلوم القرآنية الباطنة لدى الأنبياء والأولياء إنما هو ليكونوا هم المرجعيات للناس عند الحاجة إليها..

وكذلك ليستخدموها في تربيتهم أو تعليمهم للناس وتثقيفهم بها، حينما يبلغون أو بعضهم - كسلمان - الدرجات التي يمكن أن تفيدهم في زيادة يقينهم، أو في غير ذلك من حالاتهم وشؤونهم، وحتى تصرفاتهم.. من خلال إطاعتهم لله التي تصل بهم إلى مقام «عبدى أطيعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون» كما اعترف به هذا البعض نفسه.

فاتضح بما ذكرناه عدم صحة الاستدلال الذي قدمه ذلك البعض



لبيان عدم الفائدة في أن يكون المعنى الباطن محفوظاً لدى الراسخين في العلم.

٦ - والأغرب من ذلك قوله:

«فإن كان ذلك من جهة أنهم حجج الله الذين لا بد أن يقبل قولهم في أسرار الدين، حتى لو لم يكن ذلك مفهوماً من اللفظ، فإن طبيعة الحجة تفرض ذلك، من دون حاجة الى تضمين القرآن لذلك»..

**فإن قوله الأخير لا معنى له** لأن كونهم حجج الله تعالى لا يستلزم أن لا يتضمن القرآن علومهم، ولا يستلزم أن لا يكون القرآن مرجعاً لهم يعرفون بواطنه، ويكتشفون أسرارهِ بوسائل عرفهم الله إياها، وأوقفهم عليها.

**كما أن كلامه هذا معناه:** طرح الروايات الكثيرة التي تحدثت عن بطون القرآن <sup>(١)</sup> ، وتصبح هذه البطون بلا فائدة.

٧ - وأغرب من ذلك قوله:

«وإن كان ذلك من خلال الطبيعة الذاتية للدلالة القرآنية، فإن المفروض عدم وجود ظهور للقرآن في ذلك».

فإن هذا الكلام يستبطن أن يكون هذا البعض قد عرف جميع وجوه الدلالات القرآنية..

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٢

## مع أننا نلاحظ ما يلي:

**ألف:** اختلاف الناس في درجات فهمهم للمعاني القرآنية، وفي اكتشافهم لأسرارهم، وإدراك لطائفه وإشاراته..

**ب:** إن هذا البعض نفسه قد اعترف بأن ثمة أموراً لم يكن قد أدركها حين كتابته لكتابه المعروف «من وحي القرآن» وقد ذكر ذلك في مناسبة إنكاره لنزول الوحي مباشرة على نبي الله لوط، فراجع ما ذكرناه حول النبي لوط «عليه السلام» في قسم (مع الأنبياء والرسول).

**ج:** إن هذا البعض يسجل في نفس كتابه الآنف الذكر: أنه يخالف المفسرين في فهم كثير من الآيات القرآنية، وفي دلالاتها..

**د:** إنه إذا كانت معاني القرآن وخصوصياته التفسيرية لم تنزل تتكشف عبر العصور، وقد تكشف الكثير منها في هذا العصر، بسبب الثورة الكبيرة التي حصلت وتحصل في مجالات العلوم المختلفة.

**فهل يستطيع هذا البعض أن يدعي مع ذلك أن ما سجله هو وغيره من معاني ادعوا أنهم قد استفادوها من الدلالات القرآنية قد أظهر كل المعاني القرآنية وما على ذلك من مزيد في المستقبل؟! وأن حركة اكتشاف المعاني القرآنية قد توقفت عند هذا الحد؟! وكيف يمكن أن نوفق بين هذا التوجه، وبين ما روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: من أن هذا القرآن «لا تنفى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا يشبع منه علماءه.. وأن ظاهره أنيق وباطنه عميق».**

**هـ:** إن هذا البعض نفسه يذهب الى مقولة غريبة وعجيبة، بل

وخطيرة جداً أيضاً، مفادها.. أن عالم الدلالات يتطور بتطور الزمن، وأنه يختلف من زمن الى آخر..

### فهو يقول:

«إن الكلمة لا تبقى في مدلولها اللغوي الوضعي جامدة لا تتحرك، بل تأخذ من حركتها التاريخية الكثير من الإشارات، والرموز، والإيحاءات، التي قد يفهم الناس منها الكثير خارج مدلولها الذاتي» .

فلماذا لا يطبق مقولته هذه على القرآن، ويفسح المجال لفهم جديد لهذا الكتاب الذي هو هدية الله الى الخلق.. ويقبل بافتراض أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام» قد عرفوا كل معاني القرآن هذه، بسبب أن الله قد علمهم كل العلوم التي يحتاج إليها البشر، وكل ما يتوصلون إليه من معارف في الكون والحياة..

بل لماذا لا يقبل بإمكانية أن يكون الله سبحانه قد رضي رسوله أهلاً، وفي مستوى لأن يطلعه على غيبه في كل شؤون الخلق والحياة، وأسرار الوجود.

أو بمستوى يفوق كثيراً ما يمكن أن يتوصل إليه البشر الذين أرسل اليهم، وهو نبيهم، وإمامهم وسيدهم عبر العصور والدهور..

وحيث إن الله سبحانه قد أطلعه على هذا المستوى الرفيع من

علمه وغيبه، فإنه سيكون قادراً على فهم معاني القرآن، كأدق ما يكون الفهم، وفي مستوى لا يرقى إليه ما فهمه هذا البعض، بل كل من فسر القرآن سابقاً، وسوف يفسره لاحقاً.. بحيث لا بد من الرجوع إليه «صلى الله عليه وآله» في فهم دقائقه، وبواطنه وحقائقه.